كتاب

أصول الإيمان

في ضوء الكتاب والسنة

إعداد

نخبة من العلماء

مقدمة معالي الوزير الشيخ صالح بن عبد العزيز بن محمد آل الشـــيخ

بسم الله الرحمن الرحيم

بقلم معالي الشيخ صالح بن عبد العزيز بن محمد آل الشـــيخ وزير الشـــؤون الإســـلامية والأوقاف والدعوة والإرشـــاد المشرف العام على المجمع.

الحمد لله رب العالمين، القائل في كتابه الكريم ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ ﴾[1] [النحل: 125]. والصلاة والســـلام علـــى أشرف الأنبياء والمرسلين، القـــائل: « بلغوا عني ولو آية »[2] [البخـــاري: 3461].

أما بعد: فإنفاذًا لتوجيهات خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبـــد العزيز آل سعود – حفظه الله– في إيصال الخير إلى عمـــوم المســـلمين في مشارق الأرض ومغاربها، بدءاً بالعناية بكتاب الله، والعمل على تيسير نشره، وترجمة معانيه، وتوزيعه بين المسلمين، والراغبين في دراسته من غـــيرهم، ثم نشر ما ينفع المسلمين في جميع شؤون حياهم الدينية والدنيوية.

وإيمانًا من وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد ممثلـــة في مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة النبوية، بأهمية الدعـــوة إلى الله تعالى على بصيرة فإنه يسرها أن تقدم كتاب:

((أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة))

وذلك لتبصير المسلمين في أمور العقيدة التي هي أساس الإيمان، لقولـــه صلى الله ﷺ « إنّ في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله »[3] [البخاري: 52]،

(1) سورة النحل آية : 125 .

(2) البخاري أحاديث الأنبياء (3274) ، الترمذي العلم (2669) ، أحمد (159/2) ، الدارمي المقدمة (542) .

(3) البخاري الإيمان (52) ، مسلم المساقاة (1599) ، ابن ماجه الفتن (3984) ، أحمد (270/4) ، الدارمي البيوع (2531) .

وستتبعه إن شاء الله تعالى سلسلة من الكتـــب في الحديث، والفقه، والذكر والدعاء، والتي نرجو من الله العلي القدير أن ينفـــع بها عموم المسلمين.

وبهذه المناسبة يسرني أن أشكر الإخوة الذين قاموا بـــإعداد الكتـــاب (تأليفًا، ومراجعة، وصياغة) جهدهم المخلص، وللأمانة العامـــة للمجمـــع حسن اهتمامها ومتابعتها، وأدعو الله تعالى أن يحفظ هذه البلاد راعية للدين، وحامية للعقيدة الصحيحة في ظل قيادة خادم الحرمين الشريفين، وسمـــو ولي عهده الأمين، وسمو النائب الثاني، حفظهم الله، وآخر دعوانا أن الحمـــد لله رب العالمين.

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي أكمل لنا الدين وأتمَّ علينا النعمة، وجعل أمَّتنا -أمَّـــة الإسلام- خيرَ أمَّة، وبعث فينا رسولًا منَّا يتلو علينا آياته ويزكينا، ويعلِّمنـــا الكتاب والحكمة، والصلاة والسلام على مَن أرسله الله للعالمين رحمة، نبيِّنـــا محمد وعلى آله وصحبه.

أمـــا بعد: فإنَّ الحكمة من خلق الجن والإنس هي عبادة الله وحـــده، كما قال تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [1] (الذاريـــات: 56). ولذا كان التوحيد والعقيدة الصحيحة المأخوذةُ من منبعها الأصلي وموردهـــا المبارك كتاب الله وسنة رسوله ﷺ هي الغاية لتحقيق تلك العبـــادة، فـــهي الأساس لعمارة هذا الكون، وبفقدها يكون فساده وخرابه واختلاله، كـــمـــا قال الله تعـــالى: ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ۚ فَسُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾ [2] (الأنبياء: 22)، وقال ســـبحانه: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَـٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ﴾ [3] (الطلاق: 12)، إلى غير ذلك من الآيات.

ولما كان غير ممكن للعقول أن تستقلَّ بمعرفة تفاصيل ذلك بعـــث الله رسلَه وأنـــزل كتبَه؛ لإيضاحه وبيانه وتفصيله للناس حتى يقوموا بعبـــادة الله على علم وبصيرة وأسسٍ واضحةٍ ودعائم قويمةٍ، فتتابع رسلُ الله على تبليغه، وتوالوا في بيانه كما قال سبحانه: ﴿ وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴾ [4] (فاطر: 24)، وقال سبحانه:

---

(1) سورة الذاريات آية : 56 .

(2) سورة الأنبياء آية : 22 .

(3) سورة الطلاق آية : 12 .

(4) سورة فاطر آية : 24 .

﴿ ثُمَّ أَرۡسَلۡنَا رُسُلَنَا تَتۡرَا ۖ ﴾ [1] (المؤمنون: 44)، أي يتبع بعضُهم بعضًا إلى أن ختمهم بسيِّدهم وأفضلهم وإمامهم نبيِّنا محمد ﷺ فبَلّغ الرسالة وأدَّى الأمانة، ونصح الأمَّة، وجاهد في الله حقَّ جهاده ودعا إلى الله سـرًّا وجهرًا، وقام بأعباء الرسالة أكملَ قيام، وأوذيَ في الله أشدَّ الأذى، فصبر كما صبر أولو العزم من الرسل، ولم يزل داعيًا إلى الله هاديـًا إلى صراطه المستقيم حتى أظهر الله به الدِّين، وأتم به النِّعمة، ودخل الناس بسبب دعوته في دين الله أفواجًا، ولم يَمُت ﷺ حتى أكمل الله به الدِّين وأتمَّ به النِّعمة، وأنزل في ذلك سبحانه قوله: ﴿ ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ ﴾ [2] (المائدة: 3).

فبيَّن صلوات الله وسلامه عليه الدين كلَّه أصوله وفروعه، كما قال إمام دار الهجرة مالك بن أنس رحمه الله: " مُحال أن يُظنَّ بالنبي ﷺ أنه علَّم أمته الاستنجاء ولم يعلمهم التوحيد ".

وقد كان ﷺ داعيةً إلى توحيد الله وإخلاص الدِّين لله ونبذ الشرك كـلِّه كبيرِه وصغيرِه شأن جميع المرسلين؛ إذ أنَّ الرسلَ كلَّهم متَّفقون على ذلك، متضافرون على الدعوة إليه، بل هو منطلقُ دعوهم وزبدة رسالتهم وأساس بعثتهم، يقول الله تعالى: ﴿ وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَۖ فَمِنۡهُم مَّنۡ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنۡهُم مَّنۡ حَقَّتۡ عَلَيۡهِ ٱلضَّلَٰلَةُۚ فَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُكَذِّبِينَ ٣٦ ﴾ [3] (النحل: 36)، وقال:

(1) سورة المؤمنون آية : 44 .

(2) سورة المائدة آية : 3 .

(3) سورة النحل آية : 36 .

﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ﴾ [1] (الأنبياء: 25)، وقال تعالى: ﴿ وَسۡـَٔلۡ مَنۡ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلۡنَا مِن دُونِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ءَالِهَةً يُعۡبَدُونَ ﴾ [2] (الزخرف: 45)، وقال تعالى: ﴿ ۞ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَمَا وَصَّيۡنَا بِهِۦٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓۖ أَنۡ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِۚ ﴾ [3] (الشورى: 13).

وقد ثبت في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال: « الأنبياء إخوة لعلَّات، أمَّهاتُهم شتَّى ودينُهم واحد » [4] [5] فالدِّين واحدٌ، والعقيدة واحدةٌ، وإنَّما حصل التنوُّعُ بينهم في الشرائع، كما قال تعالى: ﴿ لِكُلّٖ جَعَلۡنَا مِنكُمۡ شِرۡعَةٗ وَمِنۡهَاجٗاۚ ﴾ [6] (المائدة: 48).

ولذا ينبغي أن يكون متقرِّرا لدى كلِّ مسلم وواضحا لدى كلِّ مؤمن أنَّ العقيدة لا مجال فيها للرأي والأخذ والعطاء، وإنَّما الواجب على كلِّ مسلم في مشارق الأرض ومغاربها أن يعتقد عقيدة الأنبياء والمرسلين، وأن يؤمن بالأصول التي آمنوا بها ودعوا إليها دون تشكُّكٍ أو تردُّدٍ، ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ

---

(1) سورة الأنبياء آية : 25 .

(2) سورة الزخرف آية : 45 .

(3) سورة الشورى آية : 13 .

(4) البخاري أحاديث الأنبياء (3259) ، مسلم الفضائل (2365) ، أبو داود السنة (4675) ، أحمد (406/2) .

(5) صحيح البخاري (3443) ، وصحيح مسلم (2365) .

(6) سورة المائدة آية : 48 .

وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾ ﴾[1] (البقرة: 285).

فهذا شأنُ المؤمنين، وهذا سبيلهم: الإيمان والتسليم والإذعان والقبول، وعندما يكون المؤمن كذلك ترافقه السلامة، ويتحقق له الأمن والأمان، وتزكو نفسُه، ويطمئنُّ قلبُه، ويكون بعيدًا تمام البعد عمَّا يقع فيه ضُلَّال الناس بسبب عقائدهم الباطلة من تناقض واضطراب وشكوك وأوهام وحَيرة وتذبذب.

والعقيدة الإسلامية الصحيحة بأصولها الثابتة وأسسها السليمة وقواعدها المتينة هي – دون غيرها – التي تحقِّق للناس سعادتهم ورفعتهم وفلاحهم في الدنيا والآخرة؛ لوضوح معالمها، وصحَّة دلائلها، وسلامة براهينها وحججها، ولموافقتها للفطرة السليمة، والعقول الصحيحة، والقلوب السويَّة.

ولهذا فإنّ العالَمَ الإسلامي كلّه في أشدِّ الحاجة إلى معرفة هذه العقيدة الصافية النقيَّة؛ إذ هي قطبُ سعادته الذي عليه تدور، ومستقر نجاته الذي عنه لا تحور.

وفي هذا المؤلّف الوجيز يجد المسلم أصولَ العقيدة الإسلامية وأهمَّ أسسها وأبرزَ أصولها ومعالمها مّما لا غنى لمسلم عنه، ويجد ذلك كله مقرونا بدليله، مدعَّمًا بشواهده، فهو كتاب مشتمل على أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة، وهي أصول عظيمة موروثة عن الرسل، ظاهرة غاية الظهور، يمكن لكل مميِّز من صغير وكبير أن يُدركها بأقصر زمان وأوجز مدَّة، والتوفيق بيد الله وحده. وبهذه المناسبة نتقدم بالشكر الجزيل للذين ساهموا في إعداد هذا الكتاب وهم: الدكتور صالح بن سعد السحيمي، والدكتور عبد الرزاق بن عبد المحسن العباد، والدكتور إبراهيم بن عامر الرحيلي. كما نشكر اللذين قاما بمراجعته وصياغته وهما: الدكتور علي بن محمد ناصر فقيهي، والدكتور أحمد بن عطية الغامدي.

---

(1) سورة البقرة آية : 285 .

وإنَّا لنرجوه سبحانه أن ينفع به عمومَ المسلمين، وآخر دعوانا أن الحمـــد لله رب العالمين.

الأمانة العامة

لمجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف

تمهيد

لا يخفى على كل مسلم أهمية الإيمان، وعظم شأنه، وكثرة عوائده وفوائده على المؤمن في الدنيا والآخرة، بل إن كل خير في الدنيا والآخرة متوقف على تحقق الإيمان الصحيح، فهو أجل المطالب، وأهم المقاصد، وأنبل الأهداف، وبه يحيا العبد حياة طيبة سعيدة، وينجو من المكاره والشرور والشدائد، وينال ثواب الآخرة ونعيمها المقيم وخيرها الدائم المستمر الذي لا يحول ولا يزول.

قال تعالى: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾ ﴾ [1] (النحل: 97). وقال تعالى: ﴿ وَمَنْ أَرَادَ ٱلْءَاخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ﴿١٩﴾ ﴾ [2] (الإسراء: 19).

وقال تعالى: ﴿ وَمَن يَأْتِهِۦ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلدَّرَجَٰتُ ٱلْعُلَىٰ ﴿٧٥﴾ ﴾ [3] (طه: 75). وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴿١٠٧﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا ﴿١٠٨﴾ ﴾ [4] (الكهف: 107، 108). والآيات في هذا المعنى في القرآن الكريم كثيرة.

وقد دلت نصوص الكتاب والسنة على أن الإيمان يقوم على الأصول الستة، وهي: الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره، وقد جاء ذكر هذه الأصول في القرآن الكريم والسنة النبوية في مواطن عديدة. منها:

---

(1) سورة النحل آية : 97 .

(2) سورة الإسراء آية : 19 .

(3) سورة طه آية : 75 .

(4) سورة الكهف آية : 107 ، 108 .

1 – قوله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَـٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَـٰبِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَـٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَـٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١٣٦﴾ ﴾ [1] (النساء: 136).

2 – وقوله تعالى: ﴿ ۞ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَـٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَـٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾ [2] (البقرة: 177).

3 – وقوله تعالى: ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَـٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ وَقَالُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾ ﴾ [3] (البقرة: 285).

4 – وقوله تعالى: ﴿ إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَـٰهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾ ﴾ [4] (القمر: 49).

5 – وثبت في صحيح مسلم من حديث عمر بن الخطاب المشهور بحديث جبريل ﴿أن جبريل سأل النبي ﷺ فقال: أخبرني عن الإيمان، قال: (أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره ﴾ [5] [6] .

فهذه أصول ستة عظيمة يقوم عليها الإيمان، بل لا إيمان لأحد إلا بالإيمان بها، وهي أصول مترابطة متلازمة، لا ينفك بعضها عن بعض، فالإيمان ببعضها مستلزم للإيمان بباقيها، والكفر ببعضها كفر بباقيها.

---

(1) سورة النساء آية : 136 .

(2) سورة البقرة آية : 177 .

(3) سورة البقرة آية : 285 .

(4) سورة القمر آية : 49 .

(5) مسلم الإيمان (8) ، الترمذي الإيمان (2610) ، النسائي الإيمان وشرائعه (4990) ، أبو داود السنة (4695) ، ابن ماجه المقدمة (63) ، أحمد (27/1) .

(6) صحيح مسلم برقم (1) .

ولذا كان متأكدا في حق كل مسلم أن تعظم عنايته واهتمامه بهذه الأصول علما وتعلما وتحقيقا.

وفيما يلي بيان ما يتعلق بالأصل الأول من هذه الأصول وهو الإيمان بالله.

الباب الأول: الإيمان بالله

إن الإيمان بالله ﷻ هو أهم أصول الإيمان، وأعظمها شأنا، وأعلاها قدرا، بل هو أصل أصول الإيمان، وأساس بنائه، وقوام أمره، وبقية الأصول متفرعة منه، راجعة إليه، مبنية عليه. والإيمان بالله عز وجل هو الإيمان بوحدانيته سبحانه في ربوبية، وألوهيته، وأسمائه وصفاته، فهذه أصول ثلاثة يقوم عليها الإيمان بالله، بل إن الدين الإسلامي الحنيف إنما سمي توحيدا لأن مبناه على أن الله واحد في ملكه وأفعاله لا شريك له، وواحد في ذاته وأسمائه وصفاته لا نظير له، وواحد في ألوهيته وعبادته لا ندَّ له.

وبهذا يعلم أن توحيد الأنبياء والمرسلين ينقسم إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول: توحيد الربوبية ، وهو الإقرار بأنَّ الله تعالى رب كلّ شيء ومليكُه وخالقُه ورازقُه، وأنه المحيي المميتُ النافعُ الضار، المتفرِّدُ بالإجابة عند الاضطرار، الذي له الأمر كله، وبيده الخير كله، وإليه يُرجع الأمرُ كله، لا شريك له في ذلك.

القسم الثاني: توحيد الألوهية ، وهو إفراد الله وحده بالذلِّ والخضوع والمحبَّة والخشوع والركوع والسجود والذبح والنذر، وسائر أنواع العبادة لا شريك له.

القسم الثالث: توحيد الأسماء والصفات ، وهو إفراد الله تعالى. بما سمى ووصف نفسه في كتابه وعلى لسان نبيه ﷺ وتنزيهه عن النقائص والعيوب ومماثلة الخلق فيما هو من خصائصه والإقرار بأنَّ الله بكلِّ شيء عليم، وعلى كلِّ شيء قدير، وأنَّه الحيُّ القيُّوم الذي لا تأخذه سِنة ولا نوم، له المشيئة النافذة والحكمة البالغة، وأنَّه سميع بصير، رؤوف رحيم، على العرش استوى، وعلى الملك احتوى، وأنَّه الـمَلِك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبَّار المتكبِّر، سبحان الله عمَّا يشركون، إلى غير ذلك من الأسماء الحسنى، والصفات العلى.

ولكل قسم من هذه الأقسام الثلاثة دلائلُ كثيرة من الكتاب والسنة.

فالقرآن كله في التوحيد، وحقوقه وجزائه وفي شأن الشـــرك وأهلـــه وجزائهم.

وهذه الأقسام الثلاثة للتوحيد قد أخذها أهل العلم بالاستقراء والتتبـــع لنصوص الكتاب والسنة، وهو استقراء تامٌّ لنصوص الشرع، أفـــاد هـــذه الحقيقة الشرعية، وهي أنّ التوحيد المطلوب من العباد هو الإيمان بوحدانيـــة الله في ربوبيته وألوهيَّته وأسمائه وصفاته، فمَن لم يأت بهذا جميعـــه فليـــس بمؤمن، وفيما يلي فصول ثلاثة في كل فصل منها بيان لقســـم مـــن هـــذه الأقسام:

الفصل الأول: توحيد الربوبية

المبحث الأول: معناه وأدلته من الكتاب والسنة والعقل والفطرة.

أولا: تعريفه:

أ- لغة : الربوبية مصدر من الفعل ربب، ومنه الربُّ، فالربوبية صفة الله، وهي مأخوذة من اسم الرب، والرب في كلام العرب يطلق على معان: منها المالك، والسيد المطاع، والمُصْلِح.

ب- أما في الاصطلاح : فإن توحيد الربوبية هو إفراد الله بأفعاله.

ومنها الخلق والرزق والسيادة والإنعام والملك والتصوير، والعطاء والمنع، والنفع والضر، والإحياء والإماتة، والتدبير المحكم، والقضاء والقدر، وغير ذلك من أفعاله التي لا شريك له فيها، ولهذا فإن الواجب على العبد أن يؤمن بذلك كله.

ثانيا: أدلته :

أ- من الكتاب : قوله تعالى: ﴿ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيۡرِ عَمَدٖ تَرَوۡنَهَاۖ وَأَلۡقَىٰ فِي ٱلۡأَرۡضِ رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمۡ وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٖۚ وَأَنزَلۡنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَنۢبَتۡنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوۡجٖ كَرِيمٍ ۝١٠ هَٰذَا خَلۡقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦۚ بَلِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ۝١١ ﴾[1] (لقمان: 10، 11). وقوله تعالى: ﴿ أَمۡ خُلِقُواْ مِنۡ غَيۡرِ شَيۡءٍ أَمۡ هُمُ ٱلۡخَٰلِقُونَ ۝٣٥ ﴾[2] (الطور: 35)

ب- من السنة : ما رواه الإمام أحمد وأبو داود من حديث عبد الله بن الشخير رضي الله عنه مرفوعا وفيه: (السيد الله تبارك وتعالى..). وقد ثبت في الترمذي وغيره أن النبي ﷺ قال في وصيته لابن عباس رضي الله عنهما:... ﴿ واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، وإن اجتمعوا

(1) سورة لقمان آية : 10 ، 11 .

(2) سورة الطور آية : 35 .

على أن يضروك بشيء لم يضـــروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام وجفت الصحف﴾ [1] [2].

ج- دلالة العقل : دل العقل على وجود الله تعالى وانفراده بالربوبيـــة وكمال قدرته على الخلق وسيطرته عليهم، وذلك عن طريق النظر والتفكر في آيات الله الدالة عليه. وللنظر في آيات الله والاستدلال بها على ربوبيته طـــرق كثيرة بحسب تنوع الآيات وأشهرها طريقان:

الطريق الأول : النظر في آيات الله في خلق النفس البشرية وهو مـــا يعرف بـــ (دلالة الأنفس)، فالنفس آية من آيات الله العظيمة الدالة على تفرد الله وحده بالربوبية لا شريك له، كما قـــال تعـــالى: ﴿ وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ ﴾ [3] (الذاريات: 21)، وقال تعالى: ﴿ وَنَفۡسٖ وَمَا سَوَّىٰهَا ﴾ [4] (الشمس: 7)، ولهذا لو أن الإنسان أمعن النظر في نفسه وما فيها من عجـــائب صنـــع الله لأرشده ذلك إلى أن له ربا خالقا حكيما خبيرا؛ إذ لا يستطيع الإنســـان أن يخلق النطفة التي كان منها ؟ أو أن يحولها إلى علقـــة، أو يحـــول العلقـــة إلى مضغة، أو يحول المضغة عظاما، أو يكسو العظام لحما ؟

الطريق الثاني : النظر في آيات الله في خلق الكون وهو ما يعـــرف بـــ (دلالة الآفاق)، وهذه كذلك آية من آيات الله العظيمة الدالـــة علـــى ربوبيته، قال الله

(1) الترمذي صفة القيامة والرقائق والورع (2516) ، أحمد (293/1) .

(2) سنن الترمذي (2516) ، ومسند أحمد (1 / 307) ، وقد حسن الحديث الترمذي وصححه ، وصححه الحاكم .

(3) سورة الذاريات آية : 21 .

(4) سورة الشمس آية : 7 .

تعالى: ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَـٰتِنَا فِى ٱلْـَٔافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾ ﴾ [1] (فصلت: 53).

ومن تأمل الآفاق وما في هذا الكون من سماء وأرض، وما اشتملت عليه السماء من نجوم وكواكب وشمس وقمر، وما اشتملت عليه الأرض من جبال وأشجار وبحار وأنهار، وما يكتنف ذلك من ليل ونهار وتسيير هذا الكون كله بهذا النظام الدقيق؛ دله ذلك على أن هناك خالقا لهذا الكون، موجدًا له مدبِّرًا لشؤونه، وكلما تدبر العاقل في هذه المخلوقات وتغلغل فكره في بدائع الكائنات علم أنها خُلقت للحق وبالحق، وأنها صحائف آيات، وكتب براهين ودلالات على جميع ما أخبر به الله عن نفسه وأدلة على وحدانيته.

وقد جاء في بعض الآثار أن قوما أرادوا البحث مع الإمام أبي حنيفة في تقرير توحيد الربوبية، فقال لهم رحمه الله: " أخبروني قبل أن نتكلم في هذه المسألة عن سفينة في دجلة تذهب فتمتلئ من الطعام وغيره بنفسها وتعود بنفسها، فترسو بنفسها وترجع، كل ذلك من غير أن يديرها أحد ؟ ".

فقالوا: " هذا محال لا يمكن أبدا. فقال لهم: إذا كان هذا محالا في سفينة فكيف في هذا العالم كله علوه وسفله ؟ ".

فنبه إلى أن اتساق العالم ودقة صنعه وتمام خلقه دليل على وحدانية خالقه وتفرده.

(1) سورة فصلت آية : 53 .

المبحث الثاني: بيان أن الإقرار بهذا التوحيد وحده لا ينجي من العذاب.

إن توحيد الربوبية هو أحد أنواع التوحيد الثلاثة كما تقدم؛ ولذا فإنــه لا يصح إيمان أحد ولا يتحقق توحيده إلا إذا وحد الله في ربوبيته، لكن هذا النوع من التوحيد ليس هو الغاية من بعثة الرسل عليهم السلام، ولا ينجـــي وحده من عذاب الله ما لم يأت العبد بلازمه توحيد الألوهية.

ولذا يقول الله تعالى: ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴿١٠٦﴾ ﴾ [1] (يوسف: 106)، والمعنى أي: ما يقر أكثرهم بالله ربا وخالقا ورازقا ومدبـــرا- وكل ذلك من توحيد الربوبية - إلا وهم مشركون معه في عبادته غيره مـــن الأوثان والأصنام التي لا تضر ولا تنفع، ولا تعطي ولا تمنع.

وبهذا المعنى للآية قال المفسرون من الصحابة والتابعين.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: " من إيمانهم إذا قيل لهـــم مـــن خلـــق السماء، ومن خلق الأرض ومن خلق الجبال ؟ قالوا: الله وهم مشركون ".

وقال عِكْرِمَة: " تسألهم من خلقهم ومن خلـــق السماوات والأرض فيقولون الله فذلك إيمانهم بالله، وهم يعبدون غيره ".

وقال مجاهد: " إيمانهم قولهم: الله خالقنا ويرزقنا ويميتنا فهذا إيمان مع شـــرك عبادتهم غيره ".

وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم بن زيد: " ليس أحد يعبد مـــع الله غيره إلا وهو مؤمن بالله ويعرف أن الله ربُّه، وأنَّ الله خالقُه ورازقُه، وهـــو يشرك به، ألا ترى كيف قال إبراهيم: ﴿ قَالَ أَفَرَءَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٧٥﴾ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلْأَقْدَمُونَ ﴿٧٦﴾ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّيٓ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٧﴾ ﴾ [2] (الشـــعراء: 75- 77) " [1] .

(1) سورة يوسف آية : 106 .

(2) سورة الشعراء آية : 75 ، 77 .

والنصوص عن السلف في هذا المعنى كثيرة، بل لقد كـــان المشـــركون زمن النبي ﷺ مقرين بالله ربا خالقا رازقا مدبرا، وكان شركهم به من جهـــة العبادة حيث اتخذوا الأنداد والشركاء يدعوهم ويستغيثون بهم وينزلون بهم حاجاتهم وطلباتهم.

وقد دل القرآن الكريم في مواطن عديدة منه علـــى إقـــرار المشـــركين بربوبية الله مع إشراكهم به في العبادة، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٦١﴾ ﴾ [2] (العنكبوت: 61)، وقوله تعالى: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٦٣﴾ ﴾ [3] (العنكبوت: 63)، وقوله تعالى: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٨٧﴾ ﴾ [4] (الزخرف: 87)، وقوله تعالى: ﴿ قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٨٧﴾ قُلْ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ ﴿٨٩﴾ ﴾ [5] (المؤمنون: 84- 89).

فلم يكن المشركون يعتقدون أن الأصنام هي التي تنزل الغيث وترزق العالم وتدبر شؤونه، بل كانوا يعتقدون أن ذلك مـــن خصـــائص الـــرب سبحانه، ويقرون أن أوثانهم التي يدعون من دون الله مخلوقة لا تملك لأنفسها ولا لعابديها ضرا ولا نفعا استقلالا ولا موتا ولا حياة ولا نشورا، ولا تسمع ولا تبصر، ويقرون أن الله هو

---

(1) انظر : تفسير ابن جرير (7 / 312- 313) .

(2) سورة العنكبوت آية : 61 .

(3) سورة العنكبوت آية : 63 .

(4) سورة الزخرف آية : 87 .

(5) سورة المؤمنون آية : 84 – 89 .

المتفرد بذلك لا شريك له، ليس إليهم ولا إلى أوثانهم شيء من ذلك، وأنه سبحانه الخالق وما عداه مخلوق والرب وما عداه مربوب، غير أنهم جعلوا له من خلقه شركاء ووسائط، يشفعون لهم بزعمهم عند الله ويقربونهم إليه زلفى؛ ولذا قال الله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ ﴾ [1] (الزمر: 3)، أي ليشفعوا لهم عند الله في نصرهم ورزقهم وما ينوبهم من أمر الدنيا.

ومع هذا الإقرار العام من المشركين لله بالربوبية إلا أنه لم يدخلهم في الإسلام بل حكم الله فيهم بأنهم مشركون كافرون وتوعدهم بالنار والخلود فيها واستباح رسوله ﷺ دماءهم وأموالهم لكونهم لم يحققوا لازم توحيد الربوبية وهو توحيد الله في العبادة.

وبهذا يتبين أن الإقرار بتوحيد الربوبية وحده دون الإتيان بلازمه توحيد الألوهية لا يكفي ولا ينجي من عذاب الله، بل هو حجة بالغة على الإنسان تقتضي إخلاص الدين لله وحده لا شريك له، وتستلزم إفراد الله وحده بالعبادة. فإذا لم يأت بذلك فهو كافر حلال الدم والمال.

(1) سورة الزمر آية : 3 .

المبحث الثالث: مظاهر الانحراف في توحيد الربوبية

بالرغم من أن توحيد الربوبية أمر مركوز في الفطر، مجبولة عليه النفوس، متكاثرة على تقريره الأدلة، إلا أنه وجد في الناس من حصل عنده انحراف فيه، ويمكن تلخيص مظاهر الانحراف في هذا الباب فيما يلي:

1 - جحد ربوبية الله أصلًا وإنكار وجوده سبحانه، كما يعتقد ذلك الملاحدة الذين يسندون إيجاد هذه المخلوقات إلى الطبيعة، أو إلى تقلب الليل والنهار، أو نحو ذلك ﴿ وَقَالُواْ مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُۚ ﴾ [1] (الجاثية: 24).

2- جحد بعض خصائص الرب سبحانه وإنكار بعض معاني ربوبيته، كمن ينفي قدرة الله على إماتته أو إحيائه بعد موته، أو جلب النفع له أو دفع الضر عنه، أو نحو ذلك.

3- إعطاء شيء من خصائص الربوبية لغير الله سبحانه، فمن اعتقد وجود متصرف مع الله ﷻ في أي شيء من تدبير الكون من إيجاد أو إعدام أو إحياء أو إماتة أو جلب خير أو دفع شر أو غير ذلك من معاني الربوبية فهو مشرك بالله العظيم.

---

(1) سورة الجاثية آية : 24 .

الفصل الثاني: توحيد الألوهية

الألوهية مشتقة من اسم الإله، أي المعبود المطاع، فالإله اسم من أسمــاء الله الحسنى، والألوهية صفة من صفات الله العظيمة، فهو ســبحانه المــألوه المعبود الذي يجب أن تألهه القلوب وتخضع له وتذل وتنقاد؛ لأنه ســبحانه الرب العظيم، الخالق لهذا الكون، المدبر لشؤونه، الموصوف بكل كمــال، المنــزه عن كل نقص، ولهذا فإن الذل والخضوع لا ينبغي إلا له، فحيــث كان متفردا بالخلق والإنشاء والإعادة لا يشركه في ذلك أحــد وجــب أن ينفرد وحده بالعبادة دون سواه لا يشرك معه في عبادته أحد.

فتوحيد الألوهية هو إفراد الله وحده بالعبادة، وذلك بأن يعلم العبدُ علمَ اليقِين أن الله وحده هو المألوه المعبود على الحقيقة، وأن صفــات الألوهيــة ومعانيها ليست موجودة في أحد من المخلوقات ولا يستحقها إلا الله تعــالى، فإذا علم العبد ذلك واعترف به حقا أفرد الله بالعبــادة كلــها الظــاهرة والباطنة، فيقوم بشرائع الإسلام الظاهرة كالصلاة والزكاة والصوم والحــج والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وبرِّ الوالدين وصلة الأرحــام، ويقــوم بأصوله الباطنة من الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقــدر خيره وشره، لا يقصد بشيء من ذلك غرضا من الأغراض غير رضا ربــه وطلب ثوابه.

وفي هذا الفصل سيتم تناول جملةٍ من المباحث المهمة المتعلقة بهذا النــوع من التوحيد.

المبحث الأول: أدلته، وبيان أهميته

المطلب الأول: أدلّته.

لقد تضافرت النصوص وتظاهرت الأدلة على وجوب إفراد الله بالألوهية، وتنوعت في دلالتها على ذلك:

1 - تارة بالأمر به، كما في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴾ [1] (البقرة: 21)، وقوله: ﴿ ۞وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ ﴾ [2] (النساء: 36)، وقوله: ﴿ ۞وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ ﴾ [3] (الإسراء: 23)، ونحوها من الآيات.

2 - وتارة ببيان أنه الأساس لوجود الخليقة والمقصود من إيجاد الثقلين، كما قال تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ ﴾ [4] (الذاريات: 56).

3 - وتارة ببيان أنه المقصود من بعثة الرسل كما في قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَۖ ﴾ [5] (النحل: 36)، وقوله: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ﴾ [6] (الأنبياء: 25).

(1) سورة البقرة آية : 21 .
(2) سورة النساء آية : 36 .
(3) سورة الإسراء آية : 23 .
(4) سورة الذاريات آية : 56 .
(5) سورة النحل آية : 36 .
(6) سورة الأنبياء آية : 25 .

4 – وتارة ببيان أنه المقصود من إنـزال الكتب الإلـهية، كمـا في قوله تعالى: ﴿ يُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ أَنْ أَنذِرُوٓاْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱتَّقُونِ ﴾ [1] (النحل: 2).

5 – وتـارة ببيان عظيم ثواب أهله وما أعد لهم من أجور عظيمـة ونعم كريمة في الدنيـا والآخرة، كما قال الله تعـالى: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴾ [2] (الأنعام: 82).

6 – وتارة بالتحذير من ضده، وبيان خطورة مناقضته، وذكر ما أعـد سبحانه من عقاب أليم لمن تركه، كقوله تعالى: ﴿ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴾ [3] (المائدة: 72)، وقوله تعالى: ﴿ وَلَا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتُلْقَىٰ فِى جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا ﴾ [4] (الإسراء: 39).

إلى غير ذلك من أنواع الأدلة المشتملة على تقرير التوحيد والدعوة إليـه والتنويه بفضله وبيان ثواب أهله وعظم خطورة مخالفته.

والسنة النبوية كذلك مليئة بالأدلة على هذا التوحيد وأهميته، من ذلك:

1 – ما رواه البخاري في صحيحه عن معاذ بن جبل ﵁ قال: قال النبي ﷺ: « يا معاذ أتدري ما حق الله على العباد ؟ قال: الله ورسوله أعلم. قـال: أن يعبدوه ولا

(1) سورة النحل آية : 2 .

(2) سورة الأنعام آية : 82 .

(3) سورة المائدة آية : 72 .

(4) سورة الإسراء آية : 39 .

يشركوا به شيئا، أتدري ما حقهم عليه ؟ قال: الله ورســوله أعلم. قال: أن لا يعذبهم ﴾ [1] [2] .

2 - وعن ابن عباس رضي الله عنه قال: لما بعث النبي ﷺ معاذا نحو اليمن قال لــه: ﴿ إنك تقدم على قوم من أهل الكتاب فليكــن أول مــا تدعوهــم إلى أن يوحدوا الله تعالى فإذا عرفوا ذلك فأخبرهم أن الله فــرض عليــهم خمــس صلوات ﴾ [3] ....، الحديث، رواه البخاري [4].

3 - وعن ابن مسعود رضي الله عنه أن رســول الله ﷺ قــال: ﴿ مــن مــات وهــو يــدعو من دون الله نــدًّا دخل النار ﴾ [5] ، رواه البخاري [6] .

4 - وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: ﴿ من لقي الله لا يشرك به شيئا دخل الجنة، ومن لقيه يشرك به شــيئا دخــل النــار ﴾ [7] ، رواه مسلم [8] .

والأحاديث في هذا الباب كثيرة.

المطلب الثاني بيان أهميته وأنه أساس دعوة الرسل

(1) البخاري التوحيد (6938) ، مسلم الإيمان (30) ، الترمذي الإيمان (2643) ، ابن ماجه الزهد (4296) ، أحمد (230/5) .

(2) صحيح البخاري (7373) .

(3) البخاري المغازي (4090) ، مسلم الإيمان (19) ، الترمذي الزكاة (625) ، النسائي الزكاة (2435) ، أبو داود الزكاة (1584) ، ابن ماجه الزكاة (1783) ، أحمد (233/1) ، الدارمي الزكاة (1614) .

(4) صحيح البخاري (7372) .

(5) البخاري تفسير القرآن (4227) ، مسلم الإيمان (92) ، أحمد (443/1) .

(6) صحيح البخاري (4497) .

(7) البخاري العلم (129) ، مسلم الإيمان (32) ، أحمد (244/3) .

(8) صحيح مسلم (93) .

المطلب الثاني: بيان أهميته وأنه أساس دعوة الرسل.

لا ريب أن توحيد الألوهية هو أعظم الأصول على الإطلاق وأكملها وأفضلها وألزمها لصلاح الإنسانية، وهو الذي خلق الله الجن والإنس لأجله، وخلق المخلوقات وشرع الشرائع لقيامه، وبوجوده يكون الصلاح، وبفقده يكون الشر والفساد، ولذا كان هذا التوحيد زبدة دعوة الرسل وغاية رسالتهم وأساس دعوتهم، يقول الله تبارك وتعالى: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾[1] (النحل: 36)، وقال: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴾[2] (الأنبياء: 25).

وقد دل القرآن الكريم في مواطن عديدة أن توحيد الألوهية هو مفتاح دعوة الرسل، وأن كل رسول يبعثه الله يكون أول ما يدعو قومه إليه توحيد الله وإخلاص العبادة له، قال الله تعالى: ﴿ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۗ قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ﴾[3] (الأعراف: 65)، وقال تعالى: ﴿ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا ۗ قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ﴾[4] (الأعراف: 73)، وقال تعالى: ﴿ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۗ قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ﴾[5] (الأعراف: 85).

(1) سورة النحل آية : 36 .
(2) سورة الأنبياء آية : 25 .
(3) سورة الأعراف آية : 65 .
(4) سورة الأعراف آية : 73 .
(5) سورة الأعراف آية : 85 .

المطلب الثالث: بيان أنه محور الخصومة بين الرسل وأممهم.

تقدم أن توحيد العبادة هو مفتتح دعوات الرسل جميعهم، فما من رسول بعثه الله إلا وكان أول ما يدعو قومه إليه هو توحيد الله، ولذا كانت الخصومة بين الأنبياء وأقوامهم في ذلك، فالأنبياء يدعونهم إلى توحيد الله وإخلاص العبادة له، والأقوام يصرون على البقاء على الشرك وعبادة الأوثان إلا من هداه الله منهم.

قال الله تعالى عن قوم نوح عليه السلام: ﴿ وَقَالُواْ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمۡ وَلَا تَذَرُنَّ وَدّٗا وَلَا سُوَاعٗا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسۡرٗا ۝٢٣ وَقَدۡ أَضَلُّواْ كَثِيرٗاۖ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا ضَلَٰلٗا ۝٢٤ ﴾ [1] (نوح: 23-24)، وقال عن قوم هود عليه السلام: ﴿ قَالُوٓاْ أَجِئۡتَنَا لِتَأۡفِكَنَا عَنۡ ءَالِهَتِنَا فَأۡتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ۝٢٢ ﴾ [2] (الأحقاف: 22)، ﴿ قَالُواْ يَٰهُودُ مَا جِئۡتَنَا بِبَيِّنَةٖ وَمَا نَحۡنُ بِتَارِكِيٓ ءَالِهَتِنَا عَن قَوۡلِكَ وَمَا نَحۡنُ لَكَ بِمُؤۡمِنِينَ ۝٥٣ ﴾ [3] (هود: 53).

وقال عن قوم صالح عليه السلام: ﴿ قَالُواْ يَٰصَٰلِحُ قَدۡ كُنتَ فِينَا مَرۡجُوّٗا قَبۡلَ هَٰذَآۖ أَتَنۡهَىٰنَآ أَن نَّعۡبُدَ مَا يَعۡبُدُ ءَابَآؤُنَا وَإِنَّنَا لَفِي شَكّٖ مِّمَّا تَدۡعُونَآ إِلَيۡهِ مُرِيبٖ ۝٦٢ ﴾ [4] (هود: 62).

وقال عن قوم شعيب عليه السلام: ﴿ قَالُواْ يَٰشُعَيۡبُ أَصَلَوٰتُكَ تَأۡمُرُكَ أَن نَّتۡرُكَ مَا يَعۡبُدُ ءَابَآؤُنَآ أَوۡ أَن نَّفۡعَلَ فِيٓ أَمۡوَٰلِنَا مَا نَشَٰٓؤُاْۖ إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلۡحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ ۝٨٧ ﴾ [5] (هود: 87).

---

(1) سورة نوح آية : 23 ، 24 .

(2) سورة الأحقاف آية : 22 .

(3) سورة هود آية : 53 .

(4) سورة هود آية : 62 .

(5) سورة هود آية : 87 .

وقال عن كفار قريش: ﴿ وَعَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنۡهُمۡۖ وَقَالَ ٱلۡكَٰفِرُونَ هَٰذَا سَٰحِرٌ كَذَّابٌ ۝٤ أَجَعَلَ ٱلۡأٓلِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًاۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٌ عُجَابٌ ۝٥ وَٱنطَلَقَ ٱلۡمَلَأُ مِنۡهُمۡ أَنِ ٱمۡشُواْ وَٱصۡبِرُواْ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمۡۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٌ يُرَادُ ۝٦ مَا سَمِعۡنَا بِهَٰذَا فِي ٱلۡمِلَّةِ ٱلۡأٓخِرَةِ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا ٱخۡتِلَٰقٌ ۝٧ ﴾ [1] (ص: 4-7).

وقال: ﴿ وَإِذَا رَأَوۡكَ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَٰذَا ٱلَّذِي بَعَثَ ٱللَّهُ رَسُولًا ۝٤١ إِن كَادَ لَيُضِلُّنَا عَنۡ ءَالِهَتِنَا لَوۡلَآ أَن صَبَرۡنَا عَلَيۡهَاۚ وَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ حِينَ يَرَوۡنَ ٱلۡعَذَابَ مَنۡ أَضَلُّ سَبِيلًا ۝٤٢ أَرَءَيۡتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيۡهِ وَكِيلًا ۝٤٣ أَمۡ تَحۡسَبُ أَنَّ أَكۡثَرَهُمۡ يَسۡمَعُونَ أَوۡ يَعۡقِلُونَۚ إِنۡ هُمۡ إِلَّا كَٱلۡأَنۡعَٰمِ بَلۡ هُمۡ أَضَلُّ سَبِيلًا ۝٤٤ ﴾ [2] (الفرقان: 41-44).

فهذه النصوص وما جاء في معناها تدل أوضح دلالة أن المعترك والخصومة بين الأنبياء وأقوامهم إنما كان حول توحيد العبادة والدعوة إلى إخلاص الدين لله.

وقد ثبت في الصحيح أن النبي ﷺ قال: « أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة، فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام وحسابهم على الله » [3] [4].

وثبت في الصحيح أيضا عن النبي ﷺ قال: « من قال لا إله إلا الله وكفر بما يعبد من دون الله حرُم ماله ودمه وحسابه على الله » [5] [6].

(1) سورة ص آية : 4 – 7 .
(2) سورة الفرقان آية : 41 – 44 .
(3) البخاري الإيمان (25) ، مسلم الإيمان (22) .
(4) صحيح البخاري برقم (52) ، وصحيح مسلم برقم (22) .
(5) مسلم الإيمان (23) ، أحمد (394/6) .
(6) صحيح مسلم برقم (23) .

المبحث الثاني: وجوب إفراد الله بالعبادة، وتحته مطالب

المطلب الأول: معنى العبادة والأصول التي تُبنى عليها.

العبادة في اللغة: الذل والخضوع، يقال: بعير معبد، أي: مذلل، وطريــق معبد: إذا كان مذللا قد وطئته الأقدام.

وشرعا: هي اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمــال الظاهرة والباطنة.

وسيأتي ما يوضح ذلك عند ذكر بعض أنواع العبادة.

وهي تبنى على ثلاثة أركان:

الأول: كمال الحب للمعبود سبحانه، كما قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ﴾ [1] (البقرة: 165).

الثاني: كمال الرجاء، كما قال تعالى: ﴿ وَيَرۡجُونَ رَحۡمَتَهُۥ ﴾ [2] (الإسراء: 57).

الثالث: كمال الخوف من الله سبحانه، كما قــال تعــالى: ﴿ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓۚ ﴾ [3] (الإسراء: 57).

وقد جمع الله سبحانه بين هذه الأركان الثلاثة العظيمة في فاتحة الكتــاب في قوله سبحانه: ﴿ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٢ ﴾ [4] ﴿ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣ ﴾ [5] ﴿ مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ۝٤ ﴾ [6] ، فالآية الأولى فيها المحبة؛ فإن الله منعم، والمنعم يُحبُّ علــى

(1) سورة البقرة آية : 165 .
(2) سورة الإسراء آية : 57 .
(3) سورة الإسراء آية : 57 .
(4) سورة الفاتحة آية : 2 .
(5) سورة الفاتحة آية : 3 .
(6) سورة الفاتحة آية : 4 .

قـــدر إنعامه، والآية الثانية فيها الرجاء، فالمتصف بالرحمة ترجى رحمتـــه، والآية الثالثة فيها الخوف، فمالك الجزاء والحساب يخاف عذابه.

ولهذا قال تعالى عقب ذلك: ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ ﴾ [1] ، أي: أعبدك يا رب هـــذه الثلاث: بمحبتك التي دل عليها: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢ ﴾ [2] ، ورجائك الـــذي دل عليه: ﴿ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣ ﴾ [3] ، وخوفـــك الـــذي دل عليـــه: ﴿ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ۝٤ ﴾ [4] .

والعبادة لا تقبل إلا بشرطين:

1 – الإخلاص فيها للمعبود ؛ فإن الله لا يقبل من العمل إلا الخـــالص لوجهه سبحانه، قال تعالى: ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ﴾ [5] (البينة: 5)، وقال تعالى: ﴿ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ ﴾ [6] (الزمر: 3)، وقال تعـــالى: ﴿ قُلِ ٱللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَّهُۥ دِينِى ۝١٤ ﴾ [7] (الزمر: 14).

2 – المتابعة للرسول صلى الله عليه وسلم؛ فإن الله لا يقبل من العمل إلا الموافق لهدي الرسول ﷺ قال الله تعالى: ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُواْ

---

(1) سورة الفاتحة آية : 5 .
(2) سورة الفاتحة آية : 2 .
(3) سورة الفاتحة آية : 3 .
(4) سورة الفاتحة آية : 4 .
(5) سورة البينة آية : 5 .
(6) سورة الزمر آية : 3 .
(7) سورة الزمر آية : 14 .

﴾ [1] (الحشر: 7)، وقال تعالى: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾ ﴾ [2] (النساء: 65).

وقوله ﷺ ﴿ من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد ﴾ [3] [4] (أي مردود عليه).

فلا عبرة بالعمل ما لم يكن خالصا لله صوابا على سنة رسول الله ﷺ قال الفضيل بن عياض رحمه الله في قوله تعالى: ﴿ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾ [5] (هود: 7، الملك: 2): " أخلصه وأصوبه "، قيل: يا أبا علي، وما أخلصه وأصوبه ؟ قال: " إن العمل إذا كان خالصا ولم يكن صوابا لم يقبل، وإذا كان صوابا ولم يكن خالصا لم يقبل حتى يكون خالصا صوابا، والخالص ما كان لله، والصواب ما كان على السنة " [6] .

ومن الآيات الجامعة لهذين الشرطين قوله تعالى في آخر سورة الكهف: ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴿١١٠﴾ ﴾ [7] (الكهف: 110).

---

(1) سورة الحشر آية : 7 .

(2) سورة النساء آية : 65 .

(3) البخاري الصلح (2550) ، مسلم الأقضية (1718) ، أبو داود السنة (4606) ، ابن ماجه المقدمة (14) ، أحمد (270/6) .

(4) صحيح البخاري برقم (2697) .

(5) سورة هود آية : 7 .

(6) حلية الأولياء : (8 / 95) .

(7) سورة الكهف آية : 110 .

المطلب الثاني: ذكر بعض أنواع العبادة.

العبادة أنواعها كثيرة، فكل عمل صالح يحبه الله ويرضاه قولي أو فعلي ظاهر أو باطن فهو نوع من أنواعها وفرد من أفرادها، وفيما يلي ذكر بعض الأمثلة على ذلك:

1 – فمن أنواع العبادة: الدعاء، بنوعيه دعاء المسألة، ودعاء العبادة.

قال الله تعالى: ﴿ فَٱدۡعُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ﴾ [(1)] (غافر: 14)، وقال تعالى: ﴿ وَأَنَّ ٱلۡمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدۡعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدٗا ١٨ ﴾ [(2)] (الجن: 18)، وقال تعالى: ﴿ وَمَنۡ أَضَلُّ مِمَّن يَدۡعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسۡتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَهُمۡ عَن دُعَآئِهِمۡ غَٰفِلُونَ ٥ وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُواْ لَهُمۡ أَعۡدَآءٗ وَكَانُواْ بِعِبَادَتِهِمۡ كَٰفِرِينَ ٦ ﴾ [(3)] (الأحقاف: 5– 6).

فمن دعا غير الله ﷻ بشيء لا يقدر عليه إلا الله فهو مشرك كافر سواء كان المدعو حيا أو ميتا، ومن دعا حيا. بما يقدر عليه مثل أن يقول: يا فلان أطعمني، أو يا فلان اسقني، ونحو ذلك فلا شيء عليه، ومن دعا ميتا أو غائبا. بمثل هذا فإنه مشرك؛ لأن الميت والغائب لا يمكن أن يقوم. بمثل هذا.

والدعاء نوعان: دعاء المسألة ودعاء العبادة.

فدعاء المسألة، هو سؤال الله من خيري الدنيا والآخرة، ودعاء العبادة يدخل فيه كل القربات الظاهرة والباطنة؛ لأن المتعبد لله طالب بلسان مقاله ولسان حاله من ربه قبول تلك العبادة والإثابة عليها.

---

(1) سورة غافر آية : 14 .

(2) سورة الجن آية : 18 .

(3) سورة الأحقاف آية : 5 ، 6 .

وكل ما ورد في القرآن من الأمر بالدعاء والنهي عن دعاء غير الله والثناء على الداعين يتناول دعاء المسألة ودعاء العبادة.

2، 3، 4 – ومن أنواع العبادة: المحبة والخوف والرجاء، وقد تقدم الكلام عليها وبيان أنها أركان للعبادة.

5 – ومن أنواعها: التوكل، وهو الاعتماد على الشيء.

والتوكل على الله: هو صدق تفويض الأمر إلى الله تعالى اعتمادا عليه وثقة به مع مباشرة ما شرع وأباح من الأسباب لتحصيل المنافع ودفع المضار، قال الله تعالى: ﴿ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴾ [1] (المائدة: 23)، وقال تعالى: ﴿ وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓۚ ﴾ [2] (الطلاق: 3).

6، 7، 8– ومن أنواع العبادة: الرغبة والرهبة والخشوع.

فأما الرغبة: فمحبة الوصول إلى الشيء المحبوب، والرهبة: الخوف المثمر للهرب من المخوف، والخشوع: الذل والخضوع لعظمة الله بحيث يستسلم لقضائه الكوني والشرعي، قال الله تعالى في ذكر هذه الأنواع الثلاثة من العبادة: ﴿ إِنَّهُمۡ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَيَدۡعُونَنَا رَغَبٗا وَرَهَبٗاۖ وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴾ [3] (الأنبياء: 90).

9 – ومن أنواعها: الخشية، وهي الخوف المبني على العلم بعظمة من يخشاه وكمال سلطانه، قال الله تعالى: ﴿ مِنۡهُمۡ فَلَا تَخۡشَوۡهُمۡ ﴾ [4] (البقرة: 150).

﴿ فَلَا تَخۡشَوۡهُمۡ وَٱخۡشَوۡنِۚ ﴾ [1] (المائدة: 3).

(1) سورة المائدة آية : 23 .

(2) سورة الطلاق آية : 3 .

(3) سورة الأنبياء آية : 90 .

(4) سورة البقرة آية : 150 .

10- ومنها الإنابة ، وهي الرجوع إلى الله تعالى بالقيام بطاعته واجتناب معصيته، قال الله تعالى: ﴿ وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمۡ وَأَسۡلِمُواْ لَهُۥ ﴾ [2] (الزمر: 54).

11 - ومنها: الاستعانة ، وهي طلب العون من الله في تحقيق أمور الدين والدنيا، قال الله تعالى: ﴿ إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ۝٥ ﴾ [3] ، وقال ﷺ في وصيته لابن عباس: ﴿ إذا استعنت فاستعن بالله ﴾ [4] [5] .

12 - ومنها: الاستعاذة ، وهي طلب الإعاذة والحماية من المكروه، قال الله تعالى: ﴿ قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلۡفَلَقِ ۝١ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ۝٢ ﴾ [6] وقال تعالى ﴿ قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ۝٢ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ۝٣ مِن شَرِّ ٱلۡوَسۡوَاسِ ٱلۡخَنَّاسِ ۝٤ ﴾ [7] .

13 - ومنها الاستغاثة ، وهو طلب الغوث، وهو الإنقاذ من الشدة والهلاك، قال الله تعالى: ﴿ إِذۡ تَسۡتَغِيثُونَ رَبَّكُمۡ فَٱسۡتَجَابَ لَكُمۡ ﴾ [8] (الأنفال: 9).

14 - ومنها الذبح ، وهو إزهاق الروح بإراقة الدم على وجه الخصوص تقربا إلى الله، قال الله تعالى: ﴿ قُلۡ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحۡيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝١٦٢ ﴾ [9] (الأنعام: 162)، وقال تعالى: ﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنۡحَرۡ ۝٢ ﴾ [1] (الكوثر: 2).

---

(1) سورة المائدة آية : 3 .

(2) سورة الزمر آية : 54 .

(3) سورة الفاتحة آية : 5 .

(4) الترمذي صفة القيامة والرقائق والورع (2516) ، أحمد (308/1) .

(5) سنن الترمذي (2516) ، ومسند أحمد (1 / 307) ، وقد حسن الحديث الترمذي وصححه الحاكم .

(6) سورة الفلق آية : 1 ، 2 .

(7) سورة الناس آية : 1 – 4 .

(8) سورة الأنفال آية : 9 .

(9) سورة الأنعام آية : 162 .

15 – ومنها النذر ، وهو إلزام المرء نفسه بشيء ما، أو طاعة لله غير واجبة، قال الله تعالى: ﴿ يُوفُونَ بِٱلنَّذۡرِ وَيَخَافُونَ يَوۡمٗا كَانَ شَرُّهُۥ مُسۡتَطِيرٗا ۝٧ ﴾ [2] (الإنسان: 7).

فهذه بعض الأمثلة على أنواع العبادة، وجميع ذلك حق لله وحده لا يجوز صرف شيء منه لغير الله.

والعبادة بحسب ما تقوم به من الأعضاء على ثلاثة أقسام:

القسم الأول: عبادات القلب، كالمحبة والخوف والرجاء والإنابة والخشية والرهبة والتوكل ونحو ذلك.

القسم الثاني: عبادات اللسان، كالحمد والتهليل والتسبيح والاستغفار وتلاوة القرآن والدعاء ونحو ذلك.

القسم الثالث: عبادات الجوارح، كالصلاة والصيام والزكاة والحج والصدقة والجهاد، ونحو ذلك.

---

(1) سورة الكوثر آية : 2 .

(2) سورة الإنسان آية : 7 .

المبحث الثالث: حماية المصطفى ﷺ جناب التوحيد

لقد كان النبي ﷺ حريصا أشد الحرص على أمته؛ لتكون عزيزة منيعة محققة لتوحيد الله ﷻ مجانبة لكل الوسائل والأسباب المفضية لما يضاده ويناقضه، قال الله تعالى: ﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾ ﴾ [1] (التوبة: 128).

وقد أكثر ﷺ في النهي عن الشرك وحذر وأنذر وأبدأ وأعاد وخص وعم في حماية الحنيفية السمحة ملة إبراهيم التي بعث بها من كل ما قد يشوبها من الأقوال والأعمال التي يضمحل معها التوحيد أو ينقص، وهذا كثير في السنة الثابتة عنه ﷺ فأقام الحجة، وأزال الشبهة، وقطع المعذرة، وأبان السبيل.

وفي المطالب التالية عرض يتبين من خلاله حماية المصطفى ﷺ حمى التوحيد وسده كل طريق يفضي إلى الشرك والباطل.

المطلب الأول: الرقى.

أ- تعريفها: الرقى جمع رقية، وهي القراءة والنفث طلبا للشفاء والعافية، سواء كانت من القرآن الكريم أو من الأدعية النبوية المأثورة.

ب- حكمها: الجواز، ومن الأدلة على ذلك ما يلي:

فعن عوف بن مالك رضي الله عنه قال: ﴿ كنا نرقي في الجاهلية فقلنا: يا رسول الله كيف ترى في ذلك ؟ فقال: اعرضوا علي رقاكم، لا بأس بالرقى ما لم يكن فيه شرك ﴾ [2] ، رواه مسلم [3] .

---

(1) سورة التوبة آية : 128 .

(2) مسلم السلام (2200) ، أبو داود الطب (3886) .

(3) صحيح مسلم برقم (2200) .

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: ﴿رخص رسول الله ﷺ في الرقية من العين [1] والحمة [2] والنملة﴾ [3] "، رواه مسلم [4] .

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ ﴿من استطاع أن ينفع أخاه فليفعل﴾ [5] ، رواه مسلم [6] .

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: ﴿كان رسول الله ﷺ إذا اشتكى منا إنسان مسحه بيمينه ثم قال: أذهب الباس رب الناس واشف أنت الشافي لا شفاء إلا شفاؤك شفاء لا يغادر سقما﴾ [7] ، رواه البخاري ومسلم [8] .

ج- شروطها: ولجوازها وصحتها شروط ثلاثة:

الأول: أن لا يعتقد أنها تنفع لذاتها دون الله، فإن اعتقد أنها تنفع بذاتها من دون الله فهو محرم، بل هو شرك، بل يعتقد أنها سبب لا تنفع إلا بإذن الله.

الثاني: أن لا تكون بما يخالف الشرع كما إذا كانت متضمنة دعاء غير الله أو استغاثة بالجن وما أشبه ذلك، فإنها محرمة، بل شرك.

الثالث: أن تكون مفهومة معلومة، فإن كانت من جنس الطلاسم والشعوذة فإنها لا تجوز.

---

(1) " العين " إصابة العائن غيره بعينه بقدر الله .

(2) " الحمة " بحاء مهملة مضمومة ثم ميم مخففة : وهي السم ، ومعناه : أذن في الرقية من كل ذات سم ، مثل لدغة الثعبان ، أو العقرب أو نحوهما .

(3) " النملة " بفتح النون وإسكان الميم : قروح تخرج من الجنب .

(4) صحيح مسلم برقم (2196) .

(5) مسلم السلام (2198) ، أحمد (302/3) .

(6) صحيح مسلم برقم (2199) .

(7) البخاري الطب (5418) ، مسلم السلام (2191) ، ابن ماجه الطب (3520) ، أحمد (45/6) .

(8) صحيح البخاري برقم (5743) ، وصحيح مسلم برقم (2191) .

وقد سئل الإمام مالك رحمه الله: أيرقي الرجل ويسترقي ؟ فقال: " لا بأس بذلك، بالكلام الطيب ".

د- الرقية الممنوعة: كل رقية لم تتوفر فيها الشروط المتقدمة فإنها محرمة ممنوعة، كأن يعتقد الراقي أو المرقي أنها تنفع وتؤثر بذاتها، أو تكون مشتملة على ألفاظ شركية وتوسلات كفرية وألفاظ بدعية، ونحو ذلك، أو تكون بألفاظ غير مفهومة كالطلاسم ونحوها.

المطلب الثاني: التمائم.

أ- تعريفها: التمائم جمع تميمة، وهي ما يعلق على العنق وغيره من تعويذات أو خرزات أو عظام أو نحوها لجلب نفع أو دفع ضر، وكان العرب في الجاهلية يعلقونها على أولادهم يتقون بها العين بزعمهم الباطل.

ب- حكمها: التحريم،

بل هي نوع من أنواع الشرك؛ لما فيها من التعلق بغير الله؛ إذ لا دافع إلا الله، ولا يطلب دفع المؤذيات إلا بالله وأسمائه وصفاته.

عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ﴿إن الرقى والتمائم والتولة شرك﴾ [1] ، رواه أبو داود والحاكم [2] .

وعن عبد الله بن عكيم رضي الله عنه مرفوعا: ﴿من تعلق شيئا وكل إليه﴾ [3] ، رواه أحمد والترمذي والحاكم [4] .

(1) أبو داود الطب (3883) ، ابن ماجه الطب (3530) ، أحمد (381/1) .

(2) سنن أبي داود برقم (3883) ، ومستدرك (4 / 241) وصححه الحاكم ووافقه الذهبي .

(3) الترمذي الطب (2072) .

(4) مسند أحمد (4 /310) ، وسنن الترمذي برقم (2072) ، ومستدرك الحاكم (4 / 241) وصححه الحاكم .

وعن عقبة بن عامر ﷺ مرفوعا: ﴿من تعلق تميمة فلا أتم الله له، ومن تعلق ودعة فلا ودع الله له﴾[1]، رواه أحمد والحاكم[2] .

وعن عقبة بن عامر ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: ﴿من علق تميمة فقد أشرك﴾ [3] ، رواه أحمد[4] . فهذه النصوص وما في معناها في التحذير من الرقى الشركية التي كانت هي غالب رقى العرب فنهي عنها لما فيها من الشرك والتعلق بغير الله تعالى.

ج- وإذا كان المعلق من القرآن الكريم، فهذه المسألة اختلف فيها أهل العلم، فذهب بعضهم إلى جواز ذلك، ومنهم من منع ذلك، وقال لا يجوز تعليق القرآن للاستشفاء، وهو الصواب لوجوه أربعة:

1- عموم النهي عن تعليق التمائم، ولا مخصص للعموم.

2- سدا للذريعة، فإنه يفضي إلى تعليق ما ليس من القرآن.

3- أنه إذا علق فلا بد أن يمتهن المعلق بحمله معه في حال قضاء الحاجة والاستنجاء، ونحو ذلك.

4- أن الاستشفاء بالقرآن ورد على صفة معينة، وهي القراءة به على المريض فلا تتجاوز.

المطلب الثالث لبس الحلقة والخيط ونحوها

---

(1) أحمد (154/4) .

(2) مسند أحمد (4/ 154) ، ومستدرك الحاكم (4/ 240) ، وصححه الحاكم ووافقه الذهبي .

(3) أحمد (156/4) .

(4) مسند أحمد (4 / 156) ، وصححه الحاكم (4/ 244) وقال عبد الرحمن بن حسن ورواته ثقات .

المطلب الثالث: لبس الحلقة والخيط ونحوها.

أ- الحلقة قطعة مستديرة من حديد أو ذهب أو فضة أو نحاس أو نحـــو ذلك، والخيط معروف، وقد يجعل من الصوف أو الكتان أو نحوه، وكـــانت العرب في الجاهلية تعلق هذا ومثله لدفع الضر أو جلب النفع أو اتقاء العـــين، والله تعالى يقول: ﴿ قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِىَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَـٰشِفَـٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوْ أَرَادَنِى بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَـٰتُ رَحْمَتِهِۦ ۚ قُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ ۖ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٣٨﴾ ﴾ [1] (الزمر: 38)، ويقول تعالى: ﴿ قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا ﴿٥٦﴾ ﴾ [2] (الإسراء: 56).

وعن عمران بن حصين رضي الله عنه ﴿ أن النبي ﷺ رأى رجلا في يده حلقة مـــن صفر فقال: ما هذه ؟ قال: من الواهنة، فقال: انـــزعها؛ فإنها لا تزيـــدك إلا وهنا، انبذها عنك، فإنك لو مت وهي عليك مـــا أفلحـــت أبـــدا ﴾ [3] ، رواه أحمد [4] .

وعن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه (أنه رأى رجلا في يده خيط من الحمـــى فقطعه وتلا قوله تعـــالى: ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴿١٠٦﴾ ﴾ [5] (يوسف: 106) [6] .

---

(1) سورة الزمر آية : 38 .

(2) سورة الإسراء آية : 56 .

(3) ابن ماجه الطب (3531) ، أحمد (445/4) .

(4) المسند (4 / 445) ، وقال البوصيري إسناده حسن وقال الهيثمي رجاله ثقات .

(5) سورة يوسف آية : 106 .

(6) تفسير ابن أبي حاتم (7 / 2207) .

ب- حكم لبس الحلقة والخيط ونحو ذلك، محرم فإن اعتقد لابسها أنها مؤثرة بنفسها دون الله فهو مشرك شركا أكبر في توحيد الربوبية؛ لأنه اعتقد وجود خالق مدبر مع الله تعالى الله عما يشركون.

وإن اعتقد أن الأمر لله وحده وأنها مجرد سبب، ولكنه ليس مؤثرا فهو مشرك شركا أصغر لأنه جعل ما ليس سببا سببا والتفت إلى غير ذلك بقلبه، وفعله هذا ذريعة للانتقال للشرك الأكبر إذا تعلق قلبه بها ورجا منها جلب النعماء أو دفع البلاء.

المطلب الرابع التبرك بالأشجار والأحجار ونحوها

المطلب الرابع: التبرك بالأشجار والأحجار ونحوها.

التبرك هو طلب البركة، وطلب البركة لا يخلو من أمرين:

1 - أن يكون التبرك بأمر شرعي معلوم مثل القرآن قال الله تعالى: ﴿ وَهَـٰذَا كِتَـٰبٌ أَنزَلْنَـٰهُ مُبَارَكٌ ﴾ [1] (الأنعام: 92، 155)، فمن بركته هدايته للقلوب وشفاؤه للصدور وإصلاحه للنفوس وتهذيبه للأخلاق، إلى غير ذلك من بركاته الكثيرة.

2 - أن يكون التبرك بأمر غير مشروع، كالتبرك بالأشجار والأحجار والقبور والقباب والبقاع ونحو ذلك، فهذا كله من الشرك.

فعن أبي واقد الليثي قال: «خرجنا مع رسول الله ﷺ إلى حنين ونحن حدثاء عهد بكفر، وللمشركين سدرة [2] يعكفون عندها وينوطون بها أسلحتهم، يقال لها ذات أنواط، فمررنا بسدرة، فقلنا: يا رسول الله ﷺ اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط، فقال رسول الله ﷺ الله أكبر، إنها السنن، قلتم والذي نفسي بيده كما قالت بنو إسرائيل لموسى: ﴿ ٱجْعَل لَّنَآ إِلَـٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ ۚ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ

(1) سورة الأنعام آية : 92 .

(2) السدرة : شجرة ذات شوك .

تَجۡهَلُونَ ﴿١٣٨﴾ ﴾ [1] (الأعـــراف: 138)، لتركبن سنـــن مـــن كـــان قبلكـــم ﴾ ، رواه التـــرمـــذي وصـــححه [2] .

فقد دل هذا الحديـــث على أن ما يفعله من يعتقد في الأشجار والقبـــور والأحجار ونحوها من التبرك بها والعكوف عندها والذبح لها هو الشـــرك، ولهذا أخبر في الحديث أن طلبهم كطلب بني إسرائيل لمـــا قـــالوا لموسى: اجعل لنا إلها كما لهم آلهة فهؤلاء طلبوا سدرة يتبركون بهـــا كمـــا يتبرك المشركون، وأولئك طلبوا إلـــها كما لهم آلهة، فيكون في كلا الطلبين منافاة للتوحيد؛ لأن التبرك بالشجر نوع من الشرك، واتخاذ إلـــه غـــير الله شرك واضح.

وفي قوله ﷺ في الحديث: ﴿ لتركبن سنن من كان قبلكـــم ﴾ [3] إشـــارة إلى أن شيئا من ذلك سيقع في أمته ﷺ وقد قال ذلك عليه الصلاة والسلام ناهيـــا ومحذرا.

المطلب الخامس النهي عن أعمال تتعلق بالقبور

المطلب الخامس: النهي عن أعمال تتعلق بالقبور.

لقد كان الأمر في صدر الإسلام على منع زيارة القبور لقرب عـــهدهم بالجاهلية حماية لحمى التوحيد وصيانة لجنابه، ولما حسن الإيمان وعظم شـــأنه في الناس ورسخ في القلوب واتضحت براهين التوحيد وانكشـــفت شـــبهة الشرك جاءت مشروعية زيارة القبور محددة أهدافها موضحة مقاصدها.

فعن بريدة بن الحصيب ؓ قال: قال رسول الله ﷺ ﴿ نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها ﴾ [4] ، رواه مسلم [5] .

---

(1) سورة الأعراف آية : 138 .

(2) سنن الترمذي برقم (2180) .

(3) الترمذي الفتن (2180) ، أحمد (218/5) .

(4) مسلم الجنائز (977) ، النسائي الأشربة (5652) ، أبو داود الأشربة (3698) ، أحمد (350/5) .

(5) صحيح مسلم برقم (977) .

وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال النبي ﷺ ﴿زوروا القبور فإنـــها تذكـــر الموت﴾ [1] [2] .

وعن أبي سعيد الخدري ﷺ قال رسول الله ﷺ ﴿إني نهيتكـــم عن زيـــارة القبور فزوروها فإن فيها عبرة﴾ [3] [4] .

وعن أنس بن مالك ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ ﴿كنت نهيتكم عـــن زيارة القبور ألا فزوروها؛ فإنها ترق القلب وتدمع العين وتذكر الآخرة، ولا تقولوا هجرا﴾ [5] [6] .

وعن بريدة ﷺ قال: ﴿كان رسول الله ﷺ يعلمهم إذا خرجوا إلى المقابر فكان قائلهم يقول: السلام عليكـــم أهل الديار من المؤمنين والمسلمين، وإنـــا إن شاء الله بكم للاحقون، أسأل الله لنا ولكم العافية﴾ [7] ، رواه مسلم [8] .

فهذه الأحاديث وما جاء في معناها تدل على أن مشروعية زيارة القبـــور بعد المنع من ذلك إنما كانت لهدفين عظيمين وغايتين جليلتين:

---

(1) مسلم الجنائز (976) ، النسائي الجنائز (2034) ، أبو داود الجنائز (3234) ، ابن ماجه ما جاء في الجنائز (1572) ، أحمد (2/ 441) .

(2) صحيح مسلم برقم (975) .

(3) أحمد (3/38) ، مالك الضحايا (1048) .

(4) مسند أحمد (3/ 38) ، ومستدرك الحاكم (1/ 531) .

(5) أحمد (3/237) .

(6) مستدرك الحاكم (1 / 532) .

(7) مسلم الجنائز (975) ، النسائي الجنائز (2040) ، ابن ماجه ما جاء في الجنائز (1547) ، أحمد (5/353) .

(8) صحيح مسلم برقم (975) .

الأولى: التزهيد في الدنيا بتذكر الآخرة والموت والبلى، والاعتبار بـأهل القبور مما يزيد في إيمان الشخص ويقوي يقينه ويعظم صلته بالله، ويذهـب عنه الإعراض والغفلة.

الثانية: الإحسان إلى الموتى بالدعاء لهم والترحم عليهم وطلب المغفـرة لهم وسؤال الله العفو عنهم.

هذا الذي دل عليه الدليل، ومن ادعى غير ذلـك طولـب بالحجـة والبرهان.

ثم إن السنة قد جاءت بالنهي عن أمور عديدة متعلقة بالقبور وزيارتها، صيانة للتوحيد وحماية لجنابه، يجب على كل مسلم تعلمها ليكون في أمنـة من الباطل وسلامة من الضلال، ومن ذلك:

1 - النهي عن قول الهجر عند زيارة القبور.

وقد تقدم قوله ﷺ ﴿ولا تقولوا هجرا﴾ [1] ، والمراد بالهجر كل أمر محظـور شرعا، ويأتي في مقدمة ذلك الشرك بالله بدعاء المقبورين وسؤالهم مـن دون الله والاستغاثة بهم وطلب المدد والعافية منهم، فكل ذلك من الشرك البـواح والكفر الصراح، وقد ثبت عن النبي ﷺ أحاديث عديدة صريحة في المنع مـن ذلك والنهي عنه ولعن فاعله، ففي صحيح مسلم عن جندب بن عبـد الله رضي الله عنه أنه قال: سمعت رسول الله ﷺ قبل أن يموت بخمس يقول: ﴿ألا إن من كـان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد إنِّي أنهاكم عن ذلك﴾ [2] [3] . فدعاء الأمـوات وسـؤالهم الحاجـات وصرف شيء من العبادة

(1) النسائي الجنائز (2033) ، أبو داود الأشربة (3698) ، أحمد (355/5) .
(2) مسلم المساجد ومواضع الصلاة (532) .
(3) صحيح مسلم برقم (532) .

لهم شرك أكبر، أما العكوف عند القبور وتحـــري إجابة الدعاء عندها ومثله الصلاة في المساجد التي فيها القبور فهو من البـــدع المنكرة.

وفي الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها: أنه ﷺ قال في مرضه الـــذي لم يقم منه: ﴿ لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد ﴾ [1] [2] .

2 – الذبح والنحر عند القبور.

فإن كان ذلك تقربا إلى المقبورين ليقضوا حاجة للشخص فهو شـــرك أكبر وإن كان لغير ذلك فهو من البدع الخطيرة التي هي من أعظم وســـائل الشرك لقوله ﷺ ﴿ لا عقر في الإسلام ﴾ [3] ، قال عبد الرزاق: ﴿ كانوا يعقرون عند القبر بقرة أو شاة ﴾ [4] [5] .

3، 4، 5، 6، 7– رفعها زيادة على التراب الخارج منـــها، وتجصيصها، والكتابة عليها، والبناء عليها، والقعود عليها.

فكل ذلك من البدع التي ضلت بها اليهود والنصارى وكانت من أعظم ذرائع الشرك، فعن جابر رضي الله عنه قال: ﴿ نهى رسول الله ﷺ أن يجصص القـــبر، وأن يقعد عليه،

---

(1) البخاري الجنائز (1324) ، مسلم المساجد ومواضع الصلاة (531) ، النسائي المساجد (703) ، أحمد (146/6) ، الدارمي الصلاة (1403) .

(2) صحيح البخاري برقم (1330) ، وصحيح مسلم برقم (531) .

(3) أبو داود الجنائز (3222) ، أحمد (197/3) .

(4) أبو داود الجنائز (3222) ، أحمد (197/3) .

(5) سنن أبي داود لرقم (3222) .

وأن يبنى عليه، وأن يزاد عليه، أو يكتب عليه ﴾ [1] . رواه مسلم، وأبو داود، والحاكم [2] .

8 – الصلاة إلى القبور وعندها.

فعن أبي مرثد الغنوي قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: لا تصلوا إلى القبور، ولا تجلسوا عليها))، رواه مسلم [3] .

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ ﴿ الأرض كلها مسجد، إلا المقبرة والحمام ﴾ [4] . رواه أبو داود والترمذي [5] .

9 – بناء المساجد عليها.

وهو بدعة من ضلالات اليهود والنصارى وتقدم حديث عائشة: ﴿ لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد ﴾ [6] .

10 – اتخاذها عيدا.

وهو من البدع التي جاء النهي الصريح عنها لعظم ضررها، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ ﴿ لا تتخذوا قبري عيدا [1] ولا تجعلوا بيوتكم قبورا، وحيثما كنتم فصلوا علي، فإن صلاتكم تبلغني ﴾ ، رواه أبو داود وأحمد [2] .

---

(1) مسلم الجنائز (970) ، الترمذي الجنائز (1052) ، النسائي الجنائز (2027) ، أبو داود الجنائز (3225) ، ابن ماجه ما جاء في الجنائز (1563) ، أحمد (339/3) .

(2) صحيح مسلم برقم (970) ، وسنن أبي داود برقم (3225) ، ورقم (3226) ، ومستدرك الحاكم (1 / 525) .

(3) صحيح مسلم برقم (972) .

(4) الترمذي الصلاة (317) ، أبو داود الصلاة (492) ، ابن ماجه المساجد والجماعات (745) .

(5) سنن أبي داود برقم (492) ، وسنن الترمذي برقم (317) ، وصححه الحاكم ووافقه الذهبي .

(6) البخاري الجنائز (1324) ، مسلم المساجد ومواضع الصلاة (531) ، النسائي المساجد (703) ، أحمد (146/6) ، الدارمي الصلاة (1403) .

11 – شد الرحال إليها.

وهو أمر منهي عنه لأنه من وسائل الشرك فعن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: ﴿لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحـــرام، ومسجد الرسول ﷺ ومسجد الأقصى﴾ [3] . رواه البخاري ومسلم [4] .

المطلب السادس: التوسل.

أ– تعريفه: التوســـل مأخوذ في اللغة من الوسيلة، والوســـيلة والوصيلة معناهما متقارب، فالتوســـل هو التوصل إلى المراد والسعي في تحقيقه.

وفي الشرع يراد به التوصل إلى رضوان الله والجنة؛ بفعل ما شرعه وترك ما نهي عنه.

ب– معنى الوسيلة في القرآن الكريم:

وردت لفظة " الوسيلة " في القرآن الكريم في موطنين:

1 – قوله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱبۡتَغُوٓاْ إِلَيۡهِ ٱلۡوَسِيلَةَ وَجَٰهِدُواْ فِي سَبِيلِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ٣٥ ﴾ [5] (المائدة: 35).

---

(1) العيد هو الذي يعود ويتكرر مثل عيد الفطر وعيد الأضحى ، فكون الإنسان يكرر الزيارة لقبر الرسول كل يوم من أجل السلام فكأنه يتخذه عيدا ، فنهى الرسول عن ذلـــك ، أمر المسلم أن يصلي ويسلم عليه وهو في أي مكان كان لأن لله ملائكة سياحين يبلغون الرسول السلام وهذا من يسر هذا الدين إذ ليس باستطاعة كل مسلم أن يأتي إلى المدينة .

(2) سنن أبي داود برقم (2042) ، ومسند أحمد (2/ 367) .

(3) البخاري الجمعة (1132) ، ابن ماجه إقامة الصلاة والسنة فيها (1410) .

(4) صحيح البخاري برقم (1189) ، وصحيح مسلم (1397) .

(5) سورة المائدة آية : 35 .

2 - قوله تعالى: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ وَيَرۡجُونَ رَحۡمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحۡذُورٗا ﴿٥٧﴾ ﴾ [1] (الإسراء: 57).

والمراد بالوسيلة في الآيتين، أي: القربة إلى الله بالعمل بما يرضيه، فقد نقل الحافظ ابن كثير رحمه الله في تفسيره للآية الأولى عن ابن عباس رضي الله عنهما أن معنى الوسيلة فيها القربة، ونقل مثل ذلك عن مجاهد وأبي وائـــل والحسن البصري وعبد الله بن كثير والسدي وابن زيد وغير واحد [2] .

وأما الآية الثانية فقد بين الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود ﷺ مناسبة نزولها التي توضح معناها فقال: " نزلت في نفر من العرب كانوا يعبدون نفرا من الجن، فأسلم الجنيون، والإنس الذين يعبدوهم لا يشعرون " [3] .

وهذا صريح في أن المراد بالوسيلة ما يتقرب به إلى الله تعالى من الأعمال الصالحة والعبادات الجليلة، ولذلك قال: ﴿ يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ ﴾ [4] أي يطلبون ما يتقربون به إلى الله وينالون به مرضاته من الأعمال الصالحة المقربة إليه.

ج- أقسام التوسل:

ينقسم التوسل إلى قسمين: توسل مشروع، وتوسل ممنوع.

1 - التوسل المشروع: هو التوسل إلى الله بالوسيلة الصحيحـــة المشروعة، والطريق الصحيح لمعرفة ذلك هو الرجوع إلى الكتاب والسنة ومعرفة ما ورد فيهما عنها، فما دل الكتاب والسنة على أنه وسيلة مشروعة فهو من التوسل المشروع، وما سوى ذلك فإنه توسل ممنوع.

---

(1) سورة الإسراء آية : 57 .

(2) تفسير ابن كثير (2/ 50) .

(3) صحيح مسلم برقم (3030) . وصحيح البخاري رقم (4714) .

(4) سورة الإسراء آية : 57 .

والتوسل المشروع يندرج تحته ثلاثة أنواع:

الأول: التوسل إلى الله تعالى باسم من أسمائه الحسنى أو صفة من صفاته العظيمة، كأن يقول المسلم في دعائه: اللهم إني أسألك بأنك الرحمن الرحيم أن تعافيني، أو يقول: أسألك برحمتك التي وسعت كل شيء أن تغفر لي وترحمني، ونحو ذلك.

ودليل مشروعية هذا التوسل قوله تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ﴾ [1] (الأعراف: 180).

الثاني: التوسل إلى الله تعالى بعمل صالح قام به العبد، كأن يقول: اللهم بإيماني بك، ومحبتي لك، واتباعي لرسولك اغفر لي، أو يقول: اللهم إني أسألك بحبي لنبيك محمد ﷺ وإيماني به أن تفرج عني، أو أن يذكر الداعي عملا صالحا ذا بال قام به فيتوسل به إلى ربه، كما في قصة أصحاب الغار الثلاثة التي سيرد ذكرها.

ويدل على مشروعيته قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ إِنَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٦﴾ ﴾ [2] (آل عمران: 16)، وقوله تعالى: ﴿ رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلْتَ وَٱتَّبَعْنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٥٣﴾ ﴾ [3] (آل عمران: 53).

ومن ذلك ما تضمنته قصة أصحاب الغار الثلاثة كما يرويها عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «بينما ثلاثة نفر ممن كان قبلكم يمشون إذ أصابهم مطر، فأووا إلى غار فانطبق عليهم، فقال بعضهم لبعض: إنه والله يا هؤلاء لا ينجيكم إلا الصدق، فليدع كل رجل منكم بما يعلم أنه قد صدق فيه، فقال واحد منهم: اللهم إن كنت تعلم أنه كان لي أجير عمل لي على فرق من أرز فذهب وتركه، وأني عمدت إلى ذلك الفرق فزرعته، فصار من أمره أني اشتريت منه

(1) سورة الأعراف آية : 180 .

(2) سورة آل عمران آية : 16 .

(3) سورة آل عمران آية : 53 .

بقرا، وأنه أتاني يطلـــب أجره، فقلت له: اعمد إلى تلك البقر فسقها، فقال لي: إنما لي عندك فــرق من أرز، فقلت له: اعمد إلى تلك البقر، فإنها من الفرق، فساقها، فإن كنت تعلم أني فعلت ذلك من خشيتك ففرج عنا، فانساخت [1] عنهم الصخـــرة، فقال الآخر: اللهم إن كنت تعلم أنه كان لي أبوان شيخان كبيران، وكنـــت آتيهما كل ليلة بلبن غنم لي، فأبطأت عليهما ليلة، فجئت وقد رقدا، وأهلي وعيالي يتضاغون من الجوع، فكنت لا أسقيهم حتى يشرب أبواي، فكرهت أن أوقظهما، وكرهت أن أدعهما فيستكنا لشربتهما، فلم أزل أنتظر حتى طلع الفجر، فإن كنت تعلم أني فعلت ذلك من خشـــيتك ففـــرج عنـــا، فانساخت عنهم الصخرة حتى نظروا إلى السماء، فقال الآخر: اللـــهم إن كنت تعلم أنه كانت لي ابنة عم من أحب الناس إلي، وإني راودتـــها عـــن نفسها فأبت إلا أن آتيها بمائة دينار، فطلبتها حتى قدرت، فأتيتها بها فدفعتها إليها فأمكنتني من نفسها، فلما قعدت بين رجليها فقالت: اتق الله ولا تفـــض الخاتم إلا بحقه، فقمت وتركـــت المائة دينار، فإن كنت تعلم أني فعلت ذلـــك من خشيتك ففرج عنا، ففرج الله عنهم فخرجوا﴾ . رواه البخاري [2] .

الثالث: التوسل إلى الله بدعاء الرجل الصالح الذي ترجى إجابة دعائـــه، كأن يذهب المسلم إلى رجل يرى فيه الصلاح والتقوى والمحافظة على طاعـــة الله، فيطلب منه أن يدعو له ربه ليفرج كربته وييسر أمره.

ويدل على مشروعية هذا النوع أن الصحابة رضي الله عنـــهم كـــانوا يسألون النبي ﷺ أن يدعو لهم بدعاء عام ودعاء خاص.

ففي الصحيحين من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه ﴿أن رجلا دخل يـــوم الجمعة من باب كان وجاه المنبر ورسول الله ﷺ قائم يخطب، فاســـتقبل رسول ﷺ قائما فقال: يا

(1) فانفرجت شيئا لا يستطيعون الخروج منه ، كما في حديث سالم .

(2) صحيح البخاري برقم (3465) .

رسول الله هلكت المواشي وانقطعت السبل، فادع الله يغيثنا، قال: فرفع رسول الله ﷺ يديه فقال: اللهم اسقنا، اللهم اســقنا، اللهم اسقنا، قال أنس: ولا والله ما نرى في السماء من سحاب ولا قزعــة [1] ولا شيئا، وما بيننا وبين سلع من بيت ولا دار، قال: فطلعت مــن ورائــه سحابة مثل الترس، فلما توسطت السماء انتشرت، ثم أمطرت، قال: والله ما رأينا الشمس ستا، ثم دخل رجل من ذلك البــاب في الجمعــة المقبلــة- ورسول الله ﷺ قائم يخطب- فاستقبله قائما فقال: يا رسول الله، هلكــت الأموال، وانقطعت السبل، فادع الله يمسكها، قال: فرفع رســول الله ﷺ يديه ثم قال: اللهم حوالينا ولا علينا، اللهم على الآكام والجبال والظــراب ومنابت الشجر، قال: فانقطعت، وخرجنا نمشي في الشمس﴾ . قال شــريك: فسألت أنسا: أهو الرجل الأول ؟ قَال: لا أدري [2] .

وفي الصحيحين أن النبي ﷺ لما ﴿ذكر أن في أمته سبعين ألفــا يدخلــون الجنة بغير حساب ولا عذاب وقال: (هم الذي لا يسترقون ولا يكتوون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون) قام عكاشة بن محصن فقال: يا رســول الله ادع الله أن يجعلني منهم، فقال: (أنت منهم)﴾ [3] [4] . ومن ذلك حديــث ذكــر النبي ﷺ أويسا القرني وفيه قال: ﴿فاسألوه أن يستغفر لكــم﴾ .

وهذا النوع من التوسل إنما يكون في حياة من يطلب منه الدعاء، أمــا بعد موته فلا يجوز؛ لأنه لا عمل له.

---

(1) سحاب متفرق .

(2) صحيح البخاري برقم (1013) ، وصحيح مسلم رقم (897) .

(3) البخاري الطب (5420) ، مسلم الإيمان (220) ، الترمذي صفة القيامة والرقائق والورع (2446) ، أحمد (271/1) .

(4) صحيح البخاري برقم (5705) ، وصحيح مسلم برقم (218) .

2 – التوسل الممنوع: هو التوسل إلى الله تعالى بما لم يثبت في الشريعة أنه وسيلة، وهو أنواع بعضها أشد خطورة من بعض، منها:

1 – التوسل إلى الله تعالى بدعاء الموتى والغائبين والاستغاثة بهم وسؤالهم قضاء الحاجات وتفريج الكربات ونحو ذلك، فهذا من الشرك الأكبر الناقل من الملة.

2 – التوسل إلى الله بفعل العبادات عند القبور والأضرحة بدعاء الله عندها، والبناء عليها، ووضع القناديل والستور ونحو ذلك، وهذا من الشرك الأصغر المنافي لكمال التوحيد، وهو ذريعة مفضية إلى الشرك الأكبر.

3 – التوسل إلى الله بجاه الأنبياء والصالحين ومكانتهم ومنزلتهم عند الله، وهذا محرم، بل هو من البدع المحدثة؛ لأنه توسل لم يشرعه الله ولم يأذن به. قال تعالى: ﴿ ءَآللَّهُ أَذِنَ لَكُمۡۖ ﴾ [1] (يونس: 59) ولأن جاه الصالحين ومكانتهم عند الله إنما تنفعهم هم، كما قال الله تعالى: ﴿ وَأَن لَّيۡسَ لِلۡإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ٣٩ ﴾ [2] (النجم: 39)، ولذا لم يكن هذا التوسل معروفا في عهد النبي ﷺ وأصحابه، وقد نص على المنع منه وتحريمه غير واحد من أهل العلم:

قال أبو حنيفة رحمه الله: ((يكره أن يقول الداعي: أسألك بحق فلان أو بحق أوليائك ورسلك أو بحق البيت الحرام والمشعر الحرام)).

د– شبهات وردها في باب التوسل.

قد يورد المخالفون لأهل السنة والجماعة بعض الشبهات والاعتراضات في باب التوسل؛ ليتوصلوا بها إلى دعم تقريراتهم الخاطئة، وليوهموا عوام المسلمين بصحة ما ذهبوا إليه، ولا تخرج شبهات هؤلاء عن أحد أمرين:

(1) سورة يونس آية : 59 .

(2) سورة النجم آية : 39 .

الأول: إما أحاديث ضعيفة أو موضوعة يستدل بها هؤلاء على ما ذهبوا إليه، وهذه يفرغ من أمرها بمعرفة عدم صحتها وثبوتها، ومن ذلك:

1 - حديث: ﴿توسلوا بجاهي فإن جاهي عند الله عظيم﴾ ، أو ﴿إذا سألتم الله فاسألوه بجاهي فإن جاهي عند الله عظيم﴾ ، وهو حديث باطل لم يروه أحد من أهل العلم، ولا هو في شيء من كتب الحديث.

2 - حديث: ﴿إذا أعيتكم الأمور فعليكم بأهل القبور﴾ ، أو ﴿فاستغيثوا بأهل القبور﴾ ، وهو حديث مكذوب مفترى على النبي ﷺ باتفاق العلماء.

3 - حديث: ﴿لو أحسن أحدكم ظنه بحجر لنفعه﴾ ، وهو حديث باطل مناقض لدين الإسلام، وضعه بعض المشركين.

4 - حديث: ﴿لما اقترف آدم الخطيئة قال: يا رب أسألك بحق محمد لما غفرت لي، فقال: يا آدم وكيف عرفت محمدا ولم أخلقه ؟ قال: يا رب لما خلقتني بيدك ونفخت في من روحك رفعت رأسي فرأيت على قوائم العرش مكتوبا: لا إله إلا الله محمد رسول الله، فعلمت أنك لم تضف إلى اسمك إلا أحب الخلق إليك، فقال: غفرت لك ولولا محمد ما خلقتك﴾ [1] وهو حديث باطل لا أصل له، ومثله حديث: ﴿لولاك ما خلقت الأفلاك﴾ .

فمثل هذه الأحاديث المكذوبة والروايات المختلقة الملفقة لا يجوز لمسلم أن يلتفت إليها فضلا عن أن يحتج بها ويعتمدها في دينه.

الثاني: أحاديث صحيحة ثابتة عن النبي ﷺ يسيء هؤلاء فهمها ويحرفونها عن مرادها ومدلولها، ومن ذلك:

(1) سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة للألباني ج 1 / 88 ح 25 .

1 – ما ثبت في الصحيح: ﴿أن عمر بن الخطاب ﷺ كان إذا قحطوا استسقى بالعباس بن عبد المطلب، فقال: اللهم إنا كنا نتوسل إليك بنبينا فتسقينا، وإنا نتوسل إليك بعم نبينا فاسقنا، قال: فيسقون﴾ [1] [2].

ففهموا من هذا الحديث أن توسل عمر ﷺ إنما كان بجاه العباس ﷺ ومكانته عند الله ﷻ وأن المراد بقوله: ﴿كنا نتوسل إليك بنبينا [أي بجاهه] فتسقينا، وإنا نتوسل إليك بعم نبينا﴾ [3] [أي بجاهه].

وهذا ولا ريبِ فهم خاطئ وتأويل بعيد لا يدل عليه سياق النص لا من قريب ولا من بعيد؛ إذ لم يكن معروفا لدى الصحابة التوسل إلى الله بذات النبي ﷺ أو جاهه، وإنما كانوا يتوسلون إلى الله بدعائه حال حياته كما تقدم بعض هذا المعنى، وعمر ﷺ لم يرد بقوله: ﴿إنا نتوسل إليك بعم نبينا﴾ [4] أي ذاته أو جاهه، وإنما أراد دعاءه، ولو كان التوسل بالذات أو الجاه معروفا عندهم لما عدل عمر عن التوسل بالنبي ﷺ إلى التوسل بالعباس ﷺ بل ولقال له الصحابة إذ ذاك كيف نتوسل بمثل العباس ونعدل عن التوسل بالنبي ﷺ الذي هو أفضل الخلائق، فلما لم يقل ذلك أحد منهم، وقد علم أنهم في حياته إنما توسلوا بدعائه، وبعد مماته توسلوا بدعاء غيره علم أن المشروع عندهم التوسل بدعاء المتوسل لا بذاته.

وبهذا يتبين أن الحديث ليس فيه متمسك لمن يقول بجواز التوسل بالذات أو الجاه.

---

(1) البخاري الجمعة (964) .

(2) صحيح البخاري برقم (1010) .

(3) البخاري الجمعة (964) .

(4) البخاري الجمعة (964) .

2 – حديث عثمان بن حنيف: ﴿أن رجلا ضرير البصر أتى النبي ﷺ فقال: ادع الله أن يعافيني، قال: إن شئت دعوت وإن شئت صبرت فهو خير لك، قال: فادعه، قال: فأمره أن يتوضأ فيحسن وضوءه ويدعو بهذا الدعاء: اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بنبيك محمد نبي الرحمة، إني توجهت بك إلى ربي في حاجتي هذه لتقضى لي اللهم فشفعه في﴾[1]، رواه الترمذي وأحمد وقال البيهقي إسناده صحيح[2].

ففهموا من الحديث أنه يدل على جواز التوسل بجاه النبي ﷺ أو غيره من الصالحين، وليس في الحديث ما يشهد لذلك، فإن الأعمى قد طلب من النبي ﷺ أن يدعو له بأن يرد الله عليه بصره، فقال له: ﴿إن شئت صبرت وإن شئت دعوت﴾ [3] ، فقال: فادعه، إلى غير ذلك من الألفاظ الواردة في الحديث المصرحة بأن هذا توسل بدعاء النبي ﷺ لا بذاته أو جاهه؛ ولذا ذكر أهل العلم هذا الحديث من معجزات النبي ﷺ ودعائه المستجاب، فإنه ﷺ ببركة دعائه لهذا الأعمى أعاد الله عليه بصره ولهذا أورده البيهقي في دلائل النبوة [4] .

وأما الآن وبعد موت النبي ﷺ فإن مثل هذا لا يمكن أن يكون لتعذر دعاء النبي ﷺ لأحد بعد الموت، كما قال النبي ﷺ ﴿إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له﴾ [5] ، رواه مسلم [6] .

---

(1) الترمذي الدعوات (3578) ، ابن ماجه إقامة الصلاة والسنة فيها (1385) .

(2) سنن الترمذي برقم (3578) ، ومسند أحمد (4 / 138) .

(3) البخاري المرضى (5328) ، مسلم البر والصلة والآداب (2576) ، أحمد (347/1) .

(4) دلائل النبوة للبيهقي (6 / 167) .

(5) مسلم الوصية (1631) ، الترمذي الأحكام (1376) ، النسائي الوصايا (3651) ، أبو داود الوصايا (2880) ، أحمد (2 /372) ، الدارمي المقدمة (559) .

(6) صحيح مسلم برقم (1631) .

والدعاء من الأعمال الصالحة التي تنقطع بالموت.

وعلى كل فإن جميع ما يتعلق به هؤلاء لا حجة فيه؛ إما لعدم صحته، أو لعدم دلالته على ما ذهبوا إليه.

المطلب السابع: الغلو.

أ- تعريفه: الغلو في اللغة هو مجاوزة الحد، بأن يزيد في حمد الشيء أو ذمه على ما يستحق.

وفي الشرع: هو مجاوزة حدود ما شرع الله لعباده سواء في العقيـــدة أو العبادة.

ب- حكمه: التحريم؛ لما جاء من النصوص في النهي عنه والتحذيـــر منه وبيـــان ســـوء عواقبه على أهله في العاجل والآجل. قال الله تعـــالى: ﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ ﴾ [1] (النساء: 171).

وقال تعالى: ﴿ قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ غَيۡرَ ٱلۡحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓاْ أَهۡوَآءَ قَوۡمٖ قَدۡ ضَلُّواْ مِن قَبۡلُ وَأَضَلُّواْ كَثِيرٗا وَضَلُّواْ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ٧٧ ﴾ [2] (المائدة: 77).

وعن ابن عباس رضي الله عنهما: أن رســـول الله ﷺ قـــال: «إيـــاكم والغلو، فإنما هلك من كان قبلكم بالغلو في الدين» [3]، رواه أحمد والحـــاكـــم وصححه ووافقه الذهبي [4].

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «هلك المتنطعون» [5]، قالهـــا ثلاثا، رواه مسلم [1].

---

(1) سورة النساء آية : 171 .

(2) سورة المائدة آية : 77 .

(3) النسائي مناسك الحج (3057) ، ابن ماجه المناسك (3029) ، أحمد (347/1) .

(4) المسند (1 / 347) ، والمستدرك (1 / 638) .

(5) مسلم العلم (2670) ، أبو داود السنة (4608) ، أحمد (386/1) .

وعن عمر بن الخطاب ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: ﴿لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى ابن مريم، إنما أنا عبد الله ورسوله﴾ [2] ، رواه البخاري [3] .

والمراد هذا الحديث، أي: لا تمدحوني فتغلوا في مدحي كما غلت النصارى في عيسى فادعوا فيه الربوبية والألوهية، وإنما أنا عبد الله فصفوني بما وصفني به ربي، وقولوا: عبد الله ورسوله، فأبى الضلال إلا مخالفة لأمره وارتكابا لنهيه وناقضوه أعظم المناقضة فغلوا فيه وبالغوا في إطرائه وادعوا فيه ما ادعت النصارى في عيسى أو قريبا منه، فسألوه مغفرة الذنوب وتفريج الكروب وشفاء الأمراض ونحو ذلك مما هو مختص بالله وحده لا شريك له، وكل ذلك من الغلو في الدين.

---

(1) صحيح مسلم برقم (2670) .

(2) البخاري أحاديث الأنبياء (3261) ، أحمد (24/1) .

(3) صحيح البخاري برقم (3445) .

المبحث الرابع: الشرك والكفر وأنواعهما

وفيه مطالب

ما من ريب أن في معرفة المسلم للشرك والكفر وأسبابهما ووسائلهما وأنواعهما فوائد عظيمة، إذا عرفها معرفة يقصد من ورائها السلامة من هذه الشرور والنجاة من تلك الآفات، والله سبحانه يحب أن تعرف سبيل الحق لتحب وتسلك، ويحب أن تعرف سبل الباطل لتجتنب وتبغض، والمسلم كما أنه مطالب بمعرفة سبيل الخير ليطبقها، فهو كذلك مطالب بمعرفة سبل الشر ليحذرها، ولهذا ثبت في الصحيحين عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنهما أنه قال: ﴿ كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني ﴾ [1] [2] .

ويقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه " إنما تنقض عرى الإسلام عروة عروة إذا نشأ في الإسلام من لا يعرف الجاهلية ".

والقرآن الكريم مليء بالآيات المبينة للشرك والكفر والمحذرة من الوقوع فيهما، والدالة على سوء عاقبتهما في الدنيا والآخرة، بل إن ذلك مقصد عظيم من مقاصد القرآن الكريم والسنة المطهرة، كما قال الله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْأَيَٰتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ ٱلْمُجْرِمِينَ ۝ ﴾ [3] (الأنعام: 55).

وفيما يلي ذكر لبعض المطالب المهمة المتعلقة بهذا الجانب.

المطلب الأول: الشرك.

أ- تعريفه: يطلق الشرك في اللغة على التسوية بين الشيئين.

وله في الشرع معنيان: عام وخاص.

---

(1) البخاري المناقب (3411) ، مسلم الإمارة (1847) ، أحمد (387/5) .

(2) صحيح البخاري برقم (7084) ، وصحيح مسلم برقم (1847) .

(3) سورة الأنعام آية : 55 .

1 – المعنى العام: تسوية غير الله بالله فيما هو من خصائصه سبحانه، ويندرج تحته ثلاثة أنواع:

الأول: الشرك في الربوبية، وهو تسوية غير الله بالله فيما هو من خصائص الربوبية، أو نسبة شيء منها إلى غيره، كالخلق والرزق والإيجاد والإماتة والتدبير لهذا الكون ونحو ذلك.

قال تعالى: ﴿ هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٣﴾ ﴾ [1] (فاطر: 3).

الثاني: الشرك في الأسماء والصفات، وهو تسوية غير الله بالله في شيء منها، والله تعالى يقول: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾ ﴾ [2] (الشورى: 11).

الثالث: الشرك في الألوهية، وهو تسوية غير الله بالله في شيء من خصائص الألوهية، كالصلاة والصيام والدعاء والاستغاثة والذبح والنذر ونحو ذلك.

قال الله تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ ﴾ [3] (البقرة: 165).

2– المعنى الخاص: وهو أن يتخذ لله ندا يدعوه كما يدعو الله ويسأله الشفاعة كما يسأل الله ويرجوه كما يرجو الله، ويحبه كما يحب الله، وهذا هو المعنى المتبادر من كلمة " الشرك " إذا أطلقت في القرآن أو السنة.

---

(1) سورة فاطر آية : 3 .

(2) سورة الشورى آية : 11 .

(3) سورة البقرة آية : 165 .

ب- الأدلة على ذم الشرك وبيان خطره.

لقد تنوعت دلالة النصوص على ذم الشرك والتحذير منه وبيان خطـــره وسوء عاقبته على المشركين في الدنيا والآخرة.

1 - فقد أخبر الله ســبحانه أنه الذنب الذي لا يغفره إلا بالتوبة منــه قبل الموت، فقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ ﴾ [1] (النساء: 48).

2 - ووصفه بأنه أظلم الظلم، فقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ ١٣ ﴾ [2] (لقمان: 13).

3 - وأخبر أنه محبط للأعمال، فقال تعالى: ﴿ وَلَقَدۡ أُوحِيَ إِلَيۡكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكَ لَئِنۡ أَشۡرَكۡتَ لَيَحۡبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٦٥ ﴾ [3] (الزمر: 65).

4 - ووصفه بأن فيه تنقصا لرب العالمين ومساواة لغيره به، فقال تعالى: ﴿ قَالُواْ وَهُمۡ فِيهَا يَخۡتَصِمُونَ ٩٦ تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ٩٧ إِذۡ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٩٨ ﴾ [4] (الشعراء: 96- 98).

5 - وأخبر أن من مات عليه يكون مخلدا في نار جهنم، فقال تعــالى: ﴿ إِنَّهُۥ مَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ وَمَأۡوَىٰهُ ٱلنَّارُۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ أَنصَارٖ ٧٢ ﴾ [5] (المائدة: 72).

---

(1) سورة النساء آية : 48 .

(2) سورة لقمان آية : 13 .

(3) سورة الزمر آية : 65 .

(4) سورة الشعراء آية : 96 - 98 .

(5) سورة المائدة آية : 72 .

إلى غير ذلك من أنواع الأدلة، وهي كثيرة جدا في القرآن الكريم.

ج- سبب وقوع الشرك:

إن أصل الشرك وسبب وقوعه في بني آدم هو الغلو في الصالحين المعظمين، وتجاوز الحد في إطرائهم ومدحهم والثناء عليهم، قال الله تعالى: ﴿ وَقَالُواْ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾ وَقَدْ أَضَلُّواْ كَثِيرًا وَلَا تَزِدِ ٱلظَّـٰلِمِينَ إِلَّا ضَلَـٰلًا ﴿٢٤﴾ ﴾ [1] (نوح: 23- 24).

فهذه أسماء رجال صالحين من قوم نوح لما ماتوا جعلوا لهم أصناما على صورهم وسموها بأسمائهم قاصدين بذلك تعظيمهم وتخليد ذكرهم وتذكر فضلهم إلى أن آل هم الأمر إلى عبادهم.

ويشهد لهذا ما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: " صارت الأوثان التي كانت في قوم نوح في العرب بعد، أما ود فكانت لكلب بدومة الجندل، وأما سواع فكانت لهذيل، وأما يغوث فكانت لمراد، ثم لبني غطيف بالجوف عند سبأ، وأما يعوق فكانت لهمدان، وأما نسر فكانت لحمير لآل ذي الكلاع، أسماء رجال صالحين من قوم نوح، فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون أنصابا وسموها بأسمائهم ففعلوا فلم تعبد حتى إذا هلك أولئك ونسخ (ونسخ العلم) [2] العلم عبدت " [3] .

روى ابن جرير الطبري عن محمد بن قيس عند قوله تعالى: وقالوا لا تذرن آلهتك الآية، قال: " كانوا قوما صالحين من بني آدم، وكان لهم أتباع يقتدون هم، فلما ماتوا قال أصحابهم الذين كانوا يقتدون بهم: لو صورناهم كان أشوق لنا إلى

(1) سورة نوح آية : 23 – 24 .

(2) أي علم تلك الصور بخصوصها .

(3) صحيح البخاري برقم (4920) .

العبادة إذا ذكرناهم، فصوروهم، فلما مــاتوا وجاء آخرون دب إليهم إبليس فقال: إنما كانوا يعبدونهم وبهــم يســقون المطر، فعبدوهم " [1] **. فجمعوا بين فتنتين:**

الأولى: العكوف عند قبورهم.

الثانية: تصوير صورهم ونصبها في مجالسهم والجلوس إليها.

فبهذا وقع الشرك لأول مرة في تاريخ البشرية فهما أعظم وسائل الشرك في كل زمان ومكان.

د- أنواع الشرك: ينقسم الشرك إلى قسمين: أكبر وأصغر.

1 - الشرك الأكبر: هو اتخاذ ند مع الله يعبد كما يعبد الله، وهــو ناقل من ملة الإسلام محبط للأعمال كلها، وصاحبه إن مات عليه يكــون مخلدا في نار جهنم لا يقضى عليه فيموت ولا يخفف عنه من عذابها.

أنواع الشرك الأكبر: وينقسم الشرك الأكبر إلى أربعة أنواع:

1 - شرك الدعوة، أي الدعاء، وذلك أن الدعاء من أعظــم أنــواع العبادة، بل هو لب العبادة كما قال النبي ﷺ ﴿ الدعاء هو العبــادة ﴾ [2] **، رواه أحمد والترمذي وقال حديث حسن صحيح** [3] **قال الله تعالى: ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾ ﴾** [4] **(غافر: 60).**

ولما ثبت أن الدعاء عبادة، فصرفه لغير الله شرك، فمن دعا نبيا أو ملكــا أو وليا أو قبرا أو حجرا أو غير ذلك من المخلوقين فهو مشرك كافر، كمــا قال تعالى: ﴿

(1) تفسير الطبري (12 / 254) .

(2) الترمذي تفسير القرآن (2969) ، ابن ماجه الدعاء (3828) .

(3) مسند أحمد (4 / 267) ، وسنن الترمذي برقم (2969) .

(4) سورة غافر آية : 60 .

﴿ وَمَن يَدۡعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرۡهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓۚ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴿١١٧﴾ ﴾ [1] (المؤمنون: 117).

ومن الأدلة على أن الدعاء عبادة وأن صرفه لغير الله شرك قوله تعالى: ﴿ فَإِذَا رَكِبُواْ فِي ٱلۡفُلۡكِ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمۡ إِلَى ٱلۡبَرِّ إِذَا هُمۡ يُشۡرِكُونَ ﴿٦٥﴾ ﴾ [2] (العنكبوت: 65)، فأخبر عن هؤلاء المشركين بأنهم يشركون بالله في رخائهم، ويخلصون له في كربهم وشدتهم، فكيف بمن يشرك بالله في الرخاء والشدة عياذا بالله.

2 – شرك النية والإرادة والقصد، وذلك أن ينوي بأعماله الدنيا أو الرياء أو السمعة، إرادة كلية كأهل النفاق الخلص، ولم يقصد بها وجه الله والدار الآخرة، فهو مشرك الشرك الأكبر، قال الله تعالى: ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيۡهِمۡ أَعۡمَٰلَهُمۡ فِيهَا وَهُمۡ فِيهَا لَا يُبۡخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيۡسَ لَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُۖ وَحَبِطَ مَا صَنَعُواْ فِيهَا وَبَٰطِلٞ مَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿١٦﴾ ﴾ [3] (هود: 15-16).

وهذا النوع من الشرك دقيق الأمر بالغ الخطورة.

3 – شرك الطاعة، فمن أطاع المخلوقين في تحليل ما حرم الله أو تحريم ما أحل الله، ويعتقد ذلك بقلبه أي أنه يسوغ لهم أن يحللوا ويحرموا ويسوغ له ولغيره طاعته في ذلك مع علمه بأنه مخالف لدين الإسلام فقد اتخذهم أربابا من دون الله وأشرك بالله الشرك الأكبر.

---

(1) سورة المؤمنون آية : 117 .

(2) سورة العنكبوت آية : 65 .

(3) سورة هود آية : 15 – 16 .

قال الله تعـــالى: ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلۡمَسِيحَ ٱبۡنَ مَرۡيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُوٓاْ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗاۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ سُبۡحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴿٣١﴾ ﴾ [1] (التوبة: 31).

وتفسير الآية الذي لا إشكال فيه: طاعة العلماء والعباد في المعصيـــة (أي في تبديل حكـــم الله) لا دعاؤهم إياهم، كما فسرها النبي ﷺ لعدي بن حـــاتم لما سأله فقال: لسنا نعبدهم ؟ فذكر له أن عبادهم طاعتهم في المعصيـــة (في تبديل حكـــم الله)، فقال: ﴿ أليس يحرمون ما أحل الله فتحرمونه ويحلون مـــا حرم الله فتحلونه ﴾ ، قال: بلى. قال: ﴿ فتلك عبادهم ﴾ ، رواه الترمذي وحسنه، والطبراني في المعجم الكبير [2] .

4 – شرك المحبة، والمراد محبة العبودية المستلزمة للإجـــلال والتعظيـــم والذل والخضوع التي لا تنبغي إلا لله وحده لا شريك له، ومتى صرف العبد هذه المحبة لغير الله فقد أشرك به الشرك الأكبر، والدليل قوله تعـــالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادٗا يُحِبُّونَهُمۡ كَحُبِّ ٱللَّهِۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبّٗا لِّلَّهِۗ ﴾ [3] (البقرة: 165).

2– النوع الثاني من أنواع الشرك، الشرك الأصغر:

وهو كل ما كان ذريعة إلى الشرك الأكبر ووسيلة للوقوع فيه أو مـــا جاء في النصوص تسميته شركا ولم يصل إلى حد الأكبر، وهو يقع في هيئـــة العمل وأقوال اللسان. وحكمه تحت المشيئة كحكم مرتكب الكبيرة.

ومن أمثلته ما يلي:

(1) سورة التوبة آية : 31 .

(2) سنن الترمذي برقم (3095) ، والمعجم الكبير للطبراني (17 / 92) .

(3) سورة البقرة آية : 165 .

أ- يسير الرياء، والدليل ما رواه الإمام أحمد وغيره عن النبي ﷺ أنه قال: ﴿إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر، قالوا: ومـــا الشـــرك الأصغر يا رسول الله قال: (الرياء، يقول الله تعالى يوم القيامة إذا جـــازى الناس بأعمالهم: اذهبوا إلى الذين كنتم تراؤون في الدنيا، فانظروا هل تجدون عندهم جزاء﴾ [1] [2] .

ب- قول: " ما شاء الله وشئت "، روى أبو داود في سننه عن النبي ﷺ ﴿لا تقولوا ما شاء الله وشاء فلان، ولكن قولوا ما شـــاء الله ثم شـــاء فلان﴾ [3] [4] .

ج- قـــول: " لـــولا الله وفـــلان "، أو قول: " لـــولا البـــط لأتانـــا اللصوص "، ونـــحو ذلك، روى ابـــن أبـــي حاتم في تفسيره عـــن ابـــن عبـــاس رضـــي الله عنهمـــا في معنى قـــوله تعـــالى: ﴿فَلَا تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادٗا وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٢٢﴾ [5] قـــال: " الأنداد هو الشـــرك أخفى مـــن دبيب النمل على صفاة ســـوداء في ظلمة الليـــل، وهـــو أن تقـــول: والله وحياتـــك يـــا فلانـــة وحياتي، وتقول: لولا كليبة هذا لأتانا اللصـــوص، ولولا البط في الدار لأتى اللصوص، وقول الرجل لأصحابه: مـــا شـــاء الله وشئت، وقول الرجل: لولا الله وفلان، لا تجعل فيها فلانا، هذا كلـــه بـــه شرك " [6].

الفرق بين الشرك الأكبر والأصغر:

بين الشرك الأكبر والأصغر فروق عديدة، أهمها ما يلي:

---

(1) أحمد (428/5) .

(2) مسند أحمد (5 / 428) ، قال المنذري إسناده جيد ، الترغيب والترهيب (1 / 48) ، وقال الهيثمي : رجالـــه رجال الصحيح ، مجمع (1/ 102) .

(3) أبو داود الأدب (4980) ، أحمد (399/5) .

(4) سنن أبي داود برقم (4980) ، قال الذهبي في مختصر البيهقي (1 / 140 / 2) إسناده صالح .

(5) سورة البقرة آية : 22 .

(6) تفسير ابن أبي حاتم (1 / 62) .

1 - أن الشرك الأكبر لا يغفر الله لصاحبه إلا بالتوبة، وأما الأصغر فتحت المشيئة.

2- أن الشرك الأكبر محبط لجميع الأعمال، وأما الأصغر فلا يحبط إلا العمل الذي قارنه.

3- أن الشرك الأكبر مخرج لصاحبه من ملة الإسلام، وأما الشرك الأصغر فلا يخرجه منها.

4- أن الشرك الأكبر صاحبه خالد في النار ومحرمة عليه الجنة، وأما الأصغر فكغيره من الذنوب.

المطلب الثاني: الكفر.

أ- تعريفه: الكفر لغة يطلق على الستر والتغطية.

وشرعا: ضد الإيمان، وهو: عدم الإيمان بالله ورسوله، سواء كان معه تكذيب أو لم يكن معه تكذيب، بل عن شك وريب، أو إعراض عن ذلك حسدا وكبرا أو اتباعا لبعض الأهواء الصارفة عن اتباع الرسالة.

ب- أنواع الكفر:

الكفر نوعان: كفر أكبر، وكفر أصغر.

فالكفر الأكبر هو الموجب للخلود في النار، والأصغر موجب لاستحقاق الوعيد دون الخلود.

أولا: الكفر الأكبر:

وهو خمسة أنواع:

أ- كفر التكذيب، وهو اعتقاد كذب الرسل عليهم السلام، فمن كذبهم فيما جاؤوا به ظاهرا أو باطنا فقد كفر، والدليل قوله تعالى:

﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُۥٓ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَـٰفِرِينَ ﴿٦٨﴾ ﴾ [1] (العنكبوت: 68).

2 – كفر الإباء والاستكبار، وذلك بأن يكون عالما بصدق الرسول، وأنه جاء بالحق من عند الله، لكن لا ينقاد لحكمه ولا يذعن لأمره، استكبارا وعنادا، والدليل قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿٣٤﴾ ﴾ [2] (البقرة: 34).

3 – كفر الشك، وهو التردد، وعدم الجزم بصدق الرسل، ويقال له كفر الظن، وهو ضد الجزم واليقين.

والدليل قوله تعالى: ﴿ وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ قَالَ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَـٰذِهِۦٓ أَبَدًا ﴿٣٥﴾ وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّى لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا ﴿٣٦﴾ قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلًا ﴿٣٧﴾ لَّـٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ بِرَبِّىٓ أَحَدًا ﴿٣٨﴾ ﴾ [3] (الكهف: 35– 38).

4 – كفر الإعراض، والمراد الإعراض الكلي عن الدين، بأن يعرض بسمعه وقلبه وعلمه عما جاء به الرسول ﷺ والدليل قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَمَّآ أُنذِرُوا۟ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ ﴾ [4] (الأحقاف: 3).

---

(1) سورة العنكبوت آية : 68 .

(2) سورة البقرة آية : 34 .

(3) سورة الكهف آية : 35 – 38 .

(4) سورة الأحقاف آية : 3 .

5 - كفر النفاق، والمراد النفاق الاعتقادي بأن يظهر الإيمان ويبطن الكفر [1] والدليل قوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ ثُمَّ كَفَرُوا۟ فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ۝٣ ﴾ [2] (المنافقون: 3).

والنفاق على ضربين:

1 - نفاق اعتقاد وهو كفر أكبر ناقل من الملة وهو ستة أنواع: تكذيب الرسول، أو تكذيب بعض ما جاء به، أو بغض الرسول، أو بغض ما جاء به، أو المسرة بانخفاض دين الرسول، أو الكراهية لانتصار دين الرسول.

2 - ونفاق عملي وهو كفر أصغر لا ينقل من الملة، إلا أنه جريمة كبيرة وإثم عظيم، ومنه ما ذكره النبي ﷺ في الحديث حيث قال: ﴿ أربع من كن فيه كان منافقا خالصا، ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها: إذا أؤتمن خان، وإذا حدث كذب، وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر ﴾ [3] متفق عليه [4] .

وقال عليه الصلاة والسلام: ﴿ آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا أؤتمن خان ﴾ [5] ، رواه البخاري [6] .

(1) مدارج السالكين (1 / 346) .

(2) سورة المنافقون آية : 3 .

(3) البخاري الإيمان (34) ، مسلم الإيمان (58) ، الترمذي الإيمان (2632) ، النسائي الإيمان وشرائعه (5020) ، أبو داود السنة (4688) ، أحمد (2/189) .

(4) صحيح البخاري برقم (34) ، وصحيح مسلم برقم (58) .

(5) البخاري الإيمان (33) ، مسلم الإيمان (59) ، الترمذي الإيمان (2631) ، النسائي الإيمان وشرائعه (5021) ، أحمد (2/536) .

(6) صحيح البخاري برقم (33) .

ثانيا: الكفر الأصغر:

وهو لا يخرج صاحبه من الملة ولا يوجب الخلود في النار وإنما عليه الوعيد الشديد، وهو كفر النعمة، وجميع ما ورد في النصوص من ذكر الكفر الذي لا يصل إلى حد الكفر الأكبر. ومن الأمثلة عليه:

ما ورد في قوله تعالى: ﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴿١١٢﴾ ﴾ [1] (النحل: 112).

وفي قوله ﷺ ﴿ اثنتان في الناس هما بهم كفر، الطعن في النسب والنياحة على الميت ﴾ [2] ، رواه مسلم [3] .

وفي قوله ﷺ ﴿ لا ترجعوا بعدي كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض ﴾ [4] ، رواه البخاري ومسلم [5].

فهذا وأمثاله كفر دون كفر وهو لا يخرج من الملة الإسلامية.

لقوله تعالى: ﴿ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ

---

(1) سورة النحل آية : 112 .

(2) مسلم الإيمان (67) ، الترمذي الجنائز (1001) .

(3) صحيح مسلم برقم (67) .

(4) البخاري العلم (121) ، مسلم الإيمان (65) ، النسائي تحريم الدم (4131) ، ابن ماجه الفتن (3942) ، أحمد (358/4) ، الدارمي المناسك (1921) .

(5) صحيح البخاري برقم (121) ، وصحيح مسلم برقم (65) .

وَأَقْسِطُوٓاْۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ۝ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ۝﴾ [1] (الحجرات: 9، 10)، **فسماهم الله ﷻ مؤمنين مع الاقتتال.**

ولقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا ۝﴾ [2] (النساء: 48)، **فدلـــت الآية الكريمة على أن كل ذنب دون الشرك تحت المشيئة أي إن شـــاء الله عذبـــه بقدر ذنبه وإن شاء عفا عنه من أول وهلة، إلا الشرك به فإن الله لا يغفـــره كما هو صريح في الآية وقوله تعالى:** ﴿ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ۝﴾ [3] (المائدة: 72).

---

(1) سورة الحجرات آية : 9 ، 10 .

(2) سورة النساء آية : 48 .

(3) سورة المائدة آية : 72 .

المبحث الخامس: ادعاء علم الغيب وما يلحق به

الغيب هو كل ما غاب عن العقول والأنظار من الأمور الحاضرة والماضية والمستقبلة، وقد استأثر الله ﷻ بعلمه واختص نفسه سبحانه بذلك.

قال الله تعالى: ﴿ قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾ [1] (النمل: 65)، وقال تعالى: ﴿ لَهُۥ غَيْبُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ [2] (الكهف: 26)، وقال تعالى: ﴿ عَـٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَـٰدَةِ ٱلْكَبِيرُ ٱلْمُتَعَالِ ﴿٩﴾ ﴾ [3] (الرعد: 9).

فلا يعلم الغيب أحد إلا الله، لا ملك مقرب ولا نبي مرسل فضلا عمن هو دونهما.

قال الله تعالى عن نوح عليه السلام: ﴿ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ ﴾ [4] (هود: 31)، وقال تعالى عن هود عليه السلام: ﴿ قَالَ إِنَّمَا ٱلْعِلْمُ عِندَ ٱللَّهِ وَأُبَلِّغُكُم مَّآ أُرْسِلْتُ بِهِۦ ﴾ [5] (الأحقاف: 23)، وقال تعالى لنبيه محمد عليه الصلاة والسلام: ﴿ قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ ﴾ [6] (الأنعام: 50)، وقال تعالى: ﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَـٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ قَالُوا۟ سُبْحَـٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾ ﴾ [7] (البقرة: 31- 32).

---

(1) سورة النمل آية : 65 .
(2) سورة الكهف آية : 26 .
(3) سورة الرعد آية : 9 .
(4) سورة هود آية : 31 .
(5) سورة الأحقاف آية : 23 .
(6) سورة الأنعام آية : 50 .
(7) سورة البقرة آية : 31 - 32 .

ثم إنه سبحانه قد يطلع بعض خلقه على بعض الأمور المغيبة عن طريق الوحي، كما قال تعالى: ﴿ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ فَلَا يُظۡهِرُ عَلَىٰ غَيۡبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرۡتَضَىٰ مِن رَّسُولٖ فَإِنَّهُۥ يَسۡلُكُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ رَصَدٗا ﴿٢٧﴾ لِّيَعۡلَمَ أَن قَدۡ أَبۡلَغُواْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّهِمۡ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيۡهِمۡ وَأَحۡصَىٰ كُلَّ شَيۡءٍ عَدَدَۢا ﴿٢٨﴾ ﴾ [1] (الجن: 26-28)، وهذا من الغيب النسبي الذي غاب علمه عن بعض المخلوقات دون بعض، أما الغيب المطلق فلا يعلمه إلا هو سبحانه، ومن ذا الذي يدعي علمه وقد استأثر الله به.

ولهذا فإن الواجب على كل مسلم أن يحذر من الدجاجلة والكذابين المدعين لعلم الغيب المفترين على الله، الذين ضلوا في أنفسهم وأضلوا كثيرا وضلوا عن سواء السبيل، كالسحرة والكذابين والمنجمين، وغيرهم.

وفيما يلي عرض لجملة من أعمال هؤلاء التي يدعون بها علم الغيب، ويضلون بها عوام المسلمين وجهالهم، ويفسدون بها عقيدهم وإيمالهم.

1 - السحر: وهو في اللغة ما خفي ولطف سببه.

وفي الاصطلاح هو عزائم ورقى وعقد يؤثّر في القلوب والأبدان، فيمرض ويقتل ويفرق بين المرء وزوجه بإذن الله، وهو كفر، والساحر كافر بالله العظيم، وما له في الآخرة من خلاق، قال الله تعالى: ﴿ وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتۡلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلۡكِ سُلَيۡمَٰنَۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيۡمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحۡرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلۡمَلَكَيۡنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنۡ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحۡنُ فِتۡنَةٞ فَلَا تَكۡفُرۡۖ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنۡهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيۡنَ ٱلۡمَرۡءِ وَزَوۡجِهِۦۚ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنۡ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمۡ وَلَا يَنفَعُهُمۡۚ وَلَقَدۡ عَلِمُواْ لَمَنِ ٱشۡتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنۡ خَلَٰقٖۚ وَلَبِئۡسَ مَا شَرَوۡاْ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمۡۚ لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [2] (البقرة: 102).

---

(1) سورة الجن آية : 26 - 28 .

(2) سورة البقرة آية : 102 .

ومنه النفث في العقد، قال الله تعالى: ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝١ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ۝٢ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ۝٣ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ۝٤ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ۝٥ ﴾ [1].

2 – التنجيم: وهو الاستدلال بالأحوال الفلكية على الحوادث الأرضية التي لم تقع، فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ ﴿ من اقتبس علما من النجوم فقد اقتبس شعبة من السحر زاد ما زاد ﴾ [2]، رواه أبـــو داود [3].

3 – زجر الطير والخط في الأرض: فعن قطن بن قبيصة عن أبيه قـــال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ﴿ العيافة والطيرة والطرق من الجبت ﴾ [4] [5] أي من السحر، والعيافة زجر الطير والتفاؤل والتشاؤم بأسمائها وأصواتها وممرها، والطرق الخـــط يخط في الأرض، أو الضرب بالحصى وادعاء علم الغيب.

4 – الكهانة: وهي ادعاء علم الغيب، والأصل فيها اســـتراق الجـــن السمع من كلام الملائكة فتلقيه في أذن الكاهن.

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: ﴿ من أتى كاهنـــا فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنـــزل على محمد ﷺ ﴾ [6] رواه أبو داود وأحمـــد والحاكـــم [7].

---

(1) سورة الفلق آية : 1 – 5 .

(2) أبو داود الطب (3905) ، ابن ماجه الأدب (3726) ، أحمد (227/1) .

(3) سنن أبي داود برقم (3905) .

(4) أبو داود الطب (3907) ، أحمد (477/3) .

(5) سنن أبي داود برقم (3907) ، ومسند أحمد (3 / 477) .

(6) الترمذي الطهارة (135) ، أبو داود الطب (3904) ، ابن ماجه الطهارة وسننها (639) ، أحمد (429/2) ، الدارمي الطهارة (1136) .

(7) سنن أبي داود (3904) ، ومسند أحمد (2 / 429) ، المستدرك (1 / 50) قال الحاكم صحيح على شـــرط الشيخين ووافقه الذهبي .

5 – كتابة حروف أبا جاد: وذلك بأن يجعل لكل حرف منها قــدرا معلوما من العدد ويجري على ذلك أسماء الآدميين والأزمنة والأمكنة وغيرها، ثم يحكم عليها بالسعود

كتاب

صول الإيمان

ضوء الكتاب والسنة

إعداد

نخبة من العلماء

مقدمة معالي الوزير الشيخ صالح بن عبد العزيز

بسم الله الرحمن الرحيم

بقلم معالي الشيخ صالح بن عبد العزيز بن محمد آ

الإســلامية والأوقاف والدعوة والإرشــاد المشرف العا

الحمد لله رب العالمين، القائل في كتابه الكريم ﴿

وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِ﴾ [1] [النحل: 125]. والصلاة والس

والمرسلين، القــائل: « بلغوا عني ولو آية » [2] [البخـ

أما بعد: فإنفاذًا لتوجيهات خادم الحرمين الشريفين الم

سعود – حفظه الله– في إيصال الخير إلى عمــوم الم

ومغاربها، بدءاً بالعناية بكتاب الله، والعمل على تيسير ن

بين المسلمين، والراغبين في دراسته من غــيرهم، ثم نش

شؤون حياتهم الدينية والدنيوية.

وإيمانًا من وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدع

الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة النبوية، بأهمي

بصيرة فإنه يسرها أن تقدم كتاب:

((أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة))

وذلك لتبصير المسلمين في أمور العقيدة التي هي أ

الله ﷺ « إنّ في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد ك

---

(1) سورة النحل آية : 125 .

(2) البخاري أحاديث الأنبياء (3274) ، الترمذي العلم (2669) ،

(542) .

بن محمد آل الشـــيخ

آل الشـــيخ وزير الشـــؤون

م على المجمع.

ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ

ــلام علــى أشرف الأنبياء

ـاري: 3461].

لملك فهد بن عبــد العزيز آل

ســلمين في مشارق الأرض

شره، وترجمة معانيه، وتوزيعه

شر ما ينفع المسلمين في جميع

عوة والإرشاد ممثلــة في مجمع

ية الدعــوة إلى الله تعالى على

أساس الإيمان، لقولــه صلى

كله » [3] [البخاري: 52]،

، أحمد (159/2) ، الدارمي المقدمة

(3) البخاري الإيمان (52) ، مسلم المساقاة (1599) ، ابن ماجه الفتن (3984) ، أحمد (270/4) ، الدارمي البيوع (2531) .

وستتبعه إن شاء الله تعالى سلسلة من الكتــب في الحديث، والفقه، والذكر والدعاء، والتي نرجو من الله العلي القدير أن ينفــع بها عموم المسلمين.

وبهذه المناسبة يسرني أن أشكر الإخوة الذين قاموا بــإعداد الكتــاب (تأليفًا، ومراجعة، وصياغة) جهدهم المخلص، وللأمانة العامــة للمجمــع حسن اهتمامها ومتابعتها، وأدعو الله تعالى أن يحفظ هذه البلاد راعية للدين، وحامية للعقيدة الصحيحة في ظل قيادة خادم الحرمين الشريفين، وسمــو ولي عهده الأمين، وسمو النائب الثاني، حفظهم الله، وآخر دعوانا أن الحمــد لله رب العالمين.

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

مد لله الذي أكمل لنا الدين وأتمَّ علينا النعمة، وجعل أمَّتنا -أمَّة الإسلام-
ة، وبعث فينا رسولًا منَّا يتلو علينا آياته ويزكينا، ويعلِّمنا الكتاب والحكمة،
ة والسلام على مَن أرسله الله للعالمين رحمة، نبيِّنا محمد وعلى آله وصحبه.

ـا بعد: فإنَّ الحكمة من خلق الجن والإنس هي عبادة الله وحده، كما قال
﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [1] (الذاريات: 56). ولذا كان
. والعقيدة الصحيحة المأخوذةُ من منبعها الأصلي وموردها المبارك كتاب الله
سوله ﷺ هي الغاية لتحقيق تلك العبادة، فهي الأساس لعمارة هذا الكون،
ا يكون فساده وخرابه واختلاله، كما قال الله تعالى: ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ
ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ۚ فَسُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾ [2] (الأنبياء: 22)، وقال
انه: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَـٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ
شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ﴾ [3] (الطلاق: 12)، إلى غير
ن الآيات.

كان غير ممكن للعقول أن تستقلَّ بمعرفة تفاصيل ذلك بعث الله رسلَه
ل كتبَه؛ لإيضاحه وبيانه وتفصيله للناس حتى يقوموا بعبادة الله على علم
وأسسٍ واضحةٍ ودعائم قويمةٍ، فتتابع رسلُ الله على تبليغه، وتوالوا في بيانه
ل سبحانه: ﴿ وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴾ [4] (فاطر: 24)، وقال سبحانه:

ة الذاريات آية : 56 .
ة الأنبياء آية : 22 .

أصول الإ
الحـ
خيرَ أمَّة
والصلا
أمـ
تعالى:
التوحيد
وسنة ر
وبفقدها
ءَالِهَةٌ إِلَّا
سـبحا
عَلَىٰ كُلِّ
ذلك مر
ولما
وأنـزل
وبصيرة
كما قال
(1) سورة
(2) سورة

ة الطلاق آية : 12 .

ة فاطر آية : 24 .

(3) سورة

(4) سورة

4)، أي يتبع بعضُهم بعضًا إلى أن ختمهم

فَبلّغ الرسالة وأدّى الأمانة، ونصح الأمّة،

رًّا وجهرًا، وقام بأعباء الرسالة أكملَ قيام،

ر أولو العزم من الرسل، ولم يزل داعيًا إلى

هر الله به الدّين، وأتم به النّعمة، ودخل

لم يَمُت ﷺ حتى أكمل الله به الدّين وأتمّ به

﴿ ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ

: 3).

كلّه أصوله وفروعه، كما قال إمام دار

يُظنّ بالنبي ﷺ أنه علّم أمتــه الاستنجاء

لاص الدّين لله ونبذ الشرك كـــلّه كبيرِه

لّهم متّفقون على ذلـــك، متضافرون على

سالتهم وأســاس بعثتهم، يقول الله تعالى:

اْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَۖ فَمِنۡهُم مَّنۡ هَدَى ٱللَّهُ

رۡضِ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُكَذِّبِينَ

﴿ ثُمَّ أَرۡسَلۡنَا رُسُلَنَا تَتۡرَاۖ ﴾ [1] (المؤمنون: 4

بسيِّدهم وأفضلهم وإمامهم نبيِّنا محمد ﷺ ف

وجاهد في الله حقَّ جهاده ودعا إلى الله ســ

وأوذيَ في الله أشدَّ الأذى، فصـــبر كما صبر

الله هاديـــًا إلى صراطـــه المستقيم حتى أظ

الناس بسبب دعوتـــه في دين الله أفواجًا، ول

النِّعمـــة، وأنـــزل في ذلك سبحانه قولـــه:

نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ ﴾ [2] (المائدة

فبيَّن صلوات الله وسلامه عليه الدين

الهجرة مالك بن أنس رحمه الله: " مُحال أن

ولم يعلمهم التوحيد ".

وقد كان ﷺ داعيةً إلى توحيد الله وإخ

وصغيره شأن جميع المرسلين؛ إذ أنَّ الرسلَ ك

الدعوة إليه، بل هو منطلقُ دعوتهم وزبدة ر

﴿ وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُو

وَمِنۡهُم مَّنۡ حَقَّتۡ عَلَيۡهِ ٱلضَّلَٰلَةُۚ فَسِيرُواْ فِي ٱلۡأ

٣٦ ﴾ [3] (النحل: 36)، وقال:

(1) سورة المؤمنون آية : 44 .

(2) سورة المائدة آية : 3 .

(3) سورة النحل آية : 36 .

5

﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ﴾ [1] (الأ

25)، وقال تعالى: ﴿ وَسۡـَٔلۡ مَنۡ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلۡنَا مِن دُونِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ءَالِهَةً يُع

﴾ [2] (الزخرف: 45)، وقال تعالى: ﴿ ۞ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ

وَٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَمَا وَصَّيۡنَا بِهِۦٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓۖ أَنۡ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُو

﴾ [3] (الشـــورى: 13).

وقد ثبت في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال: « الا

إخوة لعلّات، أمّهاتُهم شتَّى ودينُهم واحد » [4] [5] فـــالدِّين واحـــدٌ، والع

واحدةٌ، وإنَّما حصل التنوُّعُ بينهم في الشرائع، كما قـــال تعـــالى: ﴿ لِكُلٍّ

مِنكُمۡ شِرۡعَةً وَمِنۡهَاجًاۚ ﴾ [6] (المائدة: 48).

ولذا ينبغي أن يكون متقرِّرا لدى كلِّ مسلم وواضحا لدى كلِّ مؤمـــن أنَّ الع

لا مجال فيها للرأي والأخذ والعطاء، وإنَّما الواجب علـــى كـــلِّ مسلم في مش

الأرض ومغاربها أن يعتقد عقيدة الأنبياء والمرســـلين، وأن يؤمن بالأصول التي

بها ودعوا إليها دون تشـــكُّكٍ أو تـــردُّدٍ، ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن

(1) سورة الأنبياء آية : 25 .

(2) سورة الزخرف آية : 45 .

(3) سورة الشورى آية : 13 .

(4) البخاري أحاديث الأنبياء (3259) ، مسلم الفضائل (2365) ، أبو داود السنة (4675)

(406/2) .

(5) صحيح البخاري (3443) ، وصحيح مسلم (2365) .
(6) سورة المائدة آية : 48 .

وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾ [1] (البقرة: 285).

فهذا شأنُ المؤمنين، وهذا سبيلهم: الإيمان والتسليم والإذعان والقبـول، وعندما يكون المؤمن كذلك ترافقه السلامة، ويتحقق له الأمـن والأمـان، وتزكو نفسُه، ويطمئنُّ قلبُه، ويكون بعيدًا تمام البعد عمَّا يقع فيه ضلَّال النـاس بسبب عقائدهم الباطلة من تناقض واضطراب وشكوك وأوهام وحَيرة وتذبذب.

والعقيدة الإسلامية الصحيحة بأصولها الثابتة وأسسها السـليمة وقواعدهـا المتينة هي – دون غيرها – التي تحقِّق للناس سعادتهم ورفعتهم وفلاحهم في الدنيـا والآخرة؛ لوضوح معالمها، وصحَّة دلائلها، وسـلامة براهينـها وحججـها، ولموافقتها للفطرة السليمة، والعقول الصحيحة، والقلوب السويَّة.

ولهذا فإنّ العالَمَ الإسلامي كلّه في أشدِّ الحاجة إلى معرفة هذه العقيدة الصافيـة النقيَّة؛ إذ هي قطبُ سعادته الذي عليه تدور، ومستقر نجاته الذي عنه لا تحور.

وفي هذا المؤلّف الوجيز يجد المسلم أصولَ العقيدة الإسلامية وأهـمَّ أسسـها وأبرزَ أصولها ومعالمها مِمَّا لا غنى لمسلم عنه، ويجد ذلك كله مقرونا بدليله، مدعَّمًـا بشواهده، فهو كتاب مشتمل على أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة، وهي أصول عظيمة موروثة عن الرسل، ظاهرة غاية الظهور، يمكن لكل مميِّز من صغـير وكبير أن يُدركها بأقصر زمان وأوجز مدَّة، والتوفيق بيد الله وحده. وبهذه المناسبة نتقدم بالشكر الجزيل للذين ساهموا في إعداد هذا الكتاب وهم: الدكتور صالح بـن سعد السحيمي، والدكتور عبد الرزاق بن عبد المحسن العباد، والدكتور إبراهيم بن عامر الرحيلي. كما نشـكر اللذين قاما بمراجعته وصياغته وهما: الدكتور علي بن محمد ناصر فقيهي، والدكتور أحمد بن عطية الغامدي.

(1) سورة البقرة آية : 285 .

وإنَّا لنرجوه سبحانه أن ينفع به عمومَ المسلمين، وآخر دعوانا أن الحمـــد لله رب العالمين.

الأمانة العامة

لمجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف

تمهيد

لا يخفى على كل مسلم أهمية الإيمان، وعظم شأنه، وكثرة ع عوائده وفوائده على المؤمن في الدنيا والآخرة، بل إن كل خير في الدنيا والآخرة م تتوقف على تحقق الإيمان الصحيح، فهو أجل المطالب، وأهم المقاصد، وأنبل الأهداف، وبه يحيا العبد حياة طيبة سعيدة، وينجو من المكاره والشرور والشدائد، وين ال ثواب الآخرة ونعيمها المقيم وخيرها الدائم المستمر الذي لا يحول ولا يزول.

قال تعالى: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْ يِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾ ﴾ [1] (النحل: 97). وقال تعالى: ﴿ وَمَنْ أَرَادَ ٱلْـَٔاخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ﴿١٩﴾ ﴾ [2] (الإسراء: 19).

وقال تعالى: ﴿ وَمَن يَأْتِهِۦ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلدَّرَجَٰتُ ٱلْعُلَىٰ ﴿٧٥﴾ ﴾ [3] (طه: 75). وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱل صَّٰلِحَٰتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴿١٠٧﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا ﴿١٠٨﴾ ﴾ [4] (الكهف: 107، 108). والآيات في هذا المعنى في القرآن الكريم كثيرة.

وقد دلت نصوص الكتاب والسنة على أن الإيمان يقوم على ا لأصول الستة، وهي: الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقـ ـدر خيره وشره، وقد جاء ذكر هذه الأصول في القرآن الكريم والسنة النبوية في موا طن عديدة. منها:

---

(1) سورة النحل آية : 97 .

(2) سورة الإسراء آية : 19 .

(3) سورة طه آية : 75 .

(4) سورة الكهف آية : 107 ، 108 .

1 - قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ مِن قَبۡلُۚ وَمَن يَكۡفُرۡ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا ﴾ [1] (النساء: 136).

2 - وقوله تعالى: ﴿ لَّيۡسَ ٱلۡبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمۡ قِبَلَ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلۡبِرَّ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلۡكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾ [2] (البقرة: 177).

3 - وقوله تعالى: ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ ﴾ [3] (البقرة: 285).

4 - وقوله تعالى: ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيۡءٍ خَلَقۡنَٰهُ بِقَدَرٖ ﴾ [4] (القمر: 49).

5 - وثبت في صحيح مسلم من حديث عمر بن الخطاب المشهور بحديث جبريل ﴿ أن جبريل سأل النبي ﷺ فقال: أخبرني عن الإيمان، قال: (أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره ﴾ [5] [6] .

فهذه أصول ستة عظيمة يقوم عليها الإيمان، بل لا إيمان لأحد إلا بالإيمان بها، وهي أصول مترابطة متلازمة، لا ينفك بعضها عن بعض، فالإيمان ببعضها مستلزم للإيمان بباقيها، والكفر ببعضها كفر بباقيها.

(1) سورة النساء آية : 136 .

(2) سورة البقرة آية : 177 .

(3) سورة البقرة آية : 285 .

(4) سورة القمر آية : 49 .

(5) مسلم الإيمان (8) ، الترمذي الإيمان (2610) ، النسائي الإيمان وشرائعه (4990) ، أبو داود السنة

(4695) ، ابن ماجه المقدمة (63) ، أحمد (27/1) .

(6) صحيح مسلم برقم (1) .

ولذا كان متأك

علما وتعلما وتحقيقا

وفيما يلي بيان

دا في حق كل مسلم أن تعظم عنايته واهتمامــه بهــذه الأصول

.

ما يتعلق بالأصل الأول من هذه الأصول وهو الإيمان بالله.

الباب الأول: الإيمان بالله

إن الإيمان بالله عَجَلّ هو أهم أصول الإيمــان، وأعظ مها شـأنا، وأعلاها قدرا، بل هو أصل أصول الإيمان، وأساس بنائه، وقوام أمره، وبقيــة الأصول متفرعة منه، راجعة إليه، مبنية عليه. والإيمان بالله عز وجــل هـــو الإيمان بوحدانيته سبحانه في ربوبية، وألوهيته، وأسمائه وصفاته، فهذه أصول ثلاثة يق قوم عليها الإيمان بالله، بل إن الدين الإسلامي الحنيف إنمـا ســمي توحيدا لأن مبنا ه على أن الله واحد في ملكه وأفعاله لا شريك له، وواحد في ذاته وأسمائه وصفاته لا نظير له، وواحد في ألوهيته وعبادته لا ندَّ له.

وبهذا يعلم أن توحيد الأنبياء والمرسلين ينقسم إلى ثلا ثة أقسام:

القسم الأول: توحيد الربوبية ، وهو الإقرار بأنَّ الله تعالى رب كــلّ شيء ومليكُه وخالقُه ورازقُه، وأنه المحيي المميتُ النــافعُ الضـ ـار، المتفــرِّدُ بالإجابة عند الاضطرار، الذي له الأمر كله، وبيده الخير كله، وإليه يُرجــع الأمرُ كله، لا شريك له في ذلك.

القسم الثاني: توحيد الألوهية ، وهو إفراد الله وح ده بالذلِّ والخضـــوع والمحبَّة والخشوع والركوع والسجود والذبح والنذر، وسائر أنو اع العبـــادة لا شريك له.

القسم الثالث: توحيد الأسماء والصفات ، وهو إفراد الله تعالى. بما سمـــى ووصف نفسه في كتابه وعلى لسان نبيه ﷺ وتنـــزيهه عـــن النق ـائص والعيوب ومماثلة الخلق فيما هو من خصائصه والإقرار بأنَّ الله بكلِّ شـــيء علي م، وعلى كلِّ شيء قدير، وأنَّه الحـــيُّ القيُّوم الذي لا تأخذه سِنة ولا نـــوم، له المشيئة النافذة والحكمة البالغة، وأنَّه سميع بصير، رؤوف رحيـــم، علـــى العرش استوى، وعلى الملك احتوى، وأنَّه الـــمَلِك القدوس السلام المؤمـــن المهيمن العزيز الج بَّار المتكبِّر، سبحان الله عمَّا يشركون، إلى غير ذلك مـــن الأسماء الحسنى، والصفات العلى.

الكتاب والسنة. ولكل قسم من هذه الأقسام الثلاثة دلائلُ كثيرة من

فالقرآن كله في التوحيد، وحقوقه وجزائه وفي شأن الشــرك وأهلــه وجزائهم.

وهذه الأقسام الثلاثة للتوحيد قد أخذها أهل العلم بالاستقراء والتتبــع لنصوص الكتاب والسنة، وهو استقراء تامٌّ لنصوص الشرع، أفــاد هــذه الحقيقة الشرعية، وهي أنّ التوحيد المطلوب من العباد هو الإيمان بوحدانيــة الله في ربوبيته وألوهيَّته وأسمائه وصفاته، فمَن لم يأت بهذا جميعــه فليــس بمؤمن، وفيما يلي فصول ثلاثة في كل فصل منها بيان لقســم مــن هــذه الأقسام:

الفصل الأول: توحيد الربوبية

المبحث الأول: معناه وأدلته من الكتاب والسنة والعقل والفطرة.

لا: تعريفه:

لغة : الربوبية مصدر من الفعل ربب، ومنه الربُّ، فالربوبية صفـــة الله، وهي ة من اسم الرب، والرب في كلام العرب يطلق على معان: منها المالك، والسيد والـــمُصْلِح.

– أما في الاصطلاح : فإن توحيد الربوبية هو إفراد الله بأفعاله.

نها الخلق والرزق والسيادة والإنعام والملك والتصوير، والعطاء والمنع، والنفع ، والإحياء والإماتة، والتدبير المحكـــم، والقضاء والقدر، وغـــير ذلك من أفعاله شريك له فيها، ولهذا فإن الواجب على العبد أن يؤمن بذلك كله.

يا: أدلته :

من الكتاب : قوله تعـــالى: ﴿ خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ بِغَيۡرِ عَمَدٖ تَرَوۡنَهَاۖ وَأَلۡقَىٰ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَن تَمِيدَ بِكُمۡ وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٖۚ وَأَنزَلۡنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَنۢبَتۡنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوۡجٖ ﴿١٠﴾ هَـٰذَا خَلۡقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦۚ بَلِ ٱلظَّـٰلِمُونَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ [1] (لقمان: 10، 11). وقولــه تعالى: ﴿ أَمۡ خُلِقُواْ مِنۡ غَيۡرِ شَيۡءٍ أَمۡ هُمُ ٱلۡخَـٰلِقُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾ [2] (الطور: 35)

– من السنة : ما رواه الإمام أحمد وأبو داود من حديث عبـــد الله بن رضي الله عنه مرفوعا وفيه: (السيد الله تبارك وتعالى..). وقد ثبت في الترمـــذي وغيره ي ﷺ قال في وصيته لابن عباس رضي الله عنـــهما:... « واعلم أن الأمة لو ت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعـــوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، وإن اجتمعوا

ة لقمان آية : 10 ، 11 .
ة الطور آية : 35 .

بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام

ود الله تعالى وانفراده بالربوبيـــة وكمال
ن طريق النظر والتفكر في آيات الله الدالة
على ربوبيته طـــرق كثيرة بحسب تنوع

ي خلق النفس البشرية وهو مـــا يعرف
الله العظيمة الدالة على تفرد الله وحده
ـــالى: ﴿ وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ
﴿ وَنَفۡسٖ وَمَا سَوَّىٰهَا ﴿٧﴾ ﴾ [4] (الشمس:
نفسه وما فيها من عجـــائب صنـــع الله
خبيرا؛ إذ لا يستطيع الإنســـان أن يخلق
لقـــة، أو يحـــول العلقـــة إلى مضغة، أو

خلق الكون وهو ما يعـــرف بـــ (دلالة
العظيمة الدالـــة علـــى ربوبيته، قال الله

حمد (1/293) .
) ، وقد حسن الحديث الترمذي وصححه ، وصححه

(1) سور
(2) سور

على أن يضروك بشيء لم يضـــروك إلا ب
وجفت الصحف [1] [2].

ج- دلالة العقل : دل العقل على وج
قدرته على الخلق وسيطرته عليهم، وذلك ع
عليه. وللنظر في آيات الله والاستدلال بها
الآيات وأشهرها طريقان:

الطريق الأول : النظر في آيات الله في
بـــ (دلالة الأنفس)، فالنفس آية من آيات
بالربوبية لا شريك له، كما قـــال تع
﴿٢١﴾ ﴾ [3] (الذاريات: 21)، وقال تعالى:
7)، ولهذا لو أن الإنسان أمعن النظر في
لأرشده ذلك إلى أن له ربا خالقا حكيما
النطفة التي كان منها ؟ أو أن يحولها إلى ع
يحول المضغة عظاما، أو يكسو العظام لحما ؟

الطريق الثاني : النظر في آيات الله في
الآفاق)، وهذه كذلك آية من آيات الله

(1) الترمذي صفة القيامة والرقائق والورع (2516) ، أ
(2) سنن الترمذي (2516) ، ومسند أحمد (1 / 307
الحاكم .

(3) سورة الذاريات آية : 21 .

(4) سورة الشمس آية : 7 .

تعالى: ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّ

عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾ ﴾ [1] **(فصلت: 53).**

ومن تأمل الآفاق وما في هذا الكون من سماء وأرض، وما اشتملت عليه ال
من نجوم وكواكب وشمس وقمر، وما اشتملت عليه الأرض من جبال وأ
وبحار وأنهار، وما يكتنف ذلك من ليل ونهار وتسيير هذا الكون كله بهذا ا
الدقيق؛ دله ذلك على أن هناك خالقا لهذا الكون، موجدًا له مدبِّرًا لشؤونه، و
تدبر العاقل في هذه المخلوقات وتغلغل فكره في بدائع الكائنات علم أنها خ
للحق وبالحق، وأنها صحائف آيات، وكتب براهين ودلالات على جميع ما
به الله عن نفسه وأدلة على وحدانيته.

وقد جاء في بعض الآثار أن قوما أرادوا البحث مع الإمام أبي حنيفة في
توحيد الربوبية، فقال لهم رحمه الله: " أخبروني قبل أن نتكلم في هذه المسأل
سفينة في دجلة تذهب فتمتلئ من الطعام وغيره بنفسها وتعود بنفسها، ف
بنفسها وترجع، كل ذلك من غير أن يديرها أحد ؟ ".

فقالوا: " هذا محال لا يمكن أبدا. فقال لهم: إذا كان هذا محالا في سفينة ف
في هذا العالم كله علوه وسفله ؟ ".

فنبه إلى أن اتساق العالم ودقة صنعه وتمام خلقه دليل على وحدانية
وتفرده.

(1) سورة فصلت آية : 53 .

المبحث الثاني: بيان أن الإقرار بهذا التوحيد وحده لا ينجي من العذاب.

إن توحيد الربوبية هو أحد أنواع التوحيد الثلاثة كما تقدم؛ ولذا فإنه لا يصح إيمان أحد ولا يتحقق توحيده إلا إذا وحد الله في ربوبيته، لكن هذا النوع من التوحيد ليس هو الغاية من بعثة الرسل عليهم السلام، ولا ينجي وحده من عذاب الله ما لم يأت العبد بلازمه توحيد الألوهية.

ولذا يقول الله تعالى: ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴿١٠٦﴾ ﴾ [1] (يوسف: 106)، والمعنى أي: ما يقر أكثرهم بالله ربا وخالقا ورازقا ومدبرا- وكل ذلك من توحيد الربوبية - إلا وهم مشركون معه في عبادته غيره من الأوثان والأصنام التي لا تضر ولا تنفع، ولا تعطي ولا تمنع.

وبهذا المعنى للآية قال المفسرون من الصحابة والتابعين.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: " من إيمانهم إذا قيل لهم من خلق السماء، ومن خلق الأرض ومن خلق الجبال ؟ قالوا: الله وهم مشركون ".

وقال عِكْرِمَة: " تسألهم من خلقهم ومن خلق السماوات والأرض فيقولون الله فذلك إيمانهم بالله، وهم يعبدون غيره ".

وقال مجاهد: " إيمانهم قولهم: الله خالقنا ويرزقنا ويميتنا فهذا إيمان مع شرك عبادتهم غيره ".

وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم بن زيد: " ليس أحد يعبد مع الله غيره إلا وهو مؤمن بالله ويعرف أن الله ربُّه، وأنَّ الله خالقُه ورازقُه، وهو يشرك به، ألا ترى كيف قال إبراهيم: ﴿ قَالَ أَفَرَءَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٧٥﴾ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلْأَقْدَمُونَ ﴿٧٦﴾ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّيٓ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٧﴾ ﴾ [2] (الشعراء: 75- 77) " [1] .

(1) سورة يوسف آية : 106 .
(2) سورة الشعراء آية : 75 ، 77 .

والنصوص عن السلف في هذا المعنى كثيرة، بل لقد كان المشركون زمن النبي ﷺ مقرين بالله ربا خالقا رازقا مدبرا، وكان شركهم به من جهة العبادة حيث اتخذوا الأنداد والشركاء يدعوهم ويستغيثون بهم ويتزلون بهم حاجاتهم وطلباتهم.

وقد دل القرآن الكريم في مواطن عديدة منه على إقرار المشركين بربوبية الله مع إشراكهم به في العبادة، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٦١﴾ ﴾[2] (العنكبوت: 61)، وقوله تعالى: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٦٣﴾ ﴾[3] (العنكبوت: 63)، وقوله تعالى: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٨٧﴾ ﴾[4] (الزخرف: 87)، وقوله تعالى: ﴿ قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٨٧﴾ قُلْ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ ﴿٨٩﴾ ﴾[5] (المؤمنون: 84- 89).

فلم يكن المشركون يعتقدون أن الأصنام هي التي تنزل الغيث وترزق العالم وتدبر شؤونه، بل كانوا يعتقدون أن ذلك من خصائص الرب سبحانه، ويقرون أن أوثانهم التي يدعون من دون الله مخلوقة لا تملك لأنفسها ولا لعابديها ضرا ولا نفعا استقلالا ولا موتا ولا حياة ولا نشورا، ولا تسمع ولا تبصر، ويقرون أن الله هو

(1) انظر : تفسير ابن جرير (7 / 312- 313) .
(2) سورة العنكبوت آية : 61 .
(3) سورة العنكبوت آية : 63 .

(4) سورة الزخرف آية : 87 .

(5) سورة المؤمنون آية : 84 – 89 .

المتفرد بذلك لا شريك له، ليس إليهم ولا إلى أوثانهم شيء من ذ
الخالق وما عداه مخلوق والرب وما عداه مربوب، غير أنهم ج
شركاء ووسائط، يشفعون لهم بزعمهم عند الله ويقربونهم إليه زل
تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَ مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا
زُلۡفَىٰٓ ﴾ [1] (الزمر: 3)، أي ليشفعوا لهم عند الله في نصرهم ورزق
أمر الدنيا.

ومع هذا الإقرار العام من المشركين لله بالربوبية إلا أنه لم يدخلـ
حكم الله فيهم بأنهم مشركون كافرون وتوعدهم بالنار والخلـ
رسوله ﷺ دماءهم وأموالهم لكونهم لم يحققوا لازم توحيد الربوبـ
في العبادة.

وبهذا يتبين أن الإقرار بتوحيد الربوبية وحده دون الإتيان بلازمه
يكفي ولا ينجي من عذاب الله، بل هو حجة بالغة على الإنسان تقتض
لله وحده لا شريك له، وتستلزم إفراد الله وحده بالعبادة. فإذا
كافر حلال الدم والمال.

لك، وأنه سبحانه
علوا له من خلقه
فى؛ ولذا قال الله
لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ
هم وما ينوبهم من

هم في الإسلام بل
ود فيها واستباح
ية وهو توحيد الله

توحيد الألوهية لا
ضي إخلاص الدين
لم يأت بذلك فهو

(1) سورة الزمر آية : 3 .

المبحث الثالث: مظاهر الانحراف في توحيد الربوبية

بالرغم من أن توحيد الربوبية أمر مركوز في الفطر، مجبولة عليه النفوس، متكاثرة على تقريره الأدلة، إلا أنه وجد في الناس من حصل عنده انحراف فيه، ويمكن تلخيص مظاهر الانحراف في هذا الباب فيما يلي:

1 - جحد ربوبية الله أصلًا وإنكار وجوده سبحانه، كما يعتقد ذلك الملاحدة الذين يسندون إيجاد هذه المخلوقات إلى الطبيعة، أو إلى تقلب الليل والنهار، أو نحو ذلك ﴿ وَقَالُوا۟ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ ۚ ﴾ [1] (الجاثية: 24).

2- جحد بعض خصائص الرب سبحانه وإنكار بعض معاني ربوبيته، كمن ينفي قدرة الله على إماتته أو إحيائه بعد موته، أو جلب النفع له أو دفع الضر عنه، أو نحو ذلك.

3- إعطاء شيء من خصائص الربوبية لغير الله سبحانه، فمن اعتقد وجود متصرف مع الله ﷻ في أي شيء من تدبير الكون من إيجاد أو إعدام أو إحياء أو إماتة أو جلب خير أو دفع شر أو غير ذلك من معاني الربوبية فهو مشرك بالله العظيم.

(1) سورة الجاثية آية : 24 .

الفصل الثاني: توحيد الألوهية

الألوهية مشتقة من اسم الإله، أي المعبود المطاع، فالإله اسم من أسماء الله الحسنى، والألوهية صفة من صفات الله العظيمة، فهو سبحانه المألوه المعبود الذي يجب أن تألهه القلوب وتخضع له وتذل وتنقاد؛ لأنه سبحانه الرب العظيم، الخالق لهذا الكون، المدبر لشؤونه، الموصوف بكل كمال، المنزه عن كل نقص، ولهذا فإن الذل والخضوع لا ينبغي إلا له، فحيث كان متفردا بالخلق والإنشاء والإعادة لا يشركه في ذلك أحد وجب أن ينفرد وحده بالعبادة دون سواه لا يشرك معه في عبادته أحد.

فتوحيد الألوهية هو إفراد الله وحده بالعبادة، وذلك بأن يعلم العبدُ علمَ اليقِين أن الله وحده هو المألوه المعبود على الحقيقة، وأن صفات الألوهية ومعانيها ليست موجودة في أحد من المخلوقات ولا يستحقها إلا الله تعالى، فإذا علم العبد ذلك واعترف به حقا أفرد الله بالعبادة كلها الظاهرة والباطنة، فيقوم بشرائع الإسلام الظاهرة كالصلاة والزكاة والصوم والحج والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وبرِّ الوالدين وصلة الأرحام، ويقوم بأصوله الباطنة من الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره، لا يقصد بشيء من ذلك غرضا من الأغراض غير رضا ربه وطلب ثوابه.

وفي هذا الفصل سيتم تناول جملةٍ من المباحث المهمة المتعلقة بهذا النوع من التوحيد.

المبحث الأول: أدلته، وبيان أهميته

المطلب الأول: أدلّتُه.

لقد تضافرت النصوص وتظاهرت الأدلة علـــى وجـــوب إفــــراد الله بالألوهية، وتنوعت في دلالتها على ذلك:

1 - تارة بالأمر به، كما في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴾ [1] (البقــرة: 21)، وقولــه: ﴿ ۞ وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ ﴾ [2] (النساء: 36)، وقوله: ﴿ ۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ ﴾ [3] (الإسراء: 23)، ونحوها من الآيات.

2 - وتارة ببيان أنه الأساس لوجود الخليقة والمقصود من إيجاد الثقلين، كما قال تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ ﴾ [4] (الذاريات: 56).

3 - وتارة ببيان أنه المقصود من بعثة الرسل كمـــا في قولــــه تعــــالى: ﴿ وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَۖ ﴾ [5] (النحــل: 36)، وقوله: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ﴾ [6] (الأنبياء: 25).

---

(1) سورة البقرة آية : 21 .
(2) سورة النساء آية : 36 .
(3) سورة الإسراء آية : 23 .
(4) سورة الذاريات آية : 56 .

(5) سورة النحل آية : 36 .

(6) سورة الأنبياء آية : 25 .

4 – وتارة ببيان أنه المقصود من إنــزال الكتب الإلــهية، كمــا في قوله تعالى: ﴿ يُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ أَنْ أَنذِرُوٓاْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱتَّقُونِ ﴾[1] (النحل: 2).

5 – وتــارة ببيان عظيم ثواب أهله وما أعد لهم من أجور عظيمــة ونعم كريمة في الدنيــا والآخرة، كما قال الله تعــالى: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴾[2] (الأنعام: 82).

6 – وتارة بالتحذير من ضده، وبيان خطورة مناقضته، وذكر ما أعــد سبحانه من عقاب أليم لمن تركه، كقوله تعالى: ﴿ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴾[3] (المائدة: 72)، وقوله تعالى: ﴿ وَلَا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتُلْقَىٰ فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا ﴾[4] (الإسراء: 39).

إلى غير ذلك من أنواع الأدلة المشتملة على تقرير التوحيد والدعوة إليــه والتنويه بفضله وبيان ثواب أهله وعظم خطورة مخالفته.

والسنة النبوية كذلك مليئة بالأدلة على هذا التوحيد وأهميته، من ذلك:

1 – ما رواه البخاري في صحيحه عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: يا معاذ أتدري ما حق الله على العباد ؟ قال: الله ورسوله أعلم. قــال: أن يعبدوه ولا

(1) سورة النحل آية : 2 .

(2) سورة الأنعام آية : 82 .

(3) سورة المائدة آية : 72 .

(4) سورة الإسراء آية : 39 .

وا به شيئا، أتدري ما حقهم عليه ؟ قال: الله ورســوله أعلم. قال: أن لا

[1] [2] .

– وعن ابن عباس رضي الله عنه قال: لما بعث النبي ﷺ معاذا نحو اليمن قال لــه:

تقدم على قوم من أهل الكتاب فليكــن أول مــا تدعوهــم إلى أن يوحدوا

تعالى فإذا عرفوا ذلك فأخبرهم أن الله فــرض عليــهم خمــس

ت [3] ....، الحديث، رواه البخاري [4].

– وعن ابن مسعود رضي الله عنه أن رســول الله ﷺ قــال: مــن مــات وهــو

و من دون الله نــدًّا دخل النار [5] ، رواه البخاري [6] .

– وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: من لقي الله لا يشرك

ئا دخل الجنة، ومن لقيه يشرك به شــيئا دخــل النــار [7] ، رواه

[8] .

لأحاديث في هذا الباب كثيرة.

طلب الثاني بيان أهميته وأنه أساس دعوة الرسل

خاري التوحيد (6938) ، مسلم الإيمان (30) ، الترمذي الإيمان (2643) ، ابن ماجه الزهد

(429 ، أحمد (230/5) .

يح البخاري (7373) .

خاري المغازي (4090) ، مسلم الإيمان (19) ، الترمذي الزكاة (625) ، النسائي الزكاة (2435) ،

داود الزكاة (1584) ، ابن ماجه الزكاة (1783) ، أحمد (233/1) ، الدارمي الزكاة (1614) .

يح البخاري (7372) .

خاري تفسير القرآن (4227) ، مسلم الإيمان (92) ، أحمد (443/1) .

يح البخاري (4497) .

(7) البخاري العلم (129) ، مسلم الإيمان (32) ، أحمد (244/3) .

(8) صحيح مسلم (93) .

ـه وأنه أساس دعوة الرسل.

ـلأصول على الإطلاق وأكملـها وأفضلها
ـ الله الجن والإنس لأجله، وخلق المخلوقات
ـلاح، وبفقده يكون الشر والفساد، ولذا
ـغاية رسالتهم وأساس دعوتهم، يقول الله
ـ رَّسُولاً أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ
ـسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ
.

ـدة أن توحيد الألوهية هو مفتاح دعوة
ـل ما يدعو قومه إليه توحيد الله وإخلاص
ـهُمْ هُودًا قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ
ـلى: ﴿ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا قَالَ يَٰقَوْمِ
(الأعراف: 73)، وقال تعالى: ﴿ وَإِلَىٰ
ـ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ﴾ [5] (الأعراف:

المطلب الثاني: بيان أهمية

لا ريب أن توحيد الألوهية هو أعظم ا
وألزمها لصلاح الإنسانية، وهو الذي خلق
وشرع الشرائع لقيامه، وبوجوده يكون الص
كان هذا التوحيد زبدة دعـوة الرسـل و
تبارك وتعالى: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ
﴾ [1] (النحل: 36)، وقال: ﴿ وَمَآ أَرْ
إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾﴾ [2] (الأنبياء: 25

وقد دل القرآن الكريم في مواطن عديـ
الرسل، وأن كل رسول يبعثه الله يكون أو
العبادة له، قال الله تعالى: ﴿ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُ
غَيْرُهُۥٓ﴾ [3] (الأعراف: 65)، وقال تعا
ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ﴾ [4]
مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ
85).

(1) سورة النحل آية : 36 .

(2) سورة الأنبياء آية : 25 .

(3) سورة الأعراف آية : 65 .

(4) سورة الأعراف آية : 73 .

(5) سورة الأعراف آية : 85 .

المطلب الثالث: بيان أنه محور الخصومة بين الرسل وأممهم.

تقدم أن توحيد العبادة هو مفتتح دعوات الرسل جميعهم، فمـــا مـــن رسول
الله إلا وكان أول ما يدعو قومه إليه هو توحيد الله، ولذا كانت الخصومة بين ا
وأقوامهم في ذلك، فالأنبياء يدعوهم إلى توحيـــد الله وإخلاص العبادة له، وا
يصرون على البقاء على الشرك وعبادة الأوثان إلا من هداه الله منهم.

قال الله تعالى عن قوم نوح عليه السلام: ﴿ وَقَالُواْ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمۡ وَلَا تَذَرُنَّ وَ
سُوَاعٗا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسۡرٗا ﴿٢٣﴾ وَقَدۡ أَضَلُّواْ كَثِيرٗاۖ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا
﴿٢٤﴾ ﴾ [1] (نوح: 23-24)، وقال عن قوم هود عليه الســـلام: ﴿ قَالُوٓاْ
لِتَأۡفِكَنَا عَنۡ ءَالِهَتِنَا فَأۡتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٢٢﴾ ﴾ [2] (الأحقاف: 22
قَالُواْ يَٰهُودُ مَا جِئۡتَنَا بِبَيِّنَةٖ وَمَا نَحۡنُ بِتَارِكِيٓ ءَالِهَتِنَا عَن قَوۡلِكَ وَمَا نَحۡنُ لَكَ بِمُؤۡمِ
﴿٥٣﴾ ﴾ [3] (هود: 53).

وقال عن قوم صالح عليه السلام: ﴿ قَالُواْ يَٰصَٰلِحُ قَدۡ كُنتَ فِينَا مَرۡجُوّٗا قَبۡلَ
أَتَنۡهَىٰنَآ أَن نَّعۡبُدَ مَا يَعۡبُدُ ءَابَآؤُنَا وَإِنَّنَا لَفِي شَكّٖ مِّمَّا تَدۡعُونَآ إِلَيۡهِ مُرِيبٖ ﴿٦٢﴾ ﴾ [4]
62).

وقال عن قوم شعيب عليه السلام: ﴿ قَالُواْ يَٰشُعَيۡبُ أَصَلَوٰتُكَ تَأۡمُرُكَ أَن نَّ
يَعۡبُدُ ءَابَآؤُنَآ أَوۡ أَن نَّفۡعَلَ فِيٓ أَمۡوَٰلِنَا مَا نَشَٰٓؤُاْۖ إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلۡحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ ﴿٨٧﴾ ﴾ [5]
87).

---

(1) سورة نوح آية : 23 ، 24 .

(2) سورة الأحقاف آية : 22 .

(3) سورة هود آية : 53 .

(4) سورة هود آية : 62 .

(5) سورة هود آية : 87 .

وقال عن كفـــار قريـــش: ﴿ وَعَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ ۖ وَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا سَٰحِرٌ كَذَّابٌ ﴿٤﴾ أَجَعَلَ ٱلْءَالِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ﴿٥﴾ وَٱنطَلَقَ ٱلْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ ٱمْشُواْ وَٱصْبِرُواْ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمْ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ يُرَادُ ﴿٦﴾ مَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِى ٱلْمِلَّةِ ٱلْءَاخِرَةِ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا ٱخْتِلَٰقٌ ﴿٧﴾ ﴾ [1] (ص: 4-7).

وقـــال: ﴿ وَإِذَا رَأَوْكَ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَٰذَا ٱلَّذِى بَعَثَ ٱللَّهُ رَسُولًا ﴿٤١﴾ إِن كَادَ لَيُضِلُّنَا عَنْ ءَالِهَتِنَا لَوْلَآ أَن صَبَرْنَا عَلَيْهَا ۚ وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ مَنْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٢﴾ أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ﴿٤٣﴾ أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ۚ إِنْ هُمْ إِلَّا كَٱلْأَنْعَٰمِ ۖ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٤﴾ ﴾ [2] (الفرقان: 41-44).

فهذه النصوص وما جاء في معناها تدل أوضح دلالـــة أن المعـــترك والخصومة بين الأنبياء وأقوامهم إنما كان حول توحيد العبادة والدعـــوة إلى إخلاص الدين لله.

وقد ثبت في الصحيح أن النبي ﷺ قال: « أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ويقيمـــوا الصـــلاة ويؤتـــوا الزكاة، فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحـــق الإســـلام وحسابهم على الله » [3] [4].

وثبت في الصحيح أيضا عن النبي ﷺ قال: « من قال لا إله إلا الله وكفر بما يعبد من دون الله حرُم ماله ودمه وحسابه على الله » [5] [6].

(1) سورة ص آية : 4 - 7 .

(2) سورة الفرقان آية : 41 - 44 .

(3) البخاري الإيمان (25) ، مسلم الإيمان (22) .

(4) صحيح البخاري برقم (52) ، وصحيح مسلم برقم (22) .

(5) مسلم الإيمان (23) ، أحمد (394/6) .
(6) صحيح مسلم برقم (23) .

المبحث الثاني: وجوب إفراد الله بالعبادة، وتحته مط...

المطلب الأول: معنى العبادة والأصول التي تُبنى عل...

العبادة في اللغة: الذل والخضوع، يقال: بعير معبد، أي: مذلل... إذا كان مذللا قد وطئته الأقدام.

وشرعا: هي اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال وا... والباطنة.

وسيأتي ما يوضح ذلك عند ذكر بعض أنواع العبادة.

وهي تبنى على ثلاثة أركان:

الأول: كمال الحب للمعبود سبحانه، كما قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ... ﴾[1] (البقرة: 165).

الثاني: كمال الرجاء، كما قال تعالى: ﴿ وَيَرۡجُونَ رَحۡمَتَهُۥ ﴾[2] ...

الثالث: كمال الخوف من الله سبحانه، كما قال تعالى: ﴿ ... ﴾[3] (الإسراء: 57).

وقد جمع الله سبحانه بين هذه الأركان الثلاثة العظيمة في فاتحة ... سبحانه: ﴿ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٢ ﴾[4] ﴿ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ... يَوۡمِ ٱلدِّينِ ۝٤ ﴾[6]، فالآية الأولى فيها المحبة؛ فإن الله منعم، وا...

(1) سورة البقرة آية : 165 .
(2) سورة الإسراء آية : 57 .
(3) سورة الإسراء آية : 57 .
(4) سورة الفاتحة آية : 2 .

(5) سورة الفاتحة آية : 3 .

(6) سورة الفاتحة آية : 4 .

قـــدر إنعامه، والآية الثانية فيها الرجاء، فالمتصف بالرحمة ترجى رحمتـــه، والآية الثالثة فيها الخوف، فمالك الجزاء والحساب يخاف عذابه.

ولهذا قال تعالى عقب ذلك: ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ ﴾ [1] ، أي: أعبدك يا رب هـــذه الثلاث: بمحبتك التي دل عليها: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢ ﴾ [2] ، ورجائك الـــذي دل عليه: ﴿ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣ ﴾ [3] ، وخوفـــك الـــذي دل عليـــه: ﴿ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ۝٤ ﴾ [4] .

والعبادة لا تقبل إلا بشرطين:

1 – الإخلاص فيها للمعبود ؛ فإن الله لا يقبل من العمل إلا الخـــالص لوجهه سبحانه، قال تعالى: ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ﴾ [5] (البينة: 5)، وقال تعالى: ﴿ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ ﴾ [6] (الزمر: 3)، وقال تعـــالى: ﴿ قُلِ ٱللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَّهُۥ دِينِى ۝١٤ ﴾ [7] (الزمر: 14).

2 – المتابعة للرسول صلى الله عليه وسلم؛ فإن الله لا يقبل من العمل إلا الموافق لهدي الرسول ﷺ قال الله تعالى: ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُواْ

(1) سورة الفاتحة آية : 5 .

(2) سورة الفاتحة آية : 2 .

(3) سورة الفاتحة آية : 3 .

(4) سورة الفاتحة آية : 4 .

(5) سورة البينة آية : 5 .

﴾ [1] (الحشر: 7)، وقال تعالى: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ [2] (النساء: 65).

وقوله ﷺ ﴿ من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد ﴾ [3] [4] (أي مردود عليه).

فلا عبرة بالعمل ما لم يكن خالصا لله صوابا على سنة رسول الله ﷺ قال الفضيل بن عياض رحمه الله في قوله تعالى: ﴿ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾ [5] (هود: 7، الملك: 2): " أخلصه وأصوبه "، قيل: يا أبا علي، وما أخلصه وأصوبه ؟ قال: " إن العمل إذا كان خالصا ولم يكن صوابا لم يقبل، وإذا كان صوابا ولم يكن خالصا لم يقبل حتى يكون خالصا صوابا، والخالص ما كان لله، والصواب ما كان على السنة " [6].

ومن الآيات الجامعة لهذين الشرطين قوله تعالى في آخر سورة الكهف: ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴾ [7] (الكهف: 110).

(1) سورة الحشر آية : 7 .

(2) سورة النساء آية : 65 .

(3) البخاري الصلح (2550) ، مسلم الأقضية (1718) ، أبو داود السنة (4606) ، ابن ماجه المقدمة (14) ، أحمد (6/270) .

(4) صحيح البخاري برقم (2697) .

(5) سورة هود آية : 7 .

(6) سورة الزمر آية : 3 .

(7) سورة الزمر آية : 14 .

المطلب الثاني: ذكر بعض أنوا… ع العبادة.

العبادة أنواعها كثيرة، فكل عمل صالح يحبه الله وير… ضاه قولي أو فعلي ظاهر أو باطن فهو نوع من أنواعها وفرد من أفرادها، وفيما … يلي ذكر بعض الأمثلة على ذلك:

1 – فمن أنواع العبادة: الدعاء، بنوعيه دعاء المسأل… ة، ودعاء العبادة.

قال الله تعالى: ﴿فَٱدۡعُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱل… دِّينَ﴾ [1] (غافر: 14)، وقال تعالى: ﴿وَأَنَّ ٱلۡمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدۡعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدٗا … ١٨﴾ [2] (الجن: 18)، وقال تعالى: ﴿وَمَنۡ أَضَلُّ مِمَّن يَدۡعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسۡتَ… جِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَهُمۡ عَن دُعَآئِهِمۡ غَٰفِلُونَ ٥ وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُواْ لَهُمۡ … أَعۡدَآءٗ وَكَانُواْ بِعِبَادَتِهِمۡ كَٰفِرِينَ ٦﴾ [3] (الأحقاف: 5- 6).

فمن دعا غير الله عز وجل بشيء لا يقدر عليه إلا الله ف… هو مشرك كافر سواء كان المدعو حيا أو ميتا، ومن دعا حيا. بما يقدر عليه مثل أن … يقول: يا فلان أطعمني، أو يا فلان اسقني، ونحو ذلك فلا شيء عليه، ومن دعا ميتا أ… و غائبا. بمثل هذا فإنه مشرك؛ لأن الميت والغائب لا يمكن أن يقوم. بمثل هذا.

والدعاء نوعان: دعاء المسألة ودعاء العبادة.

فدعاء المسألة، هو سؤال الله من خيري الدنيا والآخ… رة، ودعاء العبادة يدخل فيه كل القربات الظاهرة والباطنة؛ لأن المتعبد لله طالب ب… لسان مقاله ولسان حاله من ربه قبول تلك العبادة والإثابة عليها.

---

(1) سورة غافر آية : 14 .

(2) سورة الجن آية : 18 .

(3) سورة الأحقاف آية : 5 ، 6 .

وكل ما ورد في القرآن من الأمر بالدعاء والنهي عن دعاء غير الله والثناء على الداعين يتناول دعاء المسألة ودعاء العبادة.

2، 3، 4 - ومن أنواع العبادة: المحبة والخوف والرجاء، وقد تقدم الكلام عليها وبيان أنها أركان للعبادة.

5 - ومن أنواعها: التوكل، وهو الاعتماد على الشيء.

والتوكل على الله: هو صدق تفويض الأمر إلى الله تعالى اعتمادا عليه وثقة به مع مباشرة ما شرع وأباح من الأسباب لتحصيل المنافع ودفع المضار، قال الله تعالى: ﴿ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴾ [1] (المائدة: 23)، وقال تعالى: ﴿ وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓ ﴾ [2] (الطلاق: 3).

6، 7، 8- ومن أنواع العبادة: الرغبة والرهبة والخشوع.

فأما الرغبة: فمحبة الوصول إلى الشيء المحبوب، والرهبة: الخوف المثمر للهرب من المخوف، والخشوع: الذل والخضوع لعظمة الله بحيث يستسلم لقضائه الكوني والشرعي، قال الله تعالى في ذكر هذه الأنواع الثلاثة من العبادة: ﴿ إِنَّهُمۡ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَيَدۡعُونَنَا رَغَبٗا وَرَهَبٗاۖ وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴾ [3] (الأنبياء: 90).

9 - ومن أنواعها: الخشية، وهي الخوف المبني على العلم بعظمة من يخشاه وكمال سلطانه، قال الله تعالى: ﴿ مِنۡهُمۡ فَلَا تَخۡشَوۡهُمۡ ﴾ [4] (البقرة: 150).

﴿ فَلَا تَخۡشَوۡهُمۡ وَٱخۡشَوۡنِۚ ﴾ [1] (المائدة: 3).

(1) سورة المائدة آية : 23 .

(2) سورة الطلاق آية : 3 .

(3) سورة الأنبياء آية : 90 .

(4) سورة البقرة آية : 150 .

1- ومنها الإنابة ، وهي الرجوع إلى الله تعالى بالقيام بطاعته واجتناب
ه، قال الله تعالى: ﴿ وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمۡ وَأَسۡلِمُواْ لَهُۥ ﴾ [2] (الزمر: 54).

1 – ومنها: الاستعانة ، وهي طلب العون من الله في تحقيق أمور الدين
ا، قال الله تعالى: ﴿ إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ۝٥ ﴾ [3] ، وقال ﷺ في
ه لابن عباس: ﴿ إذا استعنت فاستعن بالله ﴾ [4] [5] .

1 – ومنها: الاستعاذة ، وهي طلب الإعاذة والحماية من المكروه، قال الله
﴿ قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلۡفَلَقِ ۝١ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ۝٢ ﴾ [6] وقال تعالى ﴿ قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ
۝١ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ۝٢ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ۝٣ مِن شَرِّ ٱلۡوَسۡوَاسِ ٱلۡخَنَّاسِ ۝٤ ﴾ [7] .

1 – ومنها الاستغاثة ، وهو طلب الغوث، وهو الإنقاذ من الشدة والهلاك،
له تعالى: ﴿ إِذۡ تَسۡتَغِيثُونَ رَبَّكُمۡ فَٱسۡتَجَابَ لَكُمۡ ﴾ [8] (الأنفال: 9).

1 – ومنها الذبح ، وهو إزهاق الروح بإراقة الدم على وجه الخصوص
إلى الله، قال الله تعالى: ﴿ قُلۡ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحۡيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ
﴾ [9] (الأنعام: 162)، وقال تعالى: ﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنۡحَرۡ ۝٢ ﴾ [1] (الكوثر:

رة المائدة آية : 3 .

رة الزمر آية : 54 .

رة الفاتحة آية : 5 .

رمذي صفة القيامة والرقائق والورع (2516) ، أحمد (1/308) .

ن الترمذي (2516) ، ومسند أحمد (1 / 307) ، وقد حسن الحديث الترمذي وصححه الحاكم .

رة الفلق آية : 1 ، 2 .

رة الناس آية : 1 – 4 .

0
معصيت
1
والدنيا
وصيته
2
تعالى:
ٱلنَّاسِ
3
قال الل
4
تقربا
۝١٦٢ ﴾
2).

(1) سو
(2) سو
(3) سو
(4) التر
(5) سنن
(6) سو
(7) سو

15 – ومنها النذر ، وهو إلزام المرء نفسه بشيء ما، أو طاعة لله غـير واجبة، قال الله تعالى: ﴿ يُوفُونَ بِٱلنَّذۡرِ وَيَخَافُونَ يَوۡمٗا ... كَانَ شَرُّهُۥ مُسۡتَطِيرٗا ﴾ (2) (الإنسان: 7).

فهذه بعض الأمثلة على أنواع العبادة، وجميع ذلك حق لله وحده لا يجوز صرف شيء منه لغير الله.

والعبادة بحسب ما تقوم به من الأعضاء على ثلاثة أقسام:

القسم الأول: عبادات القلب، كالمحبة والخوف والرجاء والإنابة والخشية والرهبة والتوكل ونحو ذلك.

القسم الثاني: عبادات اللسان، كالحمد والتهليل والتسبيح والاستغفار وتلاوة القرآن والدعاء ونحو ذلك.

القسم الثالث: عبادات الجوارح، كالصلاة والصيام والزكاة والحج والصدقة والجهاد، ونحو ذلك.

(1) سورة الكوثر آية : 2 .
(2) سورة الإنسان آية : 7 .

المبحث الثالث: حماية المصطفى ﷺ جناب التوحيد

لقد كان النبي ﷺ حريصا أشد الحرص على أمته؛ لتكون عزيزة منيعـة لتوحيد الله ﷻ مجانبة لكل الوسائل والأسباب المفضية لما يضاده ويناقضه، قا تعالى: ﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾ ﴾[1] (التوبة: 128).

وقد أكثر ﷺ في النهي عن الشرك وحذر وأنذر وأبدأ وأعاد وخص وعم في الحنيفية السمحة ملة إبراهيم التي بعث بها من كل مـا قـد يشوبها من ا والأعمال التي يضمحل معها التوحيد أو ينقص، وهـذا كثير في السنة الثابتة ع فأقام الحجة، وأزال الشبهة، وقطع المعـذرة، وأبان السبيل.

وفي المطالب التالية عرض يتبين من خلاله حماية المصطفـى ﷺ حمـى ال وسده كل طريق يفضي إلى الشرك والباطل.

المطلب الأول: الرقى.

أ- تعريفها: الـرقى جمـع رقية، وهي القراءة والنفث طلبا للشفاء وا سواء كانت من القرآن الكريم أو من الأدعية النبوية المأثورة.

ب- حكمها: الجواز، ومن الأدلة على ذلك ما يلي:

فعن عوف بن مالك رضي الله عنه قال: « كنا نرقي في الجاهلية فقلنا: يا رسول الله ترى في ذلك ؟ فقال: اعرضوا علي رقاكم، لا بأس بالرقى ما لم يكـ شرك »[2] ، رواه مسلم[3] .

---

(1) سورة التوبة آية : 128 .

(2) مسلم السلام (2200) ، أبو داود الطب (3886) .

(3) صحيح مسلم برقم (2200) .

وعن أنس بن مالك ﷺ قال: ﴿رخص رسـول الله ﷺ في الرقيـة مـن العين [1] والحمة [2] والنملة﴾ [3] "، رواه مسلم [4] .

وعن جابر بن عبد الله ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ ﴿مـن استطاع أن ينفع أخاه فليفعل﴾ [5] ، رواه مسلم [6] .

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: ﴿كان رسول الله ﷺ إذا اشتكى منـا إنسان مسحه بيمينه ثم قال: أذهب الباس رب الناس واشف أنت الشافي لا شفاء إلا شفاؤك شفاء لا يغادر سقما﴾ [7] ، رواه البخاري ومسلم [8] .

ج- شروطها: ولجوازها وصحتها شروط ثلاثة:

الأول: أن لا يعتقد أنها تنفع لذاتها دون الله، فإن اعتقد أنها تنفع بذاتهـا من دون الله فهو محرم، بل هو شرك، بل يعتقد أنها سبب لا تنفع إلا بإذن الله.

الثاني: أن لا تكون بما يخالف الشرع كما إذا كانت متضمنة دعاء غير الله أو استغاثة بالجن وما أشبه ذلك، فإنها محرمة، بل شرك.

الثالث: أن تكون مفهومة معلومة، فإن كانت من جنـس الطلاسـم والشعوذة فإنها لا تجوز.

---

(1) " العين " إصابة العائن غيره بعينه بقدر الله .

(2) " الـحمة " بحاء مهملة مضمومة ثم ميم مخففة : وهي السم ، ومعناه : أذن في الرقية من كل ذات سـم ، مثل لدغة الثعبان ، أو العقرب أو نحوهما .

(3) " النملة " بفتح النون وإسكان الميم : قروح تخرج من الجنب .

(4) صحيح مسلم برقم (2196) .

(5) مسلم السلام (2198) ، أحمد (302/3) .

(6) صحيح مسلم برقم (2199) .

(7) البخاري الطب (5418) ، مسلم السلام (2191) ، ابن ماجه الطب (3520) ، أحمد (45/6) .

(8) صحيح البخاري برقم (5743) ، وصحيح مسلم برقم (2191) .

حمه الله: أيرقي الرجل ويسترقي ؟ فقـــال: " لا بأس

رقية لم تتوفر فيها الشروط المتقدمة فإنها محرمة ممنوعة،

نها تنفع وتؤثر بذاتها، أو تكـــون مشتملة على ألفاظ

اظ بدعية، ونحو ذلــك، أو تكون بألفاظ غير مفهومة

المطلب الثاني: التمائم.

تميمة، وهي ما يعلق على العنق وغـــيره من تعويـــذات

ا لجلب نفع أو دفع ضـــر، وكان العرب في الجاهلية

ا العـــين بزعمـــهم الباطل.

سرك؛ لما فيها من التعلق بغير الله؛ إذ لا دافـــع إلا الله،

لله وأسمائه وصفاته.

سمعت رسول الله ﷺ يقـــول: « إن الرقـــى والتمائم

داود والحاكم [2] .

ﷺ مرفوعا: « من تعلق شيئا وكل إليـــه » [3] ، رواه

جه الطب (3530) ، أحمد (381/1) .

ستدرك (4 / 241) وصححه الحاكم ووافقه الذهبي .

وقد سئل الإمام مالك ر

بذلك، بالكلام الطيب ".

د- الرقية الممنوعة: كل

كأن يعتقد الراقي أو المرقي أ

شركية وتوسلات كفرية وألفا

كالطلاسم ونحوها.

أ- تعريفها: التمـــائم جمع

أو خرزات أو عظام أو نحوها

يعلقونها على أولادهم يتقون به

ب- حكمها: التحريم،

بل هي نوع من أنواع الش

ولا يطلب دفع المؤذيات إلا بال

عن ابن مسعود ﷺ قال:

والتولة شرك » [1] ، رواه أبو

وعن عبد الله بن عكيم ﷺ

أحمد والترمذي والحاكم [4] .

(1) أبو داود الطب (3883) ، ابن ما

(2) سنن أبي داود برقم (3883) ، وم

(3) الترمذي الطب (2072) .

وعن عقبة بن عامر ﷺ مرفوعا: « من تعلق تميمة فلا أتم ال
ودعة فلا ودع الله له »[1]، رواه أحمد والحاكم [2] .

وعن عقبة بن عامر ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: « من
أشرك » [3] ، رواه أحمد [4] . فهذه النصوص وما في معناها في الت
الشركية التي كـانت هي غالب رقى العرب فنهي عنها لما فيها من
بغير الله تعالى.

ج- وإذا كان المعلق من القرآن الكريم، فهذه المسألة اختلف
فذهب بعضهم إلى جواز ذلك، ومنهم من منع ذلك، وقال لا يج
للاستشفاء، وهو الصواب لوجوه أربعة:

1- عموم النهي عن تعليق التمائم، ولا مخصص للعموم.

2- سدا للذريعة، فإنه يفضي إلى تعليق ما ليس من القرآن.

3- أنه إذا علق فلا بد أن يمتهن المعلق بحمله معه في حا
والاستنجاء، ونحو ذلك.

4- أن الاستشفاء بالقرآن ورد على صفة معينة، وهي القراءة ب
فلا تتجاوز.

المطلب الثالث لبس الحلقة والخيط ونحوها

---

(1) أحمد (154/4) .

(2) مسند أحمد (4/ 154) ، ومستدرك الحاكم (4/ 240) ، وصححه الحاكم ووافقه

(3) أحمد (156/4) .

(4) مسند أحمد (4 / 156) ، وصححه الحاكم (4/ 244) وقال عبد الرحمن بن حسن ... ورواته ثقات .

المطلب الثالث: لبس الحلقة والخيط ونحوها.

أ- الحلقة قطعة مستديرة من حديد أو ذهب أو فضة أو نحاس أو نحو ذلك، والخيط معروف، وقد يجعل من الصوف أو الكتان أو نحوه، وكانت العرب في الجاهلية تعلق هذا ومثله لدفع الضر أو جلب النفع أو اتقاء العين، والله تعالى يقول: ﴿ قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِىَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوْ أَرَادَنِى بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَٰتُ رَحْمَتِهِۦ ۚ قُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ ۖ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٣٨﴾ ﴾ [1] (الزمر: 38)، ويقول تعالى: ﴿ قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا ﴿٥٦﴾ ﴾ [2] (الإسراء: 56).

وعن عمران بن حصين رضي الله عنه ﴿ أن النبي ﷺ رأى رجلا في يده حلقة من صفر فقال: ما هذه ؟ قال: من الواهنة، فقال: انزعها؛ فإنها لا تزيدك إلا وهنا، انبذها عنك، فإنك لو مت وهي عليك ما أفلحت أبدا ﴾ [3] ، رواه أحمد [4] .

وعن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه (أنه رأى رجلا في يده خيط من الحمى فقطعه وتلا قوله تعالى: ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴿١٠٦﴾ ﴾ [5] (يوسف: 106) [6] .

---

(1) سورة الزمر آية : 38 .

(2) سورة الإسراء آية : 56 .

(3) ابن ماجه الطب (3531) ، أحمد (445/4) .

(4) المسند (4 / 445) ، وقال البوصيري إسناده حسن وقال الهيثمي رجاله ثقات .

(5) سورة يوسف آية : 106 .

(6) تفسير ابن أبي حاتم (7 / 2207) .

س الحلقة والخيط ونحو ذلك، محرم فإن اعتقد لابسها أنها مؤثرة فهو مشرك شركا أكبر في توحيد الربوبية؛ لأنه اعتقد وجود خالق الله عما يشركون.

الأمر لله وحده وأنها مجرد سبب، ولكنه ليس مؤثرا فهو مشرك جعل ما ليس سببا سببا والتفت إلى غير ذلك بقلبه، وفعله هذا ذريعة لأكبر إذا تعلق قلبه بها ورجا منها جلب النعماء أو دفع البلاء.

التبرك بالأشجار والأحجار ونحوها

المطلب الرابع: التبرك بالأشجار والأحجار ونحوها.

ب البركة، وطلب البركة لا يخلو من أمرين:

ن التبرك بأمر شرعي معلوم مثل القرآن قال الله تعالى: ﴿ وَهَٰذَا ... ﴾ [1] (الأنعام: 92، 155)، فمن بركته هدايته للقلوب وإصلاحه للنفوس وتهذيبه للأخلاق، إلى غير ذلك من بركاته

ن التبرك بأمر غير مشروع، كالتبرك بالأشجار والأحجار والقبور نحو ذلك، فهذا كله من الشرك.

الليثي قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ إلى حنين ونحن حدثاء ركين سدرة [2] يعكفون عندها وينوطون بها أسلحتهم، يقال لها نا بسدرة، فقلنا: يا رسول الله ﷺ اجعل لنا ذات أنواط كما لهم رسول الله ﷺ الله أكبر، إنها السنن، قلتم والذي نفسي بيده إسرائيل لموسى: ﴿ ٱجۡعَل لَّنَآ إِلَٰهٗا كَمَا لَهُمۡ ءَالِهَةٞۚ قَالَ إِنَّكُمۡ قَوۡمٞ

ب- حكم لب

بنفسها دون الله ف

مدبر مع الله تعالى

وإن اعتقد أن

شركا أصغر لأنه

للانتقال للشرك الأ

المطلب الرابع

التبرك هو طلب

1 - أن يكون

كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ مُبَارَكٌ

وشفاؤه للصدور

الكثيرة.

2 - أن يكون

والقباب والبقاع و

فعن أبي واقد

عهد بكفر، وللمش

ذات أنواط، فمرر

ذات أنواط، فقال

كما قالت بنو

تَجۡهَلُونَ ﴿١٣٨﴾ [1] (الأعراف: 138)، لتركبن سنـ

رواه الترمذي وصححه [2] .

فقد دل هذا الحديث على أن ما يفعله من

والأحجار ونحوها من التبرك بها والعكوف عندها والذبـ

في الحديث أن طلبهم كطلب بني إسرائيل لما قالو

آلهة فهؤلاء طلبوا سدرة يتبركون بها كما يتبرك المـ

كما لهم آلهة، فيكون في كلا الطلبين منافاة للتوحيد

الشرك، واتخاذ إله غير الله شرك واضح.

وفي قوله ﷺ في الحديث: لتركبن سنن من كان

شيئا من ذلك سيقع في أمته ﷺ وقد قال ذلك عليه الصـ

المطلب الخامس النهي عن أعمال تتعلق بالقبور

المطلب الخامس: النهي عن أعمال

لقد كان الأمر في صدر الإسلام على منع زيارة الـ

حماية لحمى التوحيد وصيانة لجنابه، ولما حسن الإيمان و

القلوب واتضحت براهين التوحيد وانكشفت شـ

زيارة القبور محددة أهدافها موضحة مقاصدها.

فعن بريدة بن الحصيب رضي الله عنه قال: قال رسول الله

فزوروها [4] ، رواه مسلم [5] .

---

(1) سورة الأعراف آية : 138 .

(2) سنن الترمذي برقم (2180) .

(3) الترمذي الفتن (2180) ، أحمد (218/5) .

ربة (3698) ، أحمد (350/5) .

(4) مسلم الجنائز (977) ، النسائي الأشربة (5652) ، أبو داود الأ

(5) صحيح مسلم برقم (977) .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم ﴿زوروا القبور فإنها تذكر الموت﴾ [1] [2] .

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿إني نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها فإن فيها عبرة﴾ [3] [4] .

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿كنت نهيتكم عن زيارة القبور ألا فزوروها؛ فإنها ترق القلب وتدمع العين وتذكر الآخرة، ولا تقولوا هجرا﴾ [5] [6] .

وعن بريدة رضي الله عنه قال: ﴿كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلمهم إذا خرجوا إلى المقابر فكان قائلهم يقول: السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين والمسلمين، وإنا إن شاء الله بكم للاحقون، أسأل الله لنا ولكم العافية﴾ [7] ، رواه مسلم [8] .

فهذه الأحاديث وما جاء في معناها تدل على أن مشروعية زيارة القبور بعد المنع من ذلك إنما كانت لهدفين عظيمين وغايتين جليلتين:

---

(1) مسلم الجنائز (976) ، النسائي الجنائز (2034) ، أبو داود الجنائز (3234) ، ابن ماجه ما جاء في الجنائز (1572) ، أحمد (2/ 441) .

(2) صحيح مسلم برقم (975) .

(3) أحمد (3/38) ، مالك الضحايا (1048) .

(4) مسند أحمد (3/ 38) ، ومستدرك الحاكم (1/ 531) .

(5) أحمد (3/237) .

(6) مستدرك الحاكم (1 / 532) .

(7) مسلم الجنائز (975) ، النسائي الجنائز (2040) ، ابن ماجه ما جاء في الجنائز (1547) ، أحمد

. (353/5)

(8) صحيح مسلم برقم (975) .

لأولى: التزهيد في الدنيا بتذكر الآخرة والموت والبلى، والاعتبار بأهل القبور مما
في إيمان الشخص ويقوي يقينه ويعظم صلته بالله، ويذهب عنه الإعراض
لة.

ثانية: الإحسان إلى الموتى بالدعاء لهم والترحم عليهم وطلب المغفرة لهم
ل الله العفو عنهم.

ذا الذي دل عليه الدليل، ومن ادعى غير ذلك طولب بالحجة والبرهان.

م إن السنة قد جاءت بالنهي عن أمور عديدة متعلقة بالقبور وزيارتها، صيانة
يد وحماية لجنابه، يجب على كل مسلم تعلمها ليكون في أمنة من الباطل
مة من الضلال، ومن ذلك:

– النهي عن قول الهجر عند زيارة القبور.

قد تقدم قوله ﷺ « ولا تقولوا هجرا »[1]، والمراد بالهجر كل أمر محظور
، ويأتي في مقدمة ذلك الشرك بالله بدعاء المقبورين وسؤالهم من دون الله
ستغاثة بهم وطلب المدد والعافية منهم، فكل ذلك من الشرك البواح والكفر
اح، وقد ثبت عن النبي ﷺ أحاديث عديدة صريحة في المنع من ذلك والنهي
لعن فاعله، ففي صحيح مسلم عن جندب بن عبد الله رضي الله عنه أنه قال: سمعت
ل الله ﷺ قبل أن يموت بخمس يقول: « ألا إن من كان قبلكم كانوا يتخذون
أنبيائهم وصالحيهم مساجد، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد إني أنهاكم عن
»[2] [3]. فدعاء الأموات وسؤالهم الحاجات وصرف شيء من العبادة

سائي الجنائز (2033) ، أبو داود الأشربة (3698) ، أحمد (355/5) .

ال
يزيد
والغفا
ال
وسؤا
ه
ثم
للتوح
وسلا
1
و
شرعا
والاس
الصرا
عنه و
رسول
قبور
ذلك

(1) الن

سلم المساجد ومواضع الصلاة (532) .

حيح مسلم برقم (532) .

(2) مس

(3) ص

وتحـــري إجابة الدعاء عندها ومثله الصلاة
ع المنكرة.

عنها: أنه ﷺ قال في مرضه الـــذي لم يقم
ور أنبيائهم مساجد » [1] [2] .

ضوا حاجة للشخص فهو شـــرك أكبر وإن
ي هي من أعظم وســـائل الشرك لقوله ﷺ
رزاق: « كانوا يعقرون عند القبر بقرة أو

لتراب الخارج منـــها، وتجصيصها، والكتابة

اليهود والنصارى وكانت من أعظم ذرائع
الله ﷺ أن يجصص القـــبر، وأن يقعد عليه،

ضع الصلاة (531) ، النسائي المساجد (703) ، أحمد

برقم (531) .

لهم شرك أكبر، أما العكوف عند القبور و
في المساجد التي فيها القبور فهو من البـــد

وفي الصحيحين عن عائشة رضي الله
منه: « لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قب

2 - الذبح والنحر عند القبور.

فإن كان ذلك تقربا إلى المقبورين ليقض
كان لغير ذلك فهو من البدع الخطيرة التي
« لا عقر في الإسلام » [3] ، قال عبد الر
شاة » [4] [5] .

3، **4**، **5**، **6**، **7**- رفعها زيادة على ا
عليها، والبناء عليها، والقعود عليها.

فكل ذلك من البدع التي ضلت بها
الشرك، فعن جابر ﷺ قال: « نهى رسول

(1) البخاري الجنائز (1324) ، مسلم المساجد وموا
(146/6) ، الدارمي الصلاة (1403) .

(2) صحيح البخاري برقم (1330) ، وصحيح مسلم

(3) أبو داود الجنائز (3222) ، أحمد (197/3) .

وأن يبنى عليه، وأن يزاد عليه، أو يكتب عليه﴾ [1] . رواه مسلم، وأبو

والحاكم [2] .

8 – الصلاة إلى القبور وعندها.

فعن أبي مرثد الغنوي قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: لا تصلوا إلى القبو

تجلسوا عليها))، رواه مسلم [3] .

وعن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ ﴿الأرض كلها م

إلا المقبرة والحمام﴾ [4] . رواه أبو داود والترمذي [5] .

9 – بناء المساجد عليها.

وهو بدعة من ضلالات اليهود والنصارى وتقدم حديث عائشة: ﴿لعـ

اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد﴾ [6] .

10 – اتخاذها عيدا.

وهو من البدع التي جاء النهي الصريح عنها لعظم ضررها، فعـن أبي هري

قال: قال رسول الله ﷺ ﴿لا تتخذوا قبري عيدا [1] ولا تجعلـوا بيوتكم

وحيثما كنتم فصلوا علي، فإن صلاتكم تبلغني﴾ ، رواه أبـو داود وأحمد [2] .

---

(1) مسلم الجنائز (970) ، الترمذي الجنائز (1052) ، النسائي الجنائز (2027) ، أبو داود
(3225) ، ابن ماجه ما جاء في الجنائز (1563) ، أحمد (339/3) .

(2) صحيح مسلم برقم (970) ، وسنن أبي داود برقم (3225) ، ورقم (3226) ، ومستدرك
(1 / 525) .

(3) صحيح مسلم برقم (972) .

(4) الترمذي الصلاة (317) ، أبو داود الصلاة (492) ، ابن ماجه المساجد والجماعات (745) .

(5) سنن أبي داود برقم (492) ، وسنن الترمذي برقم (317) ، وصححه الحاكم ووافقه الذهبي .

(6) البخاري الجنائز (1324) ، مسلم المساجد ومواضع الصلاة (531) ، النسائي المساجد (703 ... ، أحمد
(146/6) ، الدارمي الصلاة (1403) .

11 – شد الرحال إليها.

وهو أمر منهي عنه لأنه من وسائل الشرك فعن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال:

« لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحـــرام، ومسجد الرسول ﷺ ومسجد الأقصى »[3] . رواه البخاري ومسلم[4] .

المطلب السادس: التوسل.

أ– تعريفه: التوســـل مأخوذ في اللغة من الوسيلة، والوســـيلة والوصيلة معناهما متقارب، فالتوســـل هو التوصل إلى المراد والسعي في تحقيقه.

وفي الشرع يراد به التوصل إلى رضوان الله والجنة؛ بفعل ما شرعه وترك ما نهي عنه.

ب– معنى الوسيلة في القرآن الكريم:

وردت لفظة " الوسيلة " في القرآن الكريم في موطنين:

1 – قوله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱبْتَغُوٓا۟ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ وَجَـٰهِدُوا۟ فِى سَبِيلِهِۦ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾[5] (المائدة: 35).

---

(1) العيد هو الذي يعود ويتكرر مثل عيد الفطر وعيد الأضحى ، فكون الإنسان يكرر الزيارة لقبر الرسول كل يوم من أجل السلام فكأنه يتخذه عيدا ، فنهى الرسول عن ذلـــك ، أمر المسلم أن يصلي ويسلم عليه وهو في أي مكان كان لأن لله ملائكة سياحين يبلغون الرسول السلام وهذا من يسر هذا الدين إذ ليس باستطاعة كل مسلم أن يأتي إلى المدينة .

(2) سنن أبي داود برقم (2042) ، ومسند أحمد (2/ 367) .

(3) البخاري الجمعة (1132) ، ابن ماجه إقامة الصلاة والسنة فيها (1410) .

(4) صحيح البخاري برقم (1189) ، وصحيح مسلم (1397) .
(5) سورة المائدة آية : 35 .

2 – قوله تعالى: ﴿ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ ۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴿٥٧﴾ ﴾ [1] (الإسراء: 57).

والمراد بالوسيلة في الآيتين، أي: القربة إلى الله بالعمل بما يرضيه، فقد نقل الحافظ ابن كثير رحمه الله في تفسيره للآية الأولى عن ابن عباس رضي الله عنهما أن معنى الوسيلة فيها القربة، ونقل مثل ذلك عن مجاهد وأبي وائل والحسن البصري وعبد الله بن كثير والسدي وابن زيد وغير واحد [2] .

وأما الآية الثانية فقد بين الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود رضي الله عنه مناسبة نزولها التي توضح معناها فقال: " نزلت في نفر من العرب كانوا يعبدون نفرا من الجن، فأسلم الجنيون، والإنس الذين يعبدونهم لا يشعرون " [3] .

وهذا صريح في أن المراد بالوسيلة ما يتقرب به إلى الله تعالى من الأعمال الصالحة والعبادات الجليلة، ولذلك قال: ﴿ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ ﴾ [4] أي يطلبون ما يتقربون به إلى الله وينالون به مرضاته من الأعمال الصالحة المقربة إليه.

ج- أقسام التوسل:

ينقسم التوسل إلى قسمين: توسل مشروع، وتوسل ممنوع.

1 – التوسل المشروع: هو التوسل إلى الله بالوسيلة الصحيحة المشروعة، والطريق الصحيح لمعرفة ذلك هو الرجوع إلى الكتاب والسنة ومعرفة ما ورد فيهما عنها، فما دل الكتاب والسنة على أنه وسيلة مشروعة فهو من التوسل المشروع، وما سوى ذلك فإنه توسل ممنوع.

(1) سورة الإسراء آية : 57 .
(2) تفسير ابن كثير (2/ 50) .

(3) صحيح مسلم برقم (3030) . و

(4) سورة الإسراء آية : 57 .

صحيح البخاري رقم (4714) .

والتوسل المشروع يندرج تحته ثلاثة أنواع:

الأول: التوسل إلى الله تعالى باسم من أسمائه الحسنى أو صفة
كأن يقول المسلم في دعائه: اللهم إني أسألك بأنك الرحمن الر
يقول: أسألك برحمتك التي وسعت كل شيء أن تغفر لي وترحمني، و

ودليل مشروعية هذا التوسل قوله تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ
﴾ [1] (الأعراف: 180).

الثاني: التوسل إلى الله تعالى بعمل صالح قام به العبد، كأن يقول
ومحبتي لك، واتباعي لرسولك اغفر لي، أو يقول: اللهم إنـــي
محمد ﷺ وإيماني به أن تفرج عني، أو أن يذكر الداعي عملا ص
فيتوسل به إلى ربه، كما في قصة أصحاب الغـــار الثلاثة التي سيرد

ويدل على مشروعيته قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ إِنَّنَآ ءَ
وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٦﴾ ﴾ [2] (آل عمران: 16)، وقوله تعـــالى: ﴿
وَٱتَّبَعْنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٥٣﴾ ﴾ [3] (آل عمران: 53

ومن ذلك ما تضمنته قصة أصحاب الغار الثلاثة كما يرويها
رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ﴿ بينما ثلاثة
يمشون إذ أصابهم مطر، فأووا إلى غار فانطبق عليهم، فقال بعضهم
هؤلاء لا ينجيكم إلا الصدق، فليدع كل رجل منكم بما يعلم أنه
واحد منهم: اللهم إن كنت تعلم أنـــه كان لي أجير عمل لي على
وتركه، وأني عمـــدت إلى ذلك الفرق فزرعته، فصار من أمره

(1) سورة الأعراف آية : 180 .

من صفاته العظيمة،
حيم أن تعافيني، أو
نحو ذلك.
ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا
: اللهم بإيماني بك،
أسألك بحبي لنبيك
صالحا ذا بال قام به
ذكرها.
امَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا
رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلْتَ
عبـــد الله بن عمر
نفر ممن كان قبلكم
لبعض: إنه والله يا
قد صدق فيه، فقال
فرق من أرز فذهب
أني اشتريـــت منه

(2) سورة آل عمران آية : 16 .
(3) سورة آل عمران آية : 53 .

بقرا، وأنه أتاني يطلـــب أجره، فقلت له: اعمد إلى تلك البقر فسقها، فقال لي: إنما لي عندك فـــرق من أرز، فقلت له: اعمد إلى تلك البقر، فإنها من الفرق، فساقها، فإن كنت تعلم أني فعلت ذلك من خشيتك ففرج عنا، فانساخت [1] عنهم الصخـــرة، فقال الآخر: اللهم إن كنت تعلم أنه كان لي أبوان شيخان كبيران، وكنـــت آتيهما كل ليلة بلبن غنم لي، فأبطأت عليهما ليلة، فجئت وقد رقدا، وأهلي وعيالي يتضاغون من الجوع، فكنت لا أسقيهم حتى يشرب أبواي، فكرهت أن أوقظهما، وكرهت أن أدعهما فيستكنا لشربتهما، فلم أزل أنتظر حتى طلع الفجر، فإن كنت تعلم أني فعلت ذلك من خشـــيتك ففـــرج عنـــا، فانساخت عنهم الصخرة حتى نظروا إلى السماء، فقال الآخر: اللـــهم إن كنت تعلم أنه كانت لي ابنة عم من أحب الناس إلي، وإني راودتـــها عـــن نفسها فأبت إلا أن آتيها بمائة دينار، فطلبتها حتى قدرت، فأتيتها بها فدفعتها إليها فأمكنتني من نفسها، فلما قعدت بين رجليها فقالت: اتق الله ولا تفـــض الخاتم إلا بحقه، فقمت وتركـــت المائة دينار، فإن كنت تعلم أني فعلت ذلـــك من خشيتك ففرج عنا، ففرج الله عنهم فخرجوا . رواه البخاري [2] .

الثالث: التوسل إلى الله بدعاء الرجل الصالح الذي ترجى إجابة دعائـــه، كأن يذهب المسلم إلى رجل يرى فيه الصلاح والتقوى والمحافظة على طاعـــة الله، فيطلب منه أن يدعو له ربه ليفرج كربته وييسر أمره.

ويدل على مشروعية هذا النوع أن الصحابة رضي الله عنـــهم كـــانوا يسألون النبي ﷺ أن يدعو لهم بدعاء عام ودعاء خاص.

ففي الصحيحين من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه أن رجلا دخل يـــوم الجمعة من باب كان وجاه المنبر ورسول الله ﷺ قائم يخطب، فاســـتقبل رسول ﷺ قائما فقال: يا

(1) فانفرجت شيئا لا يستطيعون الخروج منه ، كما في حديث سالم .
(2) صحيح البخاري برقم (3465) .

المواشي وانقطعت السبل، فادع الله يغيثنا، قال: فرفع رسول الله ﷺ
اسقنا، اللهم اسـقنا، اللهم اسقنا، قال أنس: ولا والله ما نرى في
ب ولا قزعـة [1] ولا شيئا، وما بيننا وبين سلع من بيت ولا دار،
ن ورائـه سحابة مثل الترس، فلما توسطت السماء انتشرت، ثم
لله ما رأينا الشمس ستا، ثم دخل رجل من ذلك البـاب في الجمعـة
ل الله ﷺ قائم يخطب- فاستقبله قائما فقال: يا رسول الله، هلكـت
ت السبل، فادع الله يمسكها، قال: فرفع رسـول الله ﷺ يديه ثم
نا ولا علينا، اللهم على الآكام والجبال والظـراب ومنابت الشجر،
وخرجنا نمشي في الشمس » . قال شـريك: فسألت أنسا: أهو
ل: لا أدري [2] .

ين أن النبي ﷺ لما « ذكر أن في أمته سبعين ألفـا يدخلـون الجنة
عذاب وقال: (هم الذي لا يسترقون ولا يكتوون ولا يتطيرون وعلى
ام عكاشة بن محصن فقال: يا رسـول الله ادع الله أن يجعلني منهم،
) » [3] [4] . ومن ذلك حديـث ذكـر النبي ﷺ أويسا القرني وفيه
ن يستغفر لكـم » .

من التوسل إنما يكون في حياة من يطلب منه الدعاء، أمـا بعد موته
عمل له.

رقم (1013) ، وصحيح مسلم رقم (897) .
5420) ، مسلم الإيمان (220) ، الترمذي صفة القيامة والرقائق والورع (2446) ،

رسول الله هلكت
يديه فقال: اللهم
السماء من سحا
قال: فطلعت مـ
أمطرت، قال: وا
المقبلـة- ورسول
الأموال، وانقطع
قال: اللهم حوالي
قال: فانقطعت،
الرجل الأول ؟ قا

وفي الصحيح
بغير حساب ولا ع
ربهم يتوكلون) ق
فقال: (أنت منهم
قال: « فاسألوه أ

وهذا النوع م
فلا يجوز؛ لأنه لا

(1) سحاب متفرق .
(2) صحيح البخاري ب
(3) البخاري الطب (

أحمد (271/1) .

(4) صحيح البخاري ب

رقم (5705) ، وصحيح مسلم برقم (218) .

لم يثبت في الشريعة أنه وسيلة،

ين والاستغاثة بهم وسؤالهم

ن الشرك الأكبر الناقل من

والأضرحة بدعاء الله عندها،

هذا من الشرك الأصغر المنافي

ومكانتهم ومنزلتهم عند الله،

يشرعه الله ولم يأذن به. قال

ن جاه الصالحين ومكانتهم

وأن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ

وفا في عهد النبي ﷺ وأصحابه،

م:

ي: أسألك بحق فلان أو بحق

.

سبهات والاعتراضات في باب

رهموا عوام المسلمين بصحة

2 – التوسل الممنوع: هو التوسل إلى الله تعالى بما

وهو أنواع بعضها أشد خطورة من بعض، منها:

1 – التوسل إلى الله تعالى بدعاء الموتى والغائب

قضاء الحاجات وتفريج الكربات ونحو ذلك، فهذا م

الملة.

2 – التوسل إلى الله بفعل العبادات عند القبور

والبناء عليها، ووضع القناديل والستور ونحو ذلك، و

لكمال التوحيد، وهو ذريعة مفضية إلى الشرك الأكبر.

3 – التوسل إلى الله بجاه الأنبياء والصالحين و

وهذا محرم، بل هو من البدع المحدثة؛ لأنه توسل لم

تعالى: ﴿ ءَآللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ ﴾ [1] (يونس: 59) ولأ

عند الله إنما تنفعهم هم، كما قال الله تعالى: ﴿

﴿٣٩﴾ ﴾ [2] (النجم: 39)، ولذا لم يكن هذا التوسل معر

وقد نص على المنع منه وتحريمه غير واحد من أهل العلم

قال أبو حنيفة رحمه الله: ((يكره أن يقول الداع

أوليائك ورسلك أو بحق البيت الحرام والمشعر الحرام))

د- شبهات وردها في باب التوسل.

قد يورد المخالفون لأهل السنة والجماعة بعض الش

التوسل؛ ليتوصلوا بها إلى دعم تقريراتهم الخاطئة، وليو

ما ذهبوا إليه، ولا تخرج شبهات هؤلاء عن أحد أمرين:

(1) سورة يونس آية : 59 .
(2) سورة النجم آية : 39 .

الأول: إما أحاديث ضعيفة أو موضوعة يستدل بها هؤلاء على ما ذهبوا إليه، وهذه يفرغ من أمرها بمعرفة عدم صحتها وثبوتها، ومن ذلك:

1 - حديث: « توسلوا بجاهي فإن جاهي عند الله عظيم » ، أو « إذا سألتم الله فاسألوه بجاهي فإن جاهي عند الله عظيم » ، وهو حديث باطل لم يروه أحد من أهل العلم، ولا هو في شيء من كتب الحديث.

2 - حديث: « إذا أعيتكم الأمور فعليكم بأهل القبور » ، أو « فاستغيثوا بأهل القبور » ، وهو حديث مكذوب مفترى على النبي ﷺ باتفاق العلماء.

3 - حديث: « لو أحسن أحدكم ظنه بحجر لنفعه » ، وهو حديث باطل مناقض لدين الإسلام، وضعه بعض المشركين.

4 - حديث: « لما اقترف آدم الخطيئة قال: يا رب أسألك بحق محمد لما غفرت لي، فقال: يا آدم وكيف عرفت محمدا ولم أخلقه ؟ قال: يا رب لما خلقتني بيدك ونفخت في من روحك رفعت رأسي فرأيت على قوائم العرش مكتوبا: لا إله إلا الله محمد رسول الله، فعلمت أنك لم تضف إلى اسمك إلا أحب الخلق إليك، فقال: غفرت لك ولولا محمد ما خلقتك » [1] وهو حديث باطل لا أصل له، ومثله حديث: « لولاك ما خلقت الأفلاك » .

فمثل هذه الأحاديث المكذوبة والروايات المختلقة الملفقة لا يجوز لمسلم أن يلتفت إليها فضلا عن أن يحتج بها ويعتمدها في دينه.

الثاني: أحاديث صحيحة ثابتة عن النبي ﷺ يسيء هؤلاء فهمها ويحرفونا عن مرادها ومدلولها، ومن ذلك:

(1) سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة للألباني ج 1 / 88 ح 25 .

53

1 – ما ثبت في الصحيح: « أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان إذا قحطوا استسقى بالعباس بن عبد المطلب، فقال: اللهم إنا كنا نتوسل إليك بنبينا فتسقينا، وإنا نتوسل إليك بعم نبينا فاسقنا، قال: فيسقون » [1] [2] .

ففهموا من هذا الحديث أن توسل عمر رضي الله عنه إنما كان بجاه العباس رضي الله عنه ومكانته عند الله عز وجل وأن المراد بقوله: « كنا نتوسل إليك بنبينا [أي بجاهه] فتسقينا، وإنا نتوسل إليك بعم نبينا » [3] [أي بجاهه].

وهذا ولا ريب فهم خاطئ وتأويل بعيد لا يدل عليه سياق النص لا من قريب ولا من بعيد؛ إذ لم يكن معروفا لدى الصحابة التوسل إلى الله بذات النبي ﷺ أو جاهه، وإنما كانوا يتوسلون إلى الله بدعائه حال حياته كما تقدم بعض هذا المعنى، وعمر رضي الله عنه لم يرد بقوله: « إنا نتوسل إليك بعم نبينا » [4] أي ذاته أو جاهه، وإنما أراد دعاءه، ولو كان التوسل بالذات أو الجاه معروفا عندهم لما عدل عمر عن التوسل بالنبي ﷺ إلى التوسل بالعباس رضي الله عنه بل ولقال له الصحابة إذ ذاك كيف نتوسل بمثل العباس ونعدل عن التوسل بالنبي ﷺ الذي هو أفضل الخلائق، فلما لم يقل ذلك أحد منهم، وقد علم أنهم في حياته إنما توسلوا بدعائه، وبعد مماته توسلوا بدعاء غيره علم أن المشروع عندهم التوسل بدعاء المتوسل لا بذاته.

وبهذا يتبين أن الحديث ليس فيه متمسك لمن يقول بجواز التوسل بالذات أو الجاه.

(1) البخاري الجمعة (964) .

(2) صحيح البخاري برقم (1010) .

(3) البخاري الجمعة (964) .

(4) البخاري الجمعة (964) .

2 - حديث عثمان بن حنيف: «أن رجلا ضرير البصر أتى النبي ﷺ فقال: ادع الله أن يعافيني، قال: إن شئت دعوت وإن شئت صبرت فهو خير لك، قال: فادعه، قال: فأمره أن يتوضأ فيحسن وضوءه ويدعو بهذا الدعاء: اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بنبيك محمد نبي الرحمة، إني توجهت بك إلى ربي في حاجتي هذه لتقضى لي اللهم فشفعه في»[1]، رواه الترمذي وأحمد وقال البيهقي إسناده صحيح[2].

ففهموا من الحديث أنه يدل على جواز التوسل بجاه النبي ﷺ أو غيره من الصالحين، وليس في الحديث ما يشهد لذلك، فإن الأعمى قد طلب من النبي ﷺ أن يدعو له بأن يرد الله عليه بصره، فقال له: «إن شئت صبرت وإن شئت دعوت»[3]، فقال: فادعه، إلى غير ذلك من الألفاظ الواردة في الحديث المصرحة بأن هذا توسل بدعاء النبي ﷺ لا بذاته أو جاهه؛ ولذا ذكر أهل العلم هذا الحديث من معجزات النبي ﷺ ودعائه المستجاب، فإنه ﷺ ببركة دعائه لهذا الأعمى أعاد الله عليه بصره ولهذا أورده البيهقي في دلائل النبوة[4].

وأما الآن وبعد موت النبي ﷺ فإن مثل هذا لا يمكن أن يكون لتعذر دعاء النبي ﷺ لأحد بعد الموت، كما قال النبي ﷺ «إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له»[5]، رواه مسلم[6].

---

(1) الترمذي الدعوات (3578) ، ابن ماجه إقامة الصلاة والسنة فيها (1385) .

(2) سنن الترمذي برقم (3578) ، ومسند أحمد (4 / 138) .

(3) البخاري المرضى (5328) ، مسلم البر والصلة والآداب (2576) ، أحمد (347/1) .

(4) دلائل النبوة للبيهقي (6 / 167) .

(5) مسلم الوصية (1631) ، الترمذي الأحكام (1376) ، النسائي الوصايا (3651) ، أبو داود الوصايا

(2880) ، أحمد (2/ 372) ، الدارمي المقدمة (

(6) صحيح مسلم برقم (1631) .

والدعاء من الأعمال الصالحة التي تنقطع بالموت.

وعلى كل فإن جميع ما يتعلق به هؤلاء لا حجة فيه؛ إما لعدم صحته، أ
دلالته على ما ذهبوا إليه.

المطلب السابع: الغلو.

أ- تعريفه: الغلو في اللغة هو مجاوزة الحد، بأن يزيد في حمد الشيء أو ذمه
يستحق.

وفي الشرع: هو مجاوزة حدود ما شرع الله لعباده سواء في العقيدة أو العب

ب- حكمه: التحريم؛ لما جاء من النصوص في النهي عنه والتحذير منه و
سوء عواقبه على أهله في العاجل والآجل. قال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِ
تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ ﴾ [1] (النساء: 171).

وقال تعالى: ﴿ قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ غَيۡرَ ٱلۡحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُ
قَوۡمٖ قَدۡ ضَلُّواْ مِن قَبۡلُ وَأَضَلُّواْ كَثِيرٗا وَضَلُّواْ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ٧٧ ﴾ [2] (المائدة: 77

وعن ابن عباس رضي الله عنهما: أن رسول الله ﷺ قال: « إياكم
فإنما هلك من كان قبلكم بالغلو في الدين » [3] ، رواه أحمد والحاكم و
ووافقه الذهبي [4] .

وعن ابن مسعود ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ « هلك المتنطعون » [5] ،
ثلاثا، رواه مسلم [1] .

(1) سورة النساء آية : 171 .

(2) سورة المائدة آية : 77 .

(3) النسائي مناسك الحج (3057) ، ابن ماجه المناسك (3029) ، أحمد (1/347) .

(4) المسند (1 / 347) ، والمستدرك (1 / 638) .

(5) مسلم العلم (2670) ، أبو داود السنة (4608) ، أحمد (1/386) .

وعن عمر بن الخطاب ﵁ أن رسول الله ﷺ قال: لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى ابن مريم، إنما أنا عبد الله ورسوله [2] ، رواه البخاري [3] .

والمراد هذا الحديث، أي: لا تمدحوني فتغلوا في مدحي كما غلت النصارى في عيسى فادعوا فيه الربوبية والألوهية، وإنما أنا عبد الله فصفوني بما وصفني به ربي، وقولوا: عبد الله ورسوله، فأبى الضلال إلا مخالفة لأمره وارتكابا لنهيه وناقضوه أعظم المناقضة فغلوا فيه وبالغوا في إطرائه وادعوا فيه ما ادعت النصارى في عيسى أو قريبا منه، فسألوه مغفرة الذنوب وتفريج الكروب وشفاء الأمراض ونحو ذلك مما هو مختص بالله وحده لا شريك له، وكل ذلك من الغلو في الدين.

(1) صحيح مسلم برقم (2670) .

(2) البخاري أحاديث الأنبياء (3261) ، أحمد (24/1) .
(3) صحيح البخاري برقم (3445) .

المبحـ

وفيه مطالب

ما من ريب أن في معرفة
فوائد عظيمة، إذا عرفها معرف
تلك الآفات، والله سبحانه يحـ
تعرف سبل الباطل لتجتنب و
ليطبقها، فهو كذلك مطالب
عن حذيفة بن اليمان رضـــي
عن الخير وكنت أســـأله عن

ويقول عمر بن الخطاب
في الإسلام من لا يعرف الجاهـ

والقرآن الكريم مليء بالآ
والدالة على سوء عاقبتهما في
القرآن الكريم والسنة المطهر
وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٥٥﴾

وفيما يلي ذكر لبعض المط

أ- تعريفه: يطلق الشرك
وله في الشرع معنيان: عا

(1) البخاري المناقب (3411) ، مسلـ

ث الرابع: الشرك والكفر وأنواعهما

المسلم للشرك والكفر وأسبابهما ووســـائلهما وأنواعهما
ة يقصد من ورائها السلامة من هذه الشرور والنجاة من
ـــب أن تعرف سبيل الحـــق لتحب وتسلك، ويجب أن
وتبغـــض، والمســـلم كما أنه مطالب بمعرفة سبيل الخير
بمعرفة ســـبل الشر ليحذرها، ولهذا ثبت في الصحيحين
الله عنهما أنه قال: ﴿كان الناس يسألون رسول الله ﷺ
الشر مخافة أن يدركني﴾ [1] [2] .

رضي الله عنه " إنما تنقض عـــرى الإســـلام عروة عروة إذا نشأ
لية ".

آيات المبينة للشرك والكفر والمحذرة من الوقـــوع فيهما،
الدنيا والآخرة، بل إن ذلك مقصـــد عظيم من مقاصد
ة، كمـــا قـــال الله تعـــالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْأَيَٰتِ
﴾ [3] (الأنعام: 55).

الب المهمة المتعلقة بهذا الجانب.

المطلب الأول: الشرك.

في اللغة على التسوية بين الشيئين.
م وخاص.

م الإمارة (1847) ، أحمد (387/5) .

1 – المعنى العام: تسوية غير الله بالله فيما هو من خصائصه
تحته ثلاثة أنواع:

الأول: الشرك في الربوبية، وهو تسوية غير الله بالله فيما ه
الربوبية، أو نسبة شيء منها إلى غيره، كالخلق والرزق والإيجاد و
الكون ونحو ذلك.

قال تعالى: ﴿ هَلۡ مِنۡ خَٰلِقٍ غَيۡرُ ٱللَّهِ يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِۚ
تُؤۡفَكُونَ ۝٣ ﴾ [1] (فاطر: 3).

الثاني: الشرك في الأسماء والصفات، وهو تسوية غير الله ب
والله تعالى يقول: ﴿ لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ۝١١
11).

الثالث: الشرك في الألوهية، وهو تسوية غير الله بالله في شـ
الألوهية، كالصلاة والصيام والدعاء والاستغاثة والذبح والنذر
قال الله تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادٗا
ۖ ﴾ [3] (البقرة: 165).

2– المعنى الخاص: وهو أن يتخذ لله ندا يدعوه كما يدعو
كما يسأل الله ويرجوه كما يرجو الله، ويحبه كما يحب الله، وهـ
من كلمة " الشرك " إذا أطلقت في القرآن أو السنة.

---

(1) سورة فاطر آية : 3 .

(2) سورة الشورى آية : 11 .

(3) سورة البقرة آية : 165 .

ب- الأدلة على ذم الشرك وبيان خطره.

لقد تنوعت دلالة النصوص على ذم الشرك والتحذير منه وبيان خطره وسوء عاقبته على المشركين في الدنيا والآخرة.

1 - فقد أخبر الله سبحانه أنه الذنب الذي لا يغفره إلا بالتوبة منه قبل الموت، فقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ ﴾ [1] (النساء: 48).

2 - ووصفه بأنه أظلم الظلم، فقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ ١٣ ﴾ [2] (لقمان: 13).

3 - وأخبر أنه محبط للأعمال، فقال تعالى: ﴿ وَلَقَدۡ أُوحِيَ إِلَيۡكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكَ لَئِنۡ أَشۡرَكۡتَ لَيَحۡبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٦٥ ﴾ [3] (الزمر: 65).

4 - ووصفه بأن فيه تنقصا لرب العالمين ومساواة لغيره به، فقال تعالى: ﴿ قَالُواْ وَهُمۡ فِيهَا يَخۡتَصِمُونَ ٩٦ تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ٩٧ إِذۡ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٩٨ ﴾ [4] (الشعراء: 96- 98).

5 - وأخبر أن من مات عليه يكون مخلدا في نار جهنم، فقال تعالى: ﴿ إِنَّهُۥ مَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ وَمَأۡوَىٰهُ ٱلنَّارُۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ أَنصَارٖ ٧٢ ﴾ [5] (المائدة: 72).

(1) سورة النساء آية : 48 .

(2) سورة لقمان آية : 13 .

(3) سورة الزمر آية : 65 .

(4) سورة الشعراء آية : 96 – 98 .
(5) سورة المائدة آية : 72 .

من أنواع الأدلة، وهي كثيرة جدا في القرآن الكريم.

قوع الشرك:

رك وسبب وقوعه في بني آدم هــو الغلــو في الصــالحين المعظمين، طرائهم ومدحهم والثناء عليهم، قال الله تعــالى: ﴿ وَقَالُواْ لَا تَذَرُنَّ ۚ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾ وَقَدْ أَضَلُّواْ كَثِيرًا ۖ وَلَا تَزِدِ ﴿٢٤﴾ ﴾ [1] (نــوح: 23– 24).

اء رجــال صــالحين من قوم نوح لما مــاتوا جعلــوا لــهم صــورهم وســموها بأسمائهم قــاصدين بذلك تعظيمهم وتخليد ضلهم إلى أن آل بهــم الأمــر إلى عبادتهم.

بهذا ما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنــه قــال: " صارت ت في قوم نوح في العرب بعد، أمــا ود فكــانت لكلب بدومة ا ع فكانت لهذيل، وأما يغوث فكانت لمــراد، ثم لبني غطيف بالجوف عوق فكانت لهمدان، وأمــا نســر فكانت لحمير لآل ذي الكلاع، ين من قوم نوح، فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن انصبوا إلى وا يجلســون أنصابا وسموها بأسمائهم ففعلوا فلم تعبد حتى إذا هلك سخ العلم) [2] العلــم عبدت " [3] .

ير الطبري عن محمد بن قيس عند قوله تعالى: وقالوا لا تذرن آلهتك وا قوما صالحين من بني آدم، وكان لهــم أتباع يقتدون هم، فلما بهم الذين كانوا يقتدون بهــم: لــو صورناهم كان أشوق لنا إلى

. 24 – 23

إلى غير ذلك

ج– سبب وق

إن أصل الش

وتجاوز الحد في إ

ءَالِهَتَكُمۡ وَلَا تَذَرُنَّ

ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا ضَلَٰلًا

فهذه أســم

أصنــامــا على

ذكرهم وتذكر ف

ويشــهد لــ

الأوثان التي كان

الجندل، وأما سو

عند سبأ، وأما يع

أسماء رجال صالح

مجالسهم التي كان

أولئك ونسخ (ون

روى ابن جر

الآية، قال: " كان

ماتوا قال أصحاب

(1) سورة نوح آية :

(2) أي علم تلك الص
(3) صحيح البخاري

ور بخصوصها .
برقم (4920) .

العبادة إذا ذكرناهم، فصورروهم، فلما مـــاتوا وجاء

إنما كانوا يعبدونهم وبهـــم يســـقون المطر، فعبدوهم "

الأولى: العكوف عند قبورهم.

الثانية: تصوير صورهم ونصبها في مجالسهم والجلو

فبهذا وقع الشرك لأول مرة في تاريخ البشرية فه

زمان ومكان.

د- أنواع الشرك: ينقسم الشرك إلى قسمين: أكبر

1 - الشرك الأكبر: هو اتخاذ ند مع الله يعبد كم

الإسلام محبط للأعمال كلها، وصاحبه إن مات عليه

يقضى عليه فيموت ولا يخفف عنه من عذابها.

أنواع الشرك الأكبر: وينقسم الشرك الأكبر إلى أر

1 - شرك الدعوة، أي الدعاء، وذلك أن الدعاء

هو لب العبادة كما قال النبي ﷺ « الدعاء هو العبـــ

وقال حديث حسن صحيح [3] قال الله تعالى: ﴿ وَقَا

ٱلَّذِينَ يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِي سَيَدۡخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ

ولما ثبت أن الدعاء عبادة، فصرفه لغير الله شرك،

أو قبرا أو حجرا أو غير ذلك من المخلوقين فهو مشر

(1) تفسير الطبري (12 / 254) .
(2) الترمذي تفسير القرآن (2969) ، ابن ماجه الدعاء (3828) .

(3) مسند أحمد (4 / 267) ، وسنن الترمذي برقم (2969) .
(4) سورة غافر آية : 60 .

وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١١٧﴾ ﴾ [1] (المؤمنون: 117).

ومن الأدلة على أن الدعاء عبادة وأن صرفه لغير الله شرك قوله تعالى: ﴿ فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴿٦٥﴾ ﴾ [2] (العنكبوت: 65)، فأخبر عن هؤلاء المشركين بأنهم يشركون بالله في رخائهم، ويخلصون له في كربهم وشدهم، فكيف بمن يشرك بالله في الرخاء والشدة عياذا بالله.

2 - شرك النية والإرادة والقصد، وذلك أن ينوي بأعماله الدنيا أو الرياء أو السمعة، إرادة كلية كأهل النفاق الخلص، ولم يقصد بها وجه الله والدار الآخرة، فهو مشرك الشرك الأكبر، قال الله تعالى: ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ ۖ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا۟ فِيهَا وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾ ﴾ [3] (هود: 15-16).

وهذا النوع من الشرك دقيق الأمر بالغ الخطورة.

3 - شرك الطاعة، فمن أطاع المخلوقين في تحليل ما حرم الله أو تحريم ما أحل الله، ويعتقد ذلك بقلبه أي أنه يسوغ لهم أن يحللوا ويحرموا ويسوغ له ولغيره طاعته في ذلك مع علمه بأنه مخالف لدين الإسلام فقد اتخذهم أربابا من دون الله وأشرك بالله الشرك الأكبر.

---

(1) سورة المؤمنون آية : 117 .

(2) سورة العنكبوت آية : 65 .
(3) سورة هود آية : 15 – 16 .

قال الله تعــالى: ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلۡمَسِيحَ ٱبۡنَ مَرۡيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُوٓاْ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗاۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ سُبۡحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴾ [1] (التوبة: 31).

وتفسير الآية الذي لا إشكال فيه: طاعة العلماء والعباد في المعصيــة (أي في تبديل حكــم الله) لا دعاؤهم إياهم، كما فسرها النبي ﷺ لعدي بن حـــاتم لما سأله فقال: لسنا نعبدهم ؟ فذكر له أن عبادتهم طاعتهم في المعصيــة (في تبديل حكـــم الله)، فقال: ﴿ أليس يحرمون ما أحل الله فتحرمونه ويحلون مـــا حرم الله فتحلونه ﴾ ، قال: بلى. قال: ﴿ فتلك عبادتهم ﴾ ، رواه الترمذي وحسنه، والطبراني في المعجم الكبير [2] .

4 – شرك المحبة، والمراد محبة العبودية المستلزمة للإجـــلال والتعظيـــم والذل والخضوع التي لا تنبغي إلا لله وحده لا شريك له، ومتى صرف العبد هذه المحبة لغير الله فقد أشرك به الشرك الأكبر، والدليل قوله تعـــالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادٗا يُحِبُّونَهُمۡ كَحُبِّ ٱللَّهِۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبّٗا لِّلَّهِۗ ﴾ [3] (البقرة: 165).

2- النوع الثاني من أنواع الشرك، الشرك الأصغر:

وهو كل ما كان ذريعة إلى الشرك الأكبر ووسيلة للوقوع فيه أو مـــا جاء في النصوص تسميته شركا ولم يصل إلى حد الأكبر، وهو يقع في هيئـــة العمل وأقوال اللسان. وحكمه تحت المشيئة كحكم مرتكب الكبيرة.

ومن أمثلته ما يلي:

(1) سورة التوبة آية : 31 .

(2) س

(3) س

نن الترمذي برقم (3095) ، والمعجم الكبير للطبراني (17 / 92) .

ورة البقرة آية : 165 .

مام أحمد وغيره عن النبي ﷺ أنه قال: « إن

قالوا: ومـــا الشـــرك الأصغر يا رسول الله

ذا جـــازى الناس بأعمالهم: اذهبوا إلى الذين

ن عندهم جزاء » [1] [2] .

روى أبو داود في سننه عن النبي ﷺ « لا

ا ما شـــاء الله ثم شـــاء فلان » [3] [4] .

، أو قول: " لـــولا البـــط لأتانـــا اللصوص

في تفسيره عـــن ابـــن عبـــاس رضـــي الله

لَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ [5]

ن دبيب النمل على صفاة ســـوداء في ظلمة

ـك يـــا فلانـــة وحياتي، وتقول: لولا كليبة

دار لأتى اللصوص، وقول الرجل لأصحابه:

لا الله وفلان، لا تجعل فيها فلانا، هذا كلـــه

يدة، أهمها ما يلي:

جيد ، الترغيب والترهيب (1 / 48) ، وقال الهيثمي :

صر البيهقي (1 / 140 / 2) إسناده صالح .

أ- يسير الرياء، والدليل ما رواه الإ

أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر،

قال: (الرياء، يقول الله تعالى يوم القيامة إ

كنتم تراؤون في الدنيا، فانظروا هل تجدون

ب- قول: " ما شاء الله وشئت "،

تقولوا ما شاء الله وشاء فلان، ولكن قولو

ج- قـــول: " لـــولا الله وفـــلان "

"، ونـــحو ذلك، روى ابـــن أبـــي حاتم

عنهمـــا في معنى قـــوله تعـــالى: ﴿ فَلَ

قـــال: " الأنداد هو الشـــرك أخفى مـ

الليـــل، وهـــو أن تقـــول: والله وحياتـ

هذا لأتانا اللصـــوص، ولولا البط في ال

مـــا شـــاء الله وشئت، وقول الرجل: لو

بـــه شرك " [6].

الفرق بين الشرك الأكبر والأصغر:

بين الشرك الأكبر والأصغر فروق عد

(1) أحمد (428/5) .

(2) مسند أحمد (5 / 428) ، قال المنذري إسناده

رجالـــه رجال الصحيح ، مجمع (1/ 102) .

(3) أبو داود الأدب (4980) ، أحمد (399/5) .

(4) سنن أبي داود برقم (4980) ، قال الذهبي في مخ

(5) سورة البقرة آية : 22 .

(6) تفسير ابن أبي حاتم (1 / 62) .

1 - أن الشرك الأكبر لا يغفر الله لصاحبه إلا بالتوبة، وأما الأصغر ف
المشيئة.

2- أن الشرك الأكبر محبط لجميع الأعمال، وأما الأصغر فـلا يحبـط إل
الذي قارنه.

3- أن الشرك الأكبر مخرج لصاحبه من ملة الإسلام، وأما الشرك الأصغ
يخرجه منها.

4- أن الشرك الأكبر صاحبه خالد في النار ومحرمة عليـه الجنـة، وأمـا
فكغيره من الذنوب.

المطلب الثاني: الكفر.

أ- تعريفه: الكفر لغة يطلق على الستر والتغطية.

وشـرعـا: ضد الإيمان، وهـو: عدم الإيمان بالله ورسـوله، سـواء كان
تكذيب أو لم يكن معه تكذيب، بل عـن شـك وريـب، أو إعراض ع
حسدا وكبرا أو اتباعا لبعض الأهواء الصارفة عن اتبـاع الرسالة.

ب- أنواع الكفر:

الكفر نوعان: كفر أكبر، وكفر أصغر.

فالكفر الأكبر هو الموجب للخلـود في النـار، والأصغـر موجب لاس
الوعيد دون الخلود.

أولا: الكفر الأكبر:

وهو خمسة أنواع:

أ- كفـر التكذيب، وهو اعتقاد كذب الرسـل عليهم السـلام، فمن
فيما جاؤوا به ظاهرا أو باطنا فقد كفر، والدليل قوله تعـالى:

﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُۥٓ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٦٨﴾ ﴾ [1] (العنكبوت: 68).

2 – كفر الإباء والاستكبار، وذلك بأن يكون عالما بصدق الرسول، وأنه جاء بالحق من عند الله، لكن لا ينقاد لحكمه ولا يذعن لأمره، استكبارا وعنادا، والدليل قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٤﴾ ﴾ [2] (البقرة: 34).

3 – كفر الشك، وهو التردد، وعدم الجزم بصدق الرسل، ويقال له كفر الظن، وهو ضد الجزم واليقين.

والدليل قوله تعالى: ﴿ وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ قَالَ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ أَبَدًا ﴿٣٥﴾ وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّى لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا ﴿٣٦﴾ قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلًا ﴿٣٧﴾ لَّٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ بِرَبِّىٓ أَحَدًا ﴿٣٨﴾ ﴾ [3] (الكهف: 35– 38).

4 – كفر الإعراض، والمراد الإعراض الكلي عن الدين، بأن يعرض بسمعه وقلبه وعلمه عما جاء به الرسول ﷺ والدليل قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَمَّآ أُنذِرُوا۟ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ ﴾ [4] (الأحقاف: 3).

(1) سورة العنكبوت آية : 68 .

(2) سورة البقرة آية : 34 .

(3) سورة الكهف آية : 35 – 38 .

(4) سورة الأحقاف آية : 3 .

د النفاق الاعتقادي بأن يظهر الإيمان ويبطن الكفر [1]

كَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ

كفر أكبر ناقل من الملة وهو ستة أنواع: تكذيب
ا جاء به، أو بغض الرسول، أو بغض ما جاء به، أو
أو الكراهية لانتصار دين الرسول.

كفر أصغر لا ينقل من الملة، إلا أنه جريمة كبيرة وإثم
ﷺ في الحديث حيث قال: « أربع من كن فيه كان
فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى
ذا حدث كذب، وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم

لام: « آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب، وإذا وعد
، رواه البخاري [6] .

الإيمان (58) ، الترمذي الإيمان (2632) ، النسائي الإيمان وشرائعه
(46 ، أحمد (189/2) .
صحيح مسلم برقم (58) .
الإيمان (59) ، الترمذي الإيمان (2631) ، النسائي الإيمان وشرائعه

5 – كفر النفاق، والمرا

والدليل قوله تعالى: ﴿ ذَٰلِ

۝٣ ﴾ [2] (المنافقون: 3).

والنفاق على ضربين:

1 – نفاق اعتقاد وهو
الرسول، أو تكذيب بعض م
المسرة بانخفاض دين الرسول،

2 – ونفاق عملي وهو
عظيم، ومنه ما ذكره النبي
منافقا خالصا، ومن كانت ف
يدعها: إذا اؤتمن خان، وإ
فجر » [3] متفق عليه [4] .

وقال عليه الصلاة والسا
أخلف، وإذا أؤتمن خان » [5]

(1) مدارج السالكين (1 / 346) .
(2) سورة المنافقون آية : 3 .
(3) البخاري الإيمان (34) ، مسلم
(5020) ، أبو داود السنة (88
(4) صحيح البخاري برقم (34) ، و
(5) البخاري الإيمان (33) ، مسلم

(5021) ، أحمد (536/2) .

(6) صحيح البخاري برقم (33) .

ثانيا: الكفر الأصغر:

وهو لا يخرج صاحبه من الملة ولا يوجب الخلود في النار وإ... الشديد، وهو كفر النعمة، وجميع ما ورد في النصوص من ذكر ا... إلى حد الكفر الأكبر. ومن الأمثلة عليه:

ما ورد في قوله تعالى: ﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ... رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَاقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ ... يَصْنَعُونَ ﴿١١٢﴾ ﴾ [1] (النحل: 112).

وفي قوله ﷺ « اثنتان في الناس هما بهم كفر، الطعن في النس... الميت » [2] **، رواه مسلم** [3] **.**

وفي قوله ﷺ « لا ترجعوا بعدي كفارا يضرب بعضكم رقاب ... » **البخاري ومسلم** [5]**.**

فهذا وأمثاله كفر دون كفر وهو لا يخرج من الملة الإسلامية.

لقوله تعالى: ﴿ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا ... عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَ...

---

(1) سورة النحل آية : 112 .

(2) مسلم الإيمان (67) ، الترمذي الجنائز (1001) .

(3) صحيح مسلم برقم (67) .

(4) البخاري العلم (121) ، مسلم الإيمان (65) ، النسائي تحريم الدم (4131) ، ا...

...زمـا عليـه الوعيد ... لكفر الذي لا يصل

... ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا ... وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟

...ب والنياحـة على

... بعض » [4] ، رواه

...ا ۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا ... صْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ

...ن ماجه الفتن (3942) ،

أحمد (4/358) ، الدارمي المناسك (1921) .
(5) صحيح البخاري برقم (121) ، وصحيح مسلم برقم (65) .

وَأَقْسِطُوٓاْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٩﴾ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٠﴾ ﴾ [1] (الحجرات: 9، 10)، فسماهم الله ﷻ مؤمنين مع الاقتتال.

ولقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا ﴿٤٨﴾ ﴾ [2] (النساء: 48)، فدلت الآية الكريمة على أن كل ذنب دون الشرك تحت المشيئة أي إن شاء الله عذبه بقدر ذنبه وإن شاء عفا عنه من أول وهلة، إلا الشرك به فإن الله لا يغفره كما هو صريح في الآية وقوله تعالى: ﴿ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٧٢﴾ ﴾ [3] (المائدة: 72).

---

(1) سورة الحجرات آية : 9 ، 10 .

(2) سورة النساء آية : 48 .
(3) سورة المائدة آية : 72 .

المبحث الخامس: ادعاء علم الغيب وما يلحق به

الغيب هو كل ما غاب عن العقول والأنظار من الأمور الحاضرة والماضية والمستقبلة، وقد استأثر الله ﷻ بعلمه واختص نفسه سبحانه بذلك.

قال الله تعالى: ﴿قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ﴾ [1] (النمل: 65)، وقال تعالى: ﴿لَهُ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [2] (الكهف: 26)، وقال تعالى: ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ ۝﴾ [3] (الرعد: 9).

فلا يعلم الغيب أحد إلا الله، لا ملك مقرب ولا نبي مرسل فضلا عمن هو دونهما.

قال الله تعالى عن نوح عليه السلام: ﴿وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ﴾ [4] (هود: 31)، وقال تعالى عن هود عليه السلام: ﴿قَالَ إِنَّمَا الْعِلْمُ عِنْدَ اللَّهِ وَأُبَلِّغُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ﴾ [5] (الأحقاف: 23)، وقال تعالى لنبيه محمد عليه الصلاة والسلام: ﴿قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ﴾ [6] (الأنعام: 50)، وقال تعالى: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ۝ قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ۝﴾ [7] (البقرة: 31- 32).

(1) سورة النمل آية : 65 .
(2) سورة الكهف آية : 26 .
(3) سورة الرعد آية : 9 .
(4) سورة هود آية : 31 .
(5) سورة الأحقاف آية : 23 .

(6) سورة الأنعام آية

(7) سورة البقرة آية

: 50 .

: 31 – 32 .

أمور المغيبة عن طريـــق الوحي،
ا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرۡتَضَىٰ مِن رَّسُولٖ فَإِنَّهُۥ
لَغُواْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّهِمۡ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيۡهِمۡ
وهذا من الغيب النسبي الذي
، أما الغيب المطلق فلا يعلمه إلا
لله به.

ى الدجاجلة والكذابـين المدعين
هم وأضلوا كثـيرا وضلوا عن
م.

عون بها علم الغيـب، ويضلون
اهم.

القلـوب والأبـدان، فيمرض
الساحر كـافر بالله العظيم، وما
تلوا ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلۡكِ سُلَيۡمَٰنَۖ وَمَا
سِّحۡرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلۡمَلَكَيۡنِ بِبَابِلَ
نُ فِتۡنَةٞ فَلَا تَكۡفُرۡۖ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنۡهُمَا مَا
مِنۡ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا
خِرَةِ مِنۡ خَلَٰقٖۚ وَلَبِئۡسَ مَا شَرَوۡاْ
.(10

ثم إنه سبحانه قد يطلع بعض خلقه على بعض الا
كما قال تعالى: ﴿ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ فَلَا يُظۡهِرُ عَلَىٰ غَيۡبِهِۦٓ أَحَدًا
يَسۡلُكُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ رَصَدٗا ﴿٢٧﴾ لِّيَعۡلَمَ أَن قَدۡ أَبۡ
وَأَحۡصَىٰ كُلَّ شَيۡءٍ عَدَدَۢا ﴿٢٨﴾ ﴾ [1] (الجن: 26-28)،
غـاب علمه عـن بعـض المخلوقات دون بعض
هو سبحانه، ومـن ذا الذي يدعي علمه وقد استأثر ا

ولهذا فإن الواجب على كل مسلم أن يحذر من
لعلم الغيب المفترين على الله، الذين ضلوا في أنفس
سواء السبيل، كالسحرة والكذابين والمنجمين، وغيره

وفيما يلي عرض لجملة من أعمال هؤلاء التي يد
بها عوام المسلمين وجهالهم، ويفسدون بها عقيدتهم وإيم

1 – السحر: وهو في اللغة ما خفي ولطف سببه.

وفي الاصطلاح هو عزائم ورقى وعقد يؤثِّر في
ويقتل ويفرق بين المرء وزوجه بإذن الله، وهو كفر، و
له في الآخرة من خلاق، قال الله تعالى: ﴿ وَٱتَّبَعُواْ مَا تَ
كَفَرَ سُلَيۡمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱل
هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنۡ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحۡ
يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيۡنَ ٱلۡمَرۡءِ وَزَوۡجِهِۦۚ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ
يَضُرُّهُمۡ وَلَا يَنفَعُهُمۡۚ وَلَقَدۡ عَلِمُواْ لَمَنِ ٱشۡتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِي ٱلۡأ
بِهِۦٓ أَنفُسَهُمۡۚ لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [2] (البقرة: 2

(1) سورة الجن آية : 26 – 28 .

(2) سورة البقرة آية : 102 .

ومنه النفث في العقد، قال الله تعالى: ﴿ قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلۡفَلَقِ ۝١ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ۝٢ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ۝٣ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِي ٱلۡعُقَدِ ۝٤ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ۝٥ ﴾ [1] .

2 – التنجيم: وهو الاستدلال بالأحوال الفلكية على الحوادث الأرضية التي لم تقع، فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ ﴿ من اقتبس علما من النجوم فقد اقتبس شعبة من السحر زاد ما زاد ﴾ [2] ، رواه أبو داود [3] .

3 – زجر الطير والخط في الأرض: فعن قطن بن قبيصة عن أبيه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ﴿ العيافة والطيرة والطرق من الجبت ﴾ [4] [5] أي من السحر، والعيافة زجر الطير والتفاؤل والتشاؤم بأسمائها وأصواتها وممرها، والطرق الخط يخط في الأرض، أو الضرب بالحصى وادعاء علم الغيب.

4 – الكهانة: وهي ادعاء علم الغيب، والأصل فيها استراق الجن السمع من كلام الملائكة فتلقيه في أذن الكاهن.

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: ﴿ من أتى كاهنا فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ ﴾ [6] رواه أبو داود وأحمد والحاكم [7] .

---

(1) سورة الفلق آية : 1 – 5 .

(2) أبو داود الطب (3905) ، ابن ماجه الأدب (3726) ، أحمد (227/1) .

(3) سنن أبي داود برقم (3905) .

(4) أبو داود الطب (3907) ، أحمد (477/3) .

(5) سنن أبي داود برقم (3907) ، ومسند أحمد (3 / 477) .

(6) الترمذي الطهارة (135) ، أبو داود الطب (3904) ، ابن ماجه الطهارة وسننها (639) ، أحمد (429/2) ، الدارمي الطهارة (1136) .

(7) سنن أبي داود (3904) ، ومسند أحمد (2 / 429) ، المستدرك (1 / 50) قال الحاكم صحيح على شـــرط الشيخين ووافقه الذهبي .

5 – كتابة حروف أبا جاد: وذلك بأن يجعل لكل حرف منها قـــدرا معلوما من

د ويجري على ذلك أسماء الآدميين والأزمنـــة والأمكنـــة، ثم يحكم عليها بالسعود

العد

تاب

الإيمان

كتاب والسنة

عداد

كت

أصول

في ضوء الك

إع

مقدمة معالي الوزير الشيخ صالح بن عبد العزيز بن محمد آل الشـيـ

بسم الله الرحمن الرحيم

بقلم معالي الشيخ صالح بن عبد العزيز بن محمد آل الشـيخ وزير الش
الإسـلامية والأوقاف والدعوة والإرشـاد المشرف العام على المجمع.

الحمد لله رب العالمين، القائل في كتابه الكريم ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِ
وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ ﴾[1] [النحل: 125]. والصلاة والسـلام علـى أشرف
والمرسلين، القـائل: « بلغوا عني ولو آية »[2] [البخـاري: 3461].

أما بعد: فإنفاذًا لتوجيهات خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبـد العز
سعود – حفظه الله– في إيصال الخير إلى عمـوم المسـلمين في مشارق
ومغاربها، بدءًا بالعناية بكتاب الله، والعمل على تيسير نشره، وترجمة معانيه، و
بين المسلمين، والراغبين في دراسته من غـيرهم، ثم نشر ما ينفع المسلمين في
شؤون حياقم الدينية والدنيوية.

وإيمانًا من وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد ممثلـة في
الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة النبوية، بأهمية الدعـوة إلى الله تعا
بصيرة فإنه يسرها أن تقدم كتاب:

((أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة))

وذلك لتبصير المسلمين في أمور العقيدة التي هي أساس الإيمان، لقولـه

52]، الله ﷺ إنّ في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله [3] [البخاري:

(1) سورة النحل آية : 125 .
(2) البخاري أحاديث الأنبياء (3274) ، الترمذي العلم (2669) ، أحمد (159/2) ، الدارمي المقدمة (542) .
(3) البخاري الإيمان (52) ، مسلم المساقاة (1599) ، ابن ماجه الفتن (3984) ، أحمد (4/270) ، الدارمي البيوع (2531) .

وستتبعه إن شاء الله تعالى سلسلة من الكتـــب في الحديث، والفقه، والذكر والدعاء، والتي نرجو من الله العلي القدير أن ينفـــع بها عموم المسلمين.

وبهذه المناسبة يسرني أن أشكر الإخوة الذين قاموا بـــإعداد الكتـــاب (تأليفًا، ومراجعة، وصياغة) جهدهم المخلص، وللأمانة العامـــة للمجمـــع حسن اهتمامها ومتابعتها، وأدعو الله تعالى أن يحفظ هذه البلاد راعية للدين، وحامية للعقيدة الصحيحة في ظل قيادة خادم الحرمين الشريفين، وسمـــو ولي عهده الأمين، وسمو النائب الثاني، حفظهم الله، وآخر دعوانا أن الحمـــد لله رب العالمين.

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الدين وأتمَّ علينا النعمة، وجعل أمَّتنا -أمَّة الإسلام-

ا يتلو علينا آياته ويزكينا، ويعلِّمنا الكتاب والحكمة،

سله الله للعالمين رحمة، نبيِّنا محمد وعلى آله وصحبه.

ن خلق الجن والإنس هي عبادة الله وحده، كما قال

سَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ ﴿٥٦﴾ ﴾ [1] (الذاريات: 56). ولذا كان

لمأخوذةُ من منبعها الأصلي وموردها المبارك كتاب الله

حقيق تلك العبادة، فهي الأساس لعمارة هذا الكون،

ه واختلاله، كما قال الله تعالى: ﴿ لَوۡ كَانَ فِيهِمَآ

هِ رَبِّ ٱلۡعَرۡشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ [2] (الأنبياء: 22)، وقال

بۡعَ سَمَٰوَٰتٖ وَمِنَ ٱلۡأَرۡضِ مِثۡلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلۡأَمۡرُ بَيۡنَهُنَّ لِتَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ

أَحَاطَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عِلۡمَۢا ﴿١٢﴾ ﴾ [3] (الطلاق: 12)، إلى غير

ول أن تستقلَّ بمعرفة تفاصيل ذلك بعث الله رسلَه

نه وتفصيله للناس حتى يقوموا بعبادة الله على علم

الحمد لله الذي أكمل لنا

خيرَ أمَّة، وبعث فينا رسولًا منَّ

والصلاة والسلام على مَن أرس

أما بعد: فإنَّ الحكمة م

تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِن

التوحيد والعقيدة الصحيحة الم

وسنة رسوله ﷺ هي الغاية لتح

وبفقدها يكون فساده وخرابه

ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَاۚ فَسُبۡحَٰنَ ٱللَّ

سبحانه: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ سَ

عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدۡ

ذلك من الآيات.

ولما كان غير ممكن للعقو

وأنزل كتبَه؛ لإيضاحه وبيا

ائم قويمةٍ، فتتابع رسل الله على تبليغه، وتوالوا في بيانه

وبصيرة واسسٍ واضحةٍ ودعا

...ةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴿٢٤﴾ [4] (فاطر: 24)، وقال سبحانه:

كما قال سبحانه: ﴿ وَإِن مِّنْ أُمَّ

(1) سورة الذاريات آية : 56 .

(2) سورة الأنبياء آية : 22 .

(3) سورة الطلاق آية : 12 .

(4) سورة فاطر آية : 24 .

﴿ ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَا ﴾ [1] (المؤمنون: 44)، أي يتبع بعضُهم بـ... بعضًا إلى أن ختمهم بسيِّدهم وأفضلهم وإمامهم نبيِّنا محمد ﷺ فبَلَّغ الرسالة وأدَّى الأ... ...مانة، ونصح الأمَّة، وجاهد في الله حقَّ جهاده ودعا إلى الله ســـرًّا وجهرًا، وقام بأعباء ... الرسالة أكملَ قيام، وأوذيَ في الله أشدَّ الأذى، فصـــبر كما صبر أولو العزم من الرسل... ولم يزل داعيًا إلى الله هاديـــًا إلى صراطـــه المستقيم حتى أظهر الله به الدِّين، وأتم... به النِّعمة، ودخل الناس بسبب دعوتـــه في دين الله أفواجًا، ولم يَمُت ﷺ حتى أكمل ... الله به الدِّين وأتمَّ به النِّعمـــة، وأنـــزل في ذلك سبحانه قولـــه: ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾ [2] (المائدة: 3).

فبيَّن صلوات الله وسلامه عليه الدين كلَّه أصوله وفروعه، ... كما قال إمام دار الهجرة مالك بن أنس رحمه الله: " مُحال أن يُظنَّ بالنبي ﷺ أنه علَّ... ...م أمتـــه الاستنجاء ولم يعلمهم التوحيد ".

وقد كان ﷺ داعيةً إلى توحيد الله وإخلاص الدِّين لله ونبذ ال... ...شرك كـــلِّه كبيرِه وصغيره شأن جميع المرسلين؛ إذ أنَّ الرسلَ كلَّهم متَّفقون على ذلـــ... ...ك، متضافرون على الدعوة إليه، بل هو منطلقُ دعوتهم وزبدة رسالتهم وأســـاس بعثتهـ... ...م، يقول الله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَٰلَةُ ۚ فَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ ... عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ

(النحل: 36)، وقال:

(1) سورة المؤمنون آية : 44 .

(2) سورة المائدة آية : 3 .

(3) سورة النحل آية : 36 .

﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ﴾ [1] (الأنبياء: 25)، وقال تعالى: ﴿ وَسۡـَٔلۡ مَنۡ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلۡنَا مِن دُونِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ءَالِهَةٗ يُعۡبَدُونَ ﴾ [2] (الزخرف: 45)، وقال تعـــالى: ﴿ ۞ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحٗا وَٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَمَا وَصَّيۡنَا بِهِۦٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓۖ أَنۡ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِۚ ﴾ [3] (الشــــورى: 13).

وقد ثبت في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال: ﴿ **الأنبياء إخوة لعلّات، أمّهاتُهم شتّى ودينُهم واحد** ﴾ [4] [5] فـــالدِّين واحـــدٌ، والعقيدة واحدةٌ، وإنّما حصل التنوُّعُ بينهم في الشرائع، كما قـــال تعـــالى: ﴿ لِكُلّٖ جَعَلۡنَا مِنكُمۡ شِرۡعَةٗ وَمِنۡهَاجٗاۚ ﴾ [6] (المائدة: 48).

ولذا ينبغي أن يكون متقرِّرا لدى كلِّ مسلم وواضحا لدى كلِّ مؤمـــن أنَّ العقيدة لا مجال فيها للرأي والأخذ والعطاء، وإنّما الواجب علـــى كـــلِّ مسلم في مشارق الأرض ومغاربها أن يعتقد عقيدة الأنبياء والمرســـلين، وأن يؤمن بالأصول التي آمنوا بها ودعوا إليها دون تشـــكُّكٍ أو تـــردُّدٍ، ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ

(1) سورة الأنبياء آية : 25 .

(2) سورة الزخرف آية : 45 .

(3) سورة الشورى آية : 13 .

(4) البخاري أحاديث الأنبياء (3259) ، مسلم الفضائل (2365) ، أبو داود السنة (4675) ، أحمد (406/2) .

(5) صحيح البخاري (3443) ، وصحيح مسلم (2365) .

(6) سورة المائدة آية : 48 .

مَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ

رَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾ [1] (البقرة: 285).

منين، وهذا سبيلهم: الإيمان والتسليم والإذعان والقبـــول، وعندما

لك ترافقه السلامة، ويتحقق له الأمـــن والأمـــان، وتزكو نفسُه،

كون بعيدًا تمام البعد عمَّا يقع فيه ضلَّال النـــاس بسبب عقائدهم

واضطراب وشكوك وأوهام وحَيرة وتذبذب.

لامية الصحيحة بأصولها الثابتة وأسسها الســـليمة وقواعدهـــا المتينة

– التي تحقِّق للناس سعادهم ورفعتهم وفلاحهم في الدنيـــا والآخرة؛

وصحَّة دلائلها، وســـلامة براهينـــها وحججـــها، ولموافقتها للفطرة

الصحيحة، والقلوب السويَّة.

الَمَ الإسلامي كلّه في أشدِّ الحاجة إلى معرفة هذه العقيدة الصافيـــة

بُ سعادته الذي عليه تدور، ومستقر نجاته الذي عنه لا تحور.

ف الوجيز يجد المسلم أصولَ العقيدة الإسلامية وأهـــمَّ أسســـها

الملها ممَّا لا غنى لمسلم عنه، ويجد ذلك كله مقرونا بدليله، مدعَّمًـــا

كتاب مشتمل على أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة، وهي

روثة عن الرسل، ظاهرة غاية الظهور، يمكن لكل مميِّز من صغـــير

ا بأقصر زمان وأوجز مدَّة، والتوفيق بيد الله وحده. وبهذه المناسبة

وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَا

سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَ

فهذا شأنُ المؤ

يكون المؤمن كذ

ويطمئنُّ قلبُه، وي

الباطلة من تناقض

والعقيدة الإس

هي – دون غيرها

لوضوح معالمها، و

السليمة، والعقول

ولهذا فإنّ الع

النقيَّة؛ إذ هي قط

وفي هذا المؤلَّ

وأبرزَ أصولها ومع

بشواهده، فهو ك

أصول عظيمة مو

وكبير أن يُدركها

نتقدم بالشكر الج زيل للذين ساهموا في إعداد هذا الكتاب وهم: الدكتور صالح بـــن

سعد السحيمي، والدكتور عبد الرزاق بن عبد المحسن العباد، والدكتور إبراهيم بن

عامر الرحيلي. ك كما نشـــكر اللذين قاما بمراجعته وصياغته وهما: الدكتور علي بن

محمد ناصر فقيهي ، والدكتور أحمد بن عطية الغامدي.

---

(1) سورة البقرة آية : 285 .

وإنَّا لنرجوه سبحانه أن ينفع به عمومَ المسلمين، و آخر دعوانا أن الحمـــد لله رب العالمين.

الأمانة العامة

لمجمع الملك فهد لطباعة ا لمصحف الشريف

8

تمهيد

لا يخفى على كل مسلم أهمية الإيمان، وعظم شأنه، وكثرة عوائده وفوائده على المؤمن في الدنيا والآخرة، بل إن كل خير في الدنيا والآخرة متوقف على تحقق الإيمان الصحيح، فهو أجل المطالب، وأهم المقاصد، وأنبل الأهداف، وبه يحيا العبد حياة طيبة سعيدة، وينجو من المكاره والشرور والشدائد، وينال ثواب الآخرة ونعيمها المقيم وخيرها الدائم المستمر الذي لا يحول ولا يزول.

قال تعالى: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾ ﴾ [1] (النحل: 97). وقال تعالى: ﴿ وَمَنْ أَرَادَ ٱلْأَٰخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ﴿١٩﴾ ﴾ [2] (الإسراء: 19).

وقال تعالى: ﴿ وَمَن يَأْتِهِۦ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلدَّرَجَٰتُ ٱلْعُلَىٰ ﴿٧٥﴾ ﴾ [3] (طه: 75). وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴿١٠٧﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا ﴿١٠٨﴾ ﴾ [4] (الكهف: 107، 108). والآيات في هذا المعنى في القرآن الكريم كثيرة.

وقد دلت نصوص الكتاب والسنة على أن الإيمان يقوم على الأصول الستة، وهي: الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره،

وقد جاء ذكر هذه الأصول في القرآن الكريم والسنة النبويـــة في مواطن عديدة. منها:

(1) سورة النحل آية : 97 .
(2) سورة الإسراء آية : 19 .
(3) سورة طه آية : 75 .
(4) سورة الكهف آية : 107 ، 108 .

1 – قوله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَـٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَـٰبِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَـٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَـٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١٣٦﴾ ﴾ [1] (النساء: 136).

2 – وقوله تعالى: ﴿ ۞ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَـٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَـٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾ [2] (البقرة: 177).

3 – وقوله تعالى: ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَـٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ وَقَالُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾ ﴾ [3] (البقرة: 285).

4 – وقوله تعالى: ﴿ إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَـٰهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾ ﴾ [4] (القمر: 49).

5 – وثبت في صحيح مسلم من حديث عمر بن الخطـــاب المشهور بحديث جبريل « أن جبريل سأل النبي ﷺ فقال: أخبرني عن الإيمان، قـــال: (أن تؤمن بالله وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خـــيره وشره » [5] [6] .

فهذه أصول ستة عظيمة يقوم عليها الإيمان، بل لا إيمـــان لأحـــد إلا بالإيمان بها، وهي أصول مترابطة متلازمة، لا ينفك بعضها عـــن بعـــض، فالإيمان بعضها مستلزم للإيمان بباقيها، والكفر بعضها كفر بباقيها.

ورة النساء آية : 136 .
ورة البقرة آية : 177 .
ورة البقرة آية : 285 .
ورة القمر آية : 49 .
سلم الإيمان (8) ، الترمذي الإيمان (2610) ، النسائي الإيمان وشرائعه (4990) ، أبو داود السنة
4695) ، ابن ماجه المقدمة (63) ، أحمد (27/1) .
حيح مسلم برقم (1) .

أن تعظم عنايته واهتمامه بهذه الأصول
ولذا كان متأكدا في حق كل مسلم
علما وتعلما وتحقيقا.

وفيما يلي بيان ما يتعلق بالأصل الأول من هذه الأصول وهو الإيمان بالله.

(1) س
(2) س
(3) س
(4) س
(5) م
(6) ص

الباب الأول: الإيمان بالله

إن الإيمان بالله ﷻ هو أهم أصول الإيمان، وأعظمها شأنا، وأعلاها قدرا، بل هو أصل أصول الإيمان، وأساس بنائه، وقوام أمره، وبقية الأصول متفرعة منه، راجعة إليه، مبنية عليه. والإيمان بالله عز وجل هو الإيمان بوحدانيته سبحانه في ربوبية، وألوهيته، وأسمائه وصفاته، فهذه أصول ثلاثة يقوم عليها الإيمان بالله، بل إن الدين الإسلامي الحنيف إنما سمي توحيدا لأن مبناه على أن الله واحد في ملكه وأفعاله لا شريك له، وواحد في ذاته وأسمائه وصفاته لا نظير له، وواحد في ألوهيته وعبادته لا ندَّ له.

وبهذا يعلم أن توحيد الأنبياء والمرسلين ينقسم إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول: توحيد الربوبية ، وهو الإقرار بأنَّ الله تعالى رب كلّ شيء ومليكُه وخالقُه ورازقُه، وأَنه المحيي المميتُ النافعُ الضار، المتفرِّدُ بالإجابة عند الاضطرار، الذي له الأمر كله، وبيده الخير كله، وإليه يُرجع الأمرُ كله، لا شريك له في ذلك.

القسم الثاني: توحيد الألوهية ، وهو إفراد الله وحده بالذلّ والخضوع [illegible] والمحبَّة والخشوع والركوع والسجود والذبح والنذر، وسائر أنواع العبادة لا شريك له.

القسم الثالث: توحيد الأسماء والصفات ، وهو إفراد الله تعالى. بما سمى ووصف نفسه في كتابه وعلى لسان نبيه ﷺ وتنزيهه عن النقائص والعيوب ومماثلة الخلق فيما هو من خصائصه والإقرار بأنَّ الله بكلِّ شيء عليم، وعلى كلِّ شيء قدير، وأنَّه

الحـــيُّ القيُّوم الذي لا تأخذه سِنة ولا نـــوم، له المشيئة النافذة والحكمة البالغ
سميع بصير، رؤوف رحيـــم، علـــى العرش استوى، وعلى الملك احتوى
الـــمَلِك القدوس السلام المؤمـــن المهيمن العزيز الجبَّار المتكبِّر، سبحان ا
يشركون، إلى غير ذلك مـــن الأسماء الحسنى، والصفات العلى.

ولكل قسم من هذه الأقسام الثلاثة دلائلُ كثيرة من الكتاب والسنة.

فالقرآن كله في التوحيد، وحقوقه وجزائه وفي شأن الشـــرك وأهلـــه وجزائهم.

وهذه الأقسام الثلاثة للتوحيد قد أخذها أهل العلم بالاستقراء والتتبـــع لنصوص الكتاب والسنة، وهو استقراء تامٌّ لنصوص الشرع، أفـــاد هـــذه الحقيقة الشرعية، وهي أنّ التوحيد المطلوب من العباد هو الإيمان بوحدانيـــة الله في ربوبيته وألوهيَّته وأسمائه وصفاته، فمَن لم يأت بهذا جميعـــه فليـــس بمؤمن، وفيما يلي فصول ثلاثة في كل فصل منها بيان لقســـم مـــن هـــذه الأقسام:

الفصل الأول: توحيد الربوبية

عناه وأدلته من الكتاب والسنة والعقل والفطرة.

من الفعل ربب، ومنه الربُّ، فالربوبية صفـة الله، وهي
ب في كلام العرب يطلق على معان: منها المالك، والسيد

فإن توحيد الربوبية هو إفراد الله بأفعاله.
سيادة والإنعام والملك والتصوير، والعطاء والمنع، والنفع
لتدبير المحكم، والقضاء والقدر، وغير ذلك من أفعاله
يإن الواجب على العبد أن يؤمن بذلك كله.

ـالى: ﴿ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيۡرِ عَمَدٖ تَرَوۡنَهَاۖ وَأَلۡقَىٰ فِي ٱلۡأَرۡضِ
ن كُلِّ دَآبَّةٖۚ وَأَنزَلۡنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَنۢبَتۡنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوۡجٖ
ـ مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦۚ بَلِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ
). وقولـه تعالى: ﴿ أَمۡ خُلِقُواْ مِنۡ غَيۡرِ شَيۡءٍ أَمۡ هُمُ
: 35)

اه الإمام أحمد وأبو داود من حديث عبـد الله بن

المبحث الأول: م

أولا: تعريفه:

أ- لغة : الربوبية مصدر
مأخوذة من اسم الرب، والرب
المطاع، والمُصْلِح.

ب- أما في الاصطلاح :
ومنها الخلق والرزق والس
والضر، والإحياء والإماتة، وا
التي لا شريك له فيها، ولهذا ف

ثانيا: أدلته :

أ- من الكتاب : قوله تع
رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمۡ وَبَثَّ فِيهَا م
كَرِيمٖ ﴿١٠﴾ هَٰذَا خَلۡقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِي
﴿١١﴾ ﴾ [1] (لقمان: 10، 11
ٱلۡخَٰلِقُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾ [2] (الطور

ب- من السنة : ما رو

على أن يضروك بشيء لم يضـــروك إلا بشيء قد كتبه الله عل

وجفت الصحف ﴾ [1] [2].

ج- دلالة العقل : دل العقل على وجود الله تعالى وانفراده

قدرته على الخلق وسيطرته عليهم، وذلك عن طريق النظر والتفكر

عليه. وللنظر في آيات الله والاستدلال بها على ربوبيته طـــرق

الآيات وأشهرها طريقان:

الطريق الأول : النظر في آيات الله في خلق النفس البشري

بـــ (دلالة الأنفس)، فالنفس آية من آيات الله العظيمة الدالة ع

بالربوبية لا شريك له، كما قـــال تعـــالى: ﴿ وَفِيٓ أَنفُسِ

۝٢١ ﴾ [3] (الذاريات: 21)، وقال تعالى: ﴿ وَنَفۡسٖ وَمَا سَوَّىٰهَا

7)، ولهذا لو أن الإنسان أمعن النظر في نفسه وما فيها من عج

لأرشده ذلك إلى أن له ربا خالقا حكيما خبيرا؛ إذ لا يستطيع

النطفة التي كان منها ؟ أو أن يحولها إلى علقـــة، أو يحـــول العل

يحول المضغة عظاما، أو يكسو العظام لحما ؟

الطريق الثاني : النظر في آيات الله في خلق الكون وهو ما

الآفاق)، وهذه كذلك آية من آيات الله العظيمة الدالـــة علـــ

الشخير رضي الله عنه مرفوعا وفيه: (ال

أن النبي ﷺ قال في وصيته لا

اجتمعت على أن ينفعوك بشي

(1) سورة لقمان آية : 10 ، 11 .

(2) سورة الطور آية : 35 .

سيد الله تبارك وتعالى..). وقد ثبت في الترمـــذي وغيره

ابن عباس رضي الله عنـــهما:... ﴿ واعلم أن الأمة لو

يء لم ينفعـــوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، وإن اجتمعوا

14

يك، رفعت الأقلام

بالربوبيـــة وكمال

في آيات الله الدالة

كثيرة بحسب تنوع

ة وهو مـــا يعرف

على تفرد الله وحده

كُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ

۝٧ ﴾ [4] (الشمس:

حـــائب صنـــع الله

الإنســـان أن يخلق

قـــة إلى مضغة، أو

يعـــرف بـــ (دلالة

ى ربوبيته، قال الله

(1) الترمذي صفة القيامة والرقائق والورع (2516) ، أحمد (293/1) .
(2) سنن الترمذي (2516) ، ومسند أحمد (1 / 307) ، وقد حسن الحديث الترم ذي وصححه ، وصححه الحاكم .
(3) سورة الذاريات آية : 21 .
(4) سورة الشمس آية : 7 .

تعالى: ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَـٰتِنَا فِى ٱلْـَٔافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾ ﴾ [1] (فصلت: 53).

ومن تأمل الآفاق وما في هذا الكون من سماء وأرض، وما اشتملت عليه السماء من نجوم وكواكب وشمس وقمر، وما اشتملت عليـه الأرض مـن جبال وأشجار وبحار وأنهار، وما يكتنف ذلك من ليل ونهار وتسيير هـذا الكون كله بهذا النظام الدقيق؛ دله ذلك على أن هناك خالقا لهذا الكـون، موجدًا له مدبِّرًا لشؤونه، وكلما تدبر العاقل في هذه المخلوقـات وتغلغـل فكره في بدائع الكائنات علم أنها خُلقت للحق وبالحق، وأنـها صحـائف آيات، وكتب براهين ودلالات على جميع ما أخبر به الله عن نفسه وأدلـة على وحدانيته.

وقد جاء في بعض الآثار أن قوما أرادوا البحث مع الإمام أبي حنيفـة في تقرير توحيد الربوبية، فقال لهم رحمه الله: " أخبروني قبل أن نتكلم في هـذه المسألة عن سفينة في دجلة تذهب فتمتلئ من الطعام وغيره بنفسها وتعـود بنفسها، فترسو بنفسها وترجع، كل ذلك من غير أن يديرها أحد ؟ ".

فقالوا: " هذا محال لا يمكن أبدا. فقال لهم: إذا كان هـذا محـالا في سفينة فكيف في هذا العالم كله علوه وسفله ؟ ".

فنبه إلى أن اتساق العالم ودقة صنعه وتمام خلقه دليل علـى وحدانيـة خالقه وتفرده.

(1) سورة فصلت آية : 53 .

المبحث الثاني: بيان أن الإقرار بهذا التوحيد وحده لا ينجي من العذاب.

إن توحيد الر بوبية هو أحد أنواع التوحيد الثلاثة كما تقدم؛ ولذا فإنه لا يصح إيمان أحد ولا يتح حقق توحيده إلا إذا وحد الله في ربوبيته، لكن هذا النوع من التوحيد ليس هو الغاية م ن بعثة الرسل عليهم السلام، ولا ينجي وحده من عذاب الله ما لم يأت العبد بلازمه توحيد الألوهية.

ولذا يقول الله تعالى: ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴾ [1] (يوسف: 106)، والمعنى أي: ما يقر أكثرهم بالله ربا وخالقا ورازقا ومدبرا- وكل ذلك من توحيد الربوبية - إلا وهم مشركون معه في عبادته غيره من الأوثان والا أصنام التي لا تضر ولا تنفع، ولا تعطي ولا تمنع.

وبهذا المعنى ل لآية قال المفسرون من الصحابة والتابعين.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: " من إيمانهم إذا قيل لهم من خلق السماء، ومن خلق الأرض ومن خلق الجبال ؟ قالوا: الله وهم مشركون ".

وقال عِكْرِمَة: " تسألهم من خلقهم ومن خلق السماوات والأرض فيقولون الله فذلك إيمانهم بالله، وهم يعبدون غيره ".

وقال مجاهد: " إيمانهم قولهم: الله خالقنا ويرزقنا ويميتنا فهذا إيمان مع شرك عبادتهم غيره ".

وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم بن زيد: " ليس أحد يعبد مع الله غيره إلا

يعرف أن الله ربُّه، وأنَّ الله خالقُه ورازقُه، وهـو يشرك به، ألا ترى

م: ﴿ قَالَ أَفَرَءَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٧٥﴾ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلْأَقْدَمُونَ ﴿٧٦﴾

بَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٧﴾ ﴾ [2] (الشعراء: 75- 77) " [1] .

. 106 :

. 77 ، 75 :

وهو مؤمن بالله و

كيف قال إبراهي

فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّيٓ إِلَّا رَ

(1) سورة يوسف آية

(2) سورة الشعراء آي

والنصوص عن السلف في هذا المعنى كثيرة، بل

النبي ﷺ مقرين بالله ربا خالقا رازقا مدبرا، وكان شر

اتخذوا الأنداد والشركاء يدعوهم ويستغيثون بهم ويتزل

وقد دل القرآن الكريم في مواطن عديدة منه عل

الله مع إشراكهم به في العبادة، ومن ذلك قوله تعالى:

وَٱلْأَرْضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُو

وقوله تعالى: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَا

لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٦٣﴾

تعالى: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُ

وقوله تعالى: ﴿ قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمْ تَعْ

تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱ

تَتَّقُونَ ﴿٨٧﴾ قُلْ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَ

سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ ﴿٨٩﴾ ﴾ [5] (المؤمنون:

فلم يكن المشركون يعتقدون أن الأصنام هي التي

شؤونه، بل كانوا يعتقدون أن ذلك مـن خصـائص

أوثانهم التي يدعون من دون الله مخلوقة لا تملك لأنف

ى لقد كـان المشـركون زمن

كهم به من جهـة العبادة حيث

ون بهم حاجاتهم وطلباتهم.

ى إقـرار المشـركين بربوبية

﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ

نَ ﴿٦١﴾ ﴾ [2] (العنكبوت: 61)،

ءً فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِ مَوْتِهَا

﴾ [3] (العنكبوت: 63)، وقوله

ونَ ﴿٨٧﴾ ﴾ [4] (الزخرف: 87)،

مُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا

لْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا

لَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾

84- 89).

تنزل الغيث وترزق العالم وتدبر

ن الـرب سبحانه، ويقرون أن

سها ولا لعابديها ضرا ولا نفعا

ولا تبصر، ويقرون أن الله هو

استقلالا ولا موتا ولا حياة ولا نشورا، ولا تسمع

(1) انظر : تفسير ابن جرير (7 / 312– 313) .

(2) سورة العنكبوت آية : 61 .

(3) سورة العنكبوت آية : 63 .

(4) سورة الزخرف آية : 87 .

(5) سورة المؤمنون آية : 84 – 89 .

المتفرد بذلك لا شريك له، ليس إليهم ولا إلى أوثانهم شيء من ذلك، وأنه سبحانه الخالق وما عداه مخلوق والرب ومـــا عداه مربوب، غير أنهم جعلوا له من خلقه شركاء ووسائط، يشفعون لهـــم بزعمهم عند الله ويقربونهم إليه زلفى؛ ولذا قال الله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَ مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ ﴾ [1] (الزمـــر: 3)، أي ليشفعوا لهم عند الله في نصرهم ورزقهم وما ينوبهم من أمر الدنيا.

ومع هذا الإقرار العام من المشركين لله بالربوبية إلا أنه لم يدخلـــهم في الإسلام بل حكم الله فيهم بأنهم مشركون كافرون وتوعدهم بالنار والخلـــود فيها واستباح رسوله ﷺ دماءهم وأموالهم لكونهم لم يحققـــوا لازم توحيـــد الربوبية وهو توحيد الله في العبادة.

وبهذا يتبين أن الإقرار بتوحيد الربوبية وحده دون الإتيان بلازمه توحيد الألوهية لا يكفي ولا ينجي من عذاب الله، بل هو حجة بالغة على الإنسان تقتضي إخلاص الدين لله وحده لا شريك له، وتستلزم إفـــراد الله وحـــده بالعبادة. فإذا لم يأت بذلك فهو كافر حلال الدم والمال.

(1) سورة الزمر آية : 3 .

المبحث الثالث: مظاهر الانحراف في توحيد الربوبية

بالرغم من أن توحيد الربوبية أمر مركوز في الفطر، مجبولة عليه النفوس، متكاثرة على تقريره الأدلة، إلا أنه وجد في الناس من حصل عنده انحراف فيه، ويمكن تلخيص مظاهر الانحراف في هذا الباب فيما يلي:

1 – جحد ربوبية الله أصلًا وإنكار وجوده سبحانه، كما يعتقد ذلك الملاحدة الذين يسندون إيجاد هذه المخلوقات إلى الطبيعة، أو إلى تقلب الليل والنهار، أو نحو ذلك؛ ﴿ وَقَالُواْ مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ ﴾ [1] (الجاثية: 24).

2– جحد بعض خصائص الرب سبحانه وإنكار بعض معاني ربوبيته، كمن ينفي قدرة الله على إماتته أو إحيائه بعد موته، أو جلب النفع له أو دفع الضر عنه، أو نحو ذلك.

3– إعطاء شيء من خصائص الربوبية لغير الله سبحانه، فمن اعتقد وجود متصرف مع الله ﷻ في أي شيء من تدبير الكون من إيجاد أو إعدام أو إحياء أو إماتة أو جلب خير أو دفع شر أو غير ذلك من معاني الربوبية فهو مشرك بالله العظيم.

(1) سورة الجاثية آية : 24 .

الفصل الثاني: توحيد الألوهية

الألوهية مشتقة من اسم الإله، أي المعبود المطاع، فالإله اسم من أسماء الله الحسنى، والألوهية صفة من صفات الله العظيمة، فهو سبحانه المألوه المعبود الذي يجب أن تأله القلوب وتخضع له وتذل وتنقاد؛ لأنه سبحانه الرب العظيم، الخالق لهذا الكون، المدبر لشؤونه، الموصوف بكل كمال، المنزه عن كل نقص، ولهذا فإن الذل والخضوع لا ينبغي إلا له، فحيث كان متفردا بالخلق والإنشاء والإعادة لا يشركه في ذلك أحد وجب أن ينفرد وحده بالعبادة دون سواه لا يشرك معه في عبادته أحد.

فتوحيد الألوهية هو إفراد الله وحده بالعبادة، وذلك بأن يعلم العبدُ علمَ اليقِين أن الله وحده هو المألوه المعبود على الحقيقة، وأن صفات الألوهية ومعانيها ليست موجودة في أحد من المخلوقات ولا يستحقها إلا الله تعالى، فإذا علم العبد ذلك واعترف به حقا أفرد الله بالعبادة كلها الظاهرة والباطنة، فيقوم بشرائع الإسلام الظاهرة كالصلاة والزكاة والصوم والحج والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وبرِّ الوالدين وصلة الأرحام، ويقوم بأصوله الباطنة من الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره، لا يقصد بشيء من ذلك غرضا من الأغراض غير رضا ربه وطلب ثوابه.

وفي هذا الفصل سيتم تناول جملةٍ من المباحث المهمة المتعلقة بهذا النوع من التوحيد.

المبحث الأول: أدلته، وبيان أهميته

المطلب الأول: أدلّته.

لقد تضافرت النصوص وتظاهرت الأدلة علـى وجـوب إفـراد الله بال
وتنوعت في دلالتها على ذلك:

1 – تارة بالأمر به، كما في قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي
وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [1] (البقـرة: 21)، وقولـه: ﴿ وَاعْبُدُو
تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ﴾ [2] (النساء: 36)، وقوله: ﴿ وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْ
إِيَّاهُ ﴾ [3] (الإسراء: 23)، ونحوها من الآيات.

2 – وتارة ببيان أنه الأساس لوجود الخليقة والمقصود من إيجاد الثقلين،
تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [4] (الذاريات: 56).

3 – وتارة ببيان أنه المقصود من بعثة الرسل كمـا في قولـه تعـالى:
بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾ [5] (النحـل
وقوله: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَ
﴾ [6] (الأنبياء: 25).

(1) سورة البقرة آية : 21 .

(2) سورة النساء آية : 36 .

(3) سورة الإسراء آية : 23 .

(4) سورة الذاريات آية : 56 .

(5) سورة النحل آية : 36 .

(6) سورة الأنبياء آية : 25 .

4 – وتارة ببيان أنه المقصود من إنزال الكتب الإلهية، كما في قوله تعالى: ﴿ يُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ أَنْ أَنذِرُوٓاْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱتَّقُونِ ﴾ [1] (النحل: 2).

5 – وتارة ببيان عظيم ثواب أهله وما أعد لهم من أجور عظيمة ونعم كريمة في الدنيا والآخرة، كما قال الله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴾ [2] (الأنعام: 82).

6 – وتارة بالتحذير من ضده، وبيان خطورة مناقضته، وذكر ما أعد سبحانه من عقاب أليم لمن تركه، كقوله تعالى: ﴿ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴾ [3] (المائدة: 72)، وقوله تعالى: ﴿ وَلَا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتُلْقَىٰ فِى جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا ﴾ [4] (الإسراء: 39).

إلى غير ذلك من أنواع الأدلة المشتملة على تقرير التوحيد والدعوة إليه والتنويه بفضله وبيان ثواب أهله وعظم خطورة مخالفته.

والسنة النبوية كذلك مليئة بالأدلة على هذا التوحيد وأهميته، من ذلك:

1 – ما رواه البخاري في صحيحه عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم « يا معاذ أتدري ما حق الله على العباد ؟ قال: الله ورسوله أعلم. قال: أن يعبدوه ولا

(1) سورة النحل آية : 2 .
(2) سورة الأنعام آية : 82 .
(3) سورة المائدة آية : 72 .
(4) سورة الإسراء آية : 39 .

يشركوا به شيئا، أتدري ما

يعذبهم ﴾ (1) (2) .

2 – وعن ابن عباس

﴿ إنك تقدم على قوم من أه

الله تعالى فإذا عرفوا ذ

صلوات ﴾ (3) ....، الحديث

3 – وعن ابن مسعود

يـدعو من دون الله نـدًّا د

4 – وعن جابر بن عبد

به شيئا دخل الجنة، ومن

مسلم (8) .

والأحاديث في هذا الباب

المطلب الثاني بيان أهميته

(1) البخاري التوحيد (6938) ،
(4296) ، أحمد (230/5) .

حقهم عليه ؟ قال: الله ورسوله أعلم. قال: أن لا

قال: لما بعث النبي ﷺ معاذا نحو اليمن قال لـه:

ل الكتاب فليكـن أول مـا تدعوهـم إلى أن يوحدوا

لك فأخبرهم أن الله فـرض عليهـم خمـس

، رواه البخاري (4).

أن رسـول الله ﷺ قـال: ﴿ مـن مـات وهـو

ل النار ﴾ (5) ، رواه البخاري (6) .

الله رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: ﴿ من لقي الله لا يشرك

لقيه يشرك به شـيئا دخـل النـار ﴾ (7) ، رواه

كثيرة.

وأنه أساس دعوة الرسل

مسلم الإيمان (30) ، الترمذي الإيمان (2643) ، ابن ماجه الزهد

(2) صحيح البخاري (7373) .
(3) البخاري المغازي (4090) ، مسلم الإيمان (19) ، الترمذي الزكاة (625) ، النسائي الزكاة (2435) ، أبو داود الزكاة (1584) ، ابن ماجه الزكاة (1783) ، أحمد (233/1) ، الدارمي الزكاة (1614) .
(4) صحيح البخاري (7372) .
(5) البخاري تفسير القرآن (4227) ، مسلم الإيمان (92) ، أحمد (443/1) .
(6) صحيح البخاري (4497) .
(7) البخاري العلم (129) ، مسلم الإيمان (32) ، أحمد (244/3) .
(8) صحيح مسلم (93) .

المطلب الثاني: بيان أهميته وأنه أساس دعوة الرسل.

لا ريب أن توحيد الألوهية هو أعظم الأصول على الإطلاق وأكملها وأفضلها وألزمها لصلاح الإنسانية، وهو الذي خلق الله الجن والإنس لأجله، وخلق المخلوقات وشرع الشرائع لقيامه، وبوجوده يكون الصلاح، وبفقده يكون الشر والفساد، ولذا كان هذا التوحيد زبدة دعوة الرسل وغاية رسالتهم وأساس دعوتهم، يقول الله تبارك وتعالى: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ ﴾ [1] (النحل: 36)، وقال: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴾ [2] (الأنبياء: 25).

وقد دل القرآن الكريم في مواطن عديدة أن توحيد الألوهية هو مفتاح دعوة الرسل، وأن كل رسول يبعثه الله يكون أول ما يدعو قومه إليه توحيد الله وإخلاص العبادة له، قال الله تعالى: ﴿ ۞ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ﴾ [3] (الأعراف: 65)، وقال تعالى: ﴿ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ﴾ [4] (الأعراف: 73)، وقال تعالى: ﴿ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ﴾ [5] (الأعراف: 85).

(1) سورة النحل آية : 36 .

(2) سورة الأنبياء آية : 25 .

(3) سورة الأعراف آية : 65 .

(4) سورة الأعراف آية : 73 .

(5) سورة الأعراف آية : 85 .

المطلب الثالث: بيان أنه محور الخصومة بين الرسل وأممهم.

تقدم أن توحيد العبادة هو مفتتح دعوات الرسل جميعهم، فما من رسول بعثه الله إلا وكان أول ما يدعو قومه إليه هو توحيد الله، ولذا كانت الخصومة بين الأنبياء وأقوامهم في ذلك، فالأنبياء يدعوهم إلى توحيد الله وإخلاص العبادة له، والأقوام يصرون على البقاء على الشرك وعبادة الأوثان إلا من هداه الله منهم.

قال الله تعالى عن قوم نوح عليه السلام: ﴿ وَقَالُواْ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمۡ وَلَا تَذَرُنَّ وَدّٗا وَلَا سُوَاعٗا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسۡرٗا ﴿٢٣﴾ وَقَدۡ أَضَلُّواْ كَثِيرٗاۖ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا ضَلَٰلٗا ﴿٢٤﴾ ﴾ [1] (نوح: 23-24)، **وقال عن قوم هود عليه السلام:** ﴿ قَالُوٓاْ أَجِئۡتَنَا لِتَأۡفِكَنَا عَنۡ ءَالِهَتِنَا فَأۡتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٢٢﴾ ﴾ [2] (**الأحقاف**: 22)، ﴿ قَالُواْ يَٰهُودُ مَا جِئۡتَنَا بِبَيِّنَةٖ وَمَا نَحۡنُ بِتَارِكِيٓ ءَالِهَتِنَا عَن قَوۡلِكَ وَمَا نَحۡنُ لَكَ بِمُؤۡمِنِينَ ﴿٥٣﴾ ﴾ [3] (**هود**: 53).

وقال عن قوم صالح عليه السلام: ﴿ قَالُواْ يَٰصَٰلِحُ قَدۡ كُنتَ فِينَا مَرۡجُوّٗا قَبۡلَ هَٰذَآۖ أَتَنۡهَىٰنَآ أَن نَّعۡبُدَ مَا يَعۡبُدُ ءَابَآؤُنَا وَإِنَّنَا لَفِي شَكّٖ مِّمَّا تَدۡعُونَآ إِلَيۡهِ مُرِيبٖ ﴿٦٢﴾ ﴾ [4] (**هود**: 62).

وقال عن قوم شعيب عليه السلام: ﴿ قَالُواْ يَٰشُعَيۡبُ أَصَلَوٰتُكَ تَأۡمُرُكَ أَن نَّتۡرُكَ مَا يَعۡبُدُ ءَابَآؤُنَآ أَوۡ أَن نَّفۡعَلَ فِيٓ أَمۡوَٰلِنَا مَا نَشَٰٓؤُاْۖ إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلۡحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ ﴿٨٧﴾ ﴾ [5] (**هود**:

.(87

(1) سورة نوح آية : 23 ، 24 .
(2) سورة الأحقاف آية : 22 .
(3) سورة هود آية : 53 .
(4) سورة هود آية : 62 .
(5) سورة هود آية : 87 .

فـــار قريـــش: ﴿ وَعَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ ۖ وَقَالَ ٱلْكَـٰفِرُونَ هَـٰذَا

أَجَعَلَ ٱلْـَٔالِهَةَ إِلَـٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَـٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ۝ وَٱنطَلَقَ ٱلْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ

ءَالِهَتِكُمْ ۖ إِنَّ هَـٰذَا لَشَىْءٌ يُرَادُ ۝ مَا سَمِعْنَا بِهَـٰذَا فِى ٱلْمِلَّةِ ٱلْـَٔاخِرَةِ إِنْ هَـٰذَآ إِلَّا

(ص: 4-7).

وَإِذَا رَأَوْكَ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَـٰذَا ٱلَّذِى بَعَثَ ٱللَّهُ رَسُولًا ۝ إِن كَادَ

لَوْلَآ أَن صَبَرْنَا عَلَيْهَا ۚ وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ مَنْ أَضَلُّ

مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَـٰهَهُۥ هَوَىٰهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ۝ أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ

لُونَ ۚ إِنْ هُمْ إِلَّا كَٱلْأَنْعَـٰمِ ۖ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ۝ ﴾ [2] (الفرقان: 41-

ص وما جاء في معناها تدل أوضح دلالـــة أن المعـــترك والخصومة بين

إنما كان حول توحيد العبادة والدعـــوة إلى إخلاص الدين لله.

الصحيح أن النبي ﷺ قال: ﴿ أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن

ن محمدا رسول الله ويقيمـــوا الصـــلاة ويؤتـــوا الزكاة، فإذا فعلوا

دماءهم وأموالهم إلا بحـــق الإســـلام وحسابهم على الله ﴾ [3] [4].

صحيح أيضا عن النبي ﷺ قال: ﴿ من قال لا إله إلا الله وكفر بما يعبد

ماله ودمه وحسابه على الله ﴾ [5] [6]

وقال عن ك

سَـٰحِرٌ كَذَّابٌ ۝

ٱمْشُواْ وَٱصْبِرُواْ عَلَىٰ

ٱخْتِلَـٰقٌ ۝ ﴾ [1]

وقـــال: ﴿

لَيُضِلُّنَا عَنْ ءَالِهَتِنَا

سَبِيلًا ۝ أَرَءَيْتَ

يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُ

.(44

فهذه النصوص

الأنبياء وأقوامهم

وقد ثبت في

لا إله إلا الله وأ

ذلك عصموا مني

وثبت في الص

من دون الله حرم

. 7 - 4

ة : 41 - 44 .

25) ، مسلم الإيمان (22) .

برقم (52) ، وصحيح مسلم برقم (22) .

2) ، أحمد (394/6) .

قم (23) .

(1) سورة ص آية : 4

(2) سورة الفرقان آية

(3) البخاري الإيمان (

(4) صحيح البخاري

(5) مسلم الإيمان (23

(6) صحيح مسلم برق

المبحث الثاني: وجوب إفراد الله بالعبادة، وتحته مطالب

المطلب الأول: معنى العبادة والأصول التي تُبنى عليها.

العبادة في اللغة: الذل والخضوع، يقال: بعير معبد، أي: مذلل، وطريق معبد: إذا كان مذللا قد وطئته الأقدام.

وشرعا: هي اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة.

وسيأتي ما يوضح ذلك عند ذكر بعض أنواع العبادة.

وهي تبنى على ثلاثة أركان:

الأول: كمال الحب للمعبود سبحانه، كما قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ﴾ [1] (البقرة: 165).

الثاني: كمال الرجاء، كما قال تعالى: ﴿ وَيَرۡجُونَ رَحۡمَتَهُۥ ﴾ [2] (الإسراء: 57).

الثالث: كمال الخوف من الله سبحانه، كما قال تعالى: ﴿ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ ﴾ [3] (الإسراء: 57).

وقد جمع الله سبحانه بين هذه الأركان الثلاثة العظيمة في فاتحة الكتاب في قوله سبحانه: ﴿ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾ ﴾ [4] ﴿ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣﴾ ﴾ [5] ﴿ مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ﴿٤﴾ ﴾ [6] ، فالآية الأولى فيها المحبة؛ فإن الله منعم، والمنعم يُحبُّ على

(1) سورة البقرة آية : 165 .

(2) سورة الإسراء آية : 57 .

(3) سورة الإسراء آية : 57 .

(4) سورة الفاتحة آية : 2 .

(5) سورة الفاتحة آية : 3 .

(6) سورة الفاتحة آية : 4 .

در إنعامه، والآية الثانية فيها الرجاء، فالمتصف بالرحمة ترجى رحمتـــه، والآية الثالثة الخوف، فمالك الجزاء والحساب يخاف عذابه.

ولهذا قال تعالى عقب ذلك: ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ ﴾ [1] ، أي: أعبدك يا رب هـــذه ث: بمحبتك التي دل عليها: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢ ﴾ [2] ، ورجائك ذي دل عليه: ﴿ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣ ﴾ [3] ، وخوفـــك الـــذي دل عليـــه: ﴿ ك يَوْمِ ٱلدِّينِ ۝٤ ﴾ [4] .

والعبادة لا تقبل إلا بشرطين:

1 – الإخلاص فيها للمعبود ؛ فإن الله لا يقبل من العمل إلا الخـــالص لوجهه حانه، قال تعالى: ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ﴾ [5] (البينة: 5)، وقَال : ﴿ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ ﴾ [6] (الزمر: 3)، وقال تعـــالى: ﴿ قُلِ ٱللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا ينِى ۝١٤ ﴾ [7] (الزمر: 14).

2 – المتابعة للرسول صلى الله عليه وسلم؛ فإن الله لا يقبل من العمل إلا الموافق ي الرسول ﷺ قال الله تعالى: ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُواْ

سورة الفاتحة آية : 5 .
سورة الفاتحة آية : 2 .
سورة الفاتحة آية : 3 .
سورة الفاتحة آية : 4 .
سورة البينة آية : 5 .
سورة الزمر آية : 3 .
سورة الزمر آية : 14 .

(1) س
(2) س
(3) س
(4) س
(5) س
(6) س
(7) س

لا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ
تَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾ ﴾ [2] (النساء: 65).
ا ما ليس منه فهو رد [3] [4] (أي مردود

ا لله صوابا على سنة رسول الله ﷺ قال
تعالى: ﴿ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً
وأصوبه "، قيل: يا أبا علي، وما أخلصه
ا ولم يكن صوابا لم يقبل، وإذا كان صوابا
صوابا، والخالص ما كان لله، والصواب ما

قوله تعالى في آخر سورة الكهف: ﴿ قُلْ إِنَّمَا
ۚ فَمَن كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا
هف: 110).

ۚ ﴾ [1] (الحشر: 7)، وقال تعالى: ﴿ فَلَا
بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ
وقوله ﷺ من أحدث في أمرنا هذا
عليه).

فلا عبرة بالعمل ما لم يكن خالص
الفضيل بن عياض رحمه الله في قوله
ۗ ﴾ [5] (هود: 7، الملك: 2): " أخلصه
وأصوبه ؟ قال: " إن العمل إذا كان خالص
ولم يكن خالصا لم يقبل حتى يكون خالصا
كان على السنة " [6] .

ومن الآيات الجامعة لهذين الشرطين ق
أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ
وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴿١١٠﴾ ﴾ [7] (الكه

(1) سورة الحشر آية : 7 .
(2) سورة النساء آية : 65 .
(3) البخاري الصلح (2550) ، مسلم الأقضية (1718) ، أبو داود السنة (4606) ، ابن ماجه المقدمة (14) ، أحمد (270/6) .
(4) صحيح البخاري برقم (2697) .
(5) سورة هود آية : 7 .
(6) حلية الأولياء : (8 / 95) .
(7) سورة الكهف آية : 110 .

المطلب الثاني: ذكر بعض أنواع العبادة.

العبادة أنواعها كثيرة، فكل عمل صالح يحبه الله ويرضاه قولي أو فعلـــي ظاهر أو باطن فهو نوع من أنواعها وفرد من أفرادها، وفيما يلي ذكر بعـــض الأمثلة على ذلك:

1 - فمن أنواع العبادة: الدعاء، بنوعيه دعاء المسألة، ودعاء العبادة.

قـــال الله تعـــالى: ﴿ فَٱدۡعُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ﴾ [1] (غافر: 14)، وقال تعالى: ﴿ وَأَنَّ ٱلۡمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدۡعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدٗا ١٨ ﴾ [2] (الجن: 18)، وقال تعـــالى: ﴿ وَمَنۡ أَضَلُّ مِمَّن يَدۡعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسۡتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَهُمۡ عَن دُعَآئِهِمۡ غَٰفِلُونَ ٥ وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُواْ لَهُمۡ أَعۡدَآءٗ وَكَانُواْ بِعِبَادَتِهِمۡ كَٰفِرِينَ ٦ ﴾ [3] (الأحقاف: 5- 6).

فمن دعا غير الله ﷻ بشيء لا يقدر عليه إلا الله فهو مشرك كـــافر ســـواء كان المدعو حيا أو ميتا، ومن دعا حيا. بما يقدر عليه مثل أن يقـــول: يا فلان أطعمني، أو يا فلان اسقني، ونحو ذلك فلا شيء عليه، ومن دعا ميتا أو غائبا. بمثل هذا فإنه مشرك؛ لأن الميت والغائب لا يمكن أن يقوم. بمثل هذا.

والدعاء نوعان: دعاء المسألة ودعاء العبادة.

فدعاء المسألة، هو سؤال الله من خيري الدنيا والآخرة، ودعاء العبـــادة يدخل فيه كل القربات الظاهرة والباطنة، لأن المتعبد لله طالب، بلسان مقاله ولسان حاله من

ربه قبول تلك العبادة والإثابة عليها.

(1) سورة غافر آية : 14 .
(2) سورة الجن آية : 18 .
(3) سورة الأحقاف آية : 5 ، 6 .

وكل ما ورد في القرآن من الأمر بالدعاء والنهي عن دعاء غير الله والثناء على الداعين يتناول دعاء المسألة ودعاء العبادة.

2، 3، 4 – ومن أنواع العبادة: المحبة والخوف والرجاء، وقد تقدم الكلام عليها وبيان أنها أركان للعبادة.

5 – ومن أنواعها: التوكل، وهو الاعتماد على الشيء.

والتوكل على الله: هو صدق تفويض الأمر إلى الله تعالى اعتمادا عليه وثقة به مع مباشرة ما شرع وأباح من الأسباب لتحصيل المنافع ودفع المضار، قال الله تعالى: ﴿ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ۝٢٣ ﴾ [1] (المائدة: 23)، وقال تعالى: ﴿ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ﴾ [2] (الطلاق: 3).

6، 7، 8– ومن أنواع العبادة: الرغبة والرهبة والخشوع.

فأما الرغبة: فمحبة الوصول إلى الشيء المحبوب، والرهبة: الخوف المثمر للهرب من المخوف، والخشوع: الذل والخضوع لعظمة الله بحيث يستسلم لقضائه الكوني والشرعي، قال الله تعالى في ذكر هذه الأنواع الثلاثة من العبادة: ﴿ إِنَّهُمْ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ ۝٩٠ ﴾ [3] (الأنبياء: 90).

9 – ومن أنواعها: الخشية، وهي الخوف المبني على العلم بعظمة من يخشاه

وكمال سلطانه، قال الله تعالى: ﴿ مِنۡهُمۡ فَلَا تَخۡشَوۡهُمۡ ﴾ [4] (البقرة: 150).

﴿ فَلَا تَخۡشَوۡهُمۡ وَٱخۡشَوۡنِۚ ﴾ [1] (المائدة: 3).

---

(1) سورة المائدة آية : 23 .

(2) سورة الطلاق آية : 3 .

(3) سورة الأنبياء آية : 90 .

(4) سورة البقرة آية : 150 .

هي الرجوع إلى الله تعالى بالقيام بطاعته واجتناب

أَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمۡ وَأَسۡلِمُواْ لَهُۥ ﴾ [2] (الزمر: 54).

ة ، وهي طلب العون من الله في تحقيق أمور الدين

إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ﴾ [3] ، وقال ﷺ في

تعنت فاستعن بالله [4] [5] .

ة ، وهي طلب الإعاذة والحماية من المكروه، قال الله

مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ﴾ [6] وقال تعالى ﴿ قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ

ٱلنَّاسِ مِن شَرِّ ٱلۡوَسۡوَاسِ ٱلۡخَنَّاسِ ﴾ [7] .

، وهو طلب الغوث، وهو الإنقاذ من الشدة والهلاك،

نَّ رَبَّكُمۡ فَٱسۡتَجَابَ لَكُمۡ ﴾ [8] (الأنفال: 9).

هو إزهاق الروح بإراقة الدم على وجه الخصوص

﴿ قُلۡ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحۡيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ

وقال تعالى: ﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنۡحَرۡ ﴾ [1] (الكوثر:

10- ومنها الإنابة ، و

معصيته، قال الله تعالى: ﴿ وَأَ

11 - ومنها: الاستعانة

والدنيا، قال الله تعالى: ﴿

وصيته لابن عباس: « إذا اس

12 - ومنها: الاستعاذة

تعالى: ﴿ قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلۡفَلَقِ

ٱلنَّاسِ مَلِكِ ٱلنَّاسِ إِلَٰهِ ٱ

13 - ومنها الاستغاثة

قال الله تعالى: ﴿ إِذۡ تَسۡتَغِيثُونَ

14 - ومنها الذبح ، وه

تقربا إلى الله، قال الله تعالى:

﴾ [9] (الأنعام: 162)،

2).

---

(1) سورة المائدة آية : 3 .

(2) سورة الزمر آية : 54 .

(3) سورة الفاتحة آية : 5 .

(4) الترمذي صفة القيامة والرقائق والورع (2516) ، أحمد (308/1) .

(5) سنن الترمذي (2516) ، ومسند أحمد (1 / 307) ، وقد حسن الحديث الترمذي وصححه الحاكم .

(6) سورة الفلق آية : 1 ، 2 .

(7) سورة الناس آية : 1 – 4 .

(8) سورة الأنفال آية : 9 .

(9) سورة الأنعام آية : 162 .

15 – ومنها النذر ، وهو إلزام المرء نفسه بشيء ما، أو طاعة لله غير واجبة،

قال الله تعالى: ﴿ يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا ﴾ [2] (الإنسان: 7).

فهذه بعض الأمثلة على أنواع العبادة، وجميع ذلك حق لله وحده لا يجوز صرف شيء منه لغير الله.

والعبادة بحسب ما تقوم به من الأعضاء على ثلاثة أقسام:

القسم الأول: عبادات القلب، كالمحبة والخوف والرجاء والإنابة والخشية والرهبة والتوكل ونحو ذلك.

القسم الثاني: عبادات اللسان، كالحمد والتهليل والتسبيح والاستغفار وتلاوة القرآن والدعاء ونحو ذلك.

القسم الثالث: عبادات الجوارح، كالصلاة والصيام والزكاة والحج والصدقة والجهاد، ونحو ذلك.

(1) سورة الكوثر آية : 2 .

(2) سورة الإنسان آية : 7 .

المبحث الثالث: حماية المصطفى ﷺ جناب التوحيد

لقد كان النبي ﷺ حريصا أشد الحرص على أمته؛ لتكون عزيزة منيعة محققة لتوحيد الله ﷻ مجانبة لكل الوسائل والأسباب المفضية لما يضاده ويناقضه، قال الله تعالى: ﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾ ﴾ [1] (التوبة: 128).

وقد أكثر ﷺ في النهي عن الشرك وحذر وأنذر وأبدأ وأعاد وخص وعم في حماية الحنيفية السمحة ملة إبراهيم التي بعث بها من كل ما قد يشوبها من الأقوال والأعمال التي يضمحل معها التوحيد أو ينقص، وهذا كثير في السنة الثابتة عنه ﷺ فأقام الحجة، وأزال الشبهة، وقطع المعذرة، وأبان السبيل.

وفي المطالب التالية عرض يتبين من خلاله حماية المصطفى ﷺ حمى التوحيد وسده كل طريق يفضي إلى الشرك والباطل.

المطلب الأول: الرقى.

أ- تعريفها: الرقى جمع رقية، وهي القراءة والنفث طلبا للشفاء والعافية، سواء كانت من القرآن الكريم أو من الأدعية النبوية المأثورة.

ب- حكمها: الجواز، ومن الأدلة على ذلك ما يلي:

فعن عوف بن مالك رضي الله عنه قال: « كنا نرقي في الجاهلية فقلنا: يا رسول الله كيف ترى في ذلك ؟ فقال: اعرضوا علي رقاكم، لا بأس بالرقى ما لم يكن فيه

شرك ﴾ [2]، رواه مسلم [3] .

(1) سورة التوبة آية : 128 .
(2) مسلم السلام (2200) ، أبو داود الطب (3886) .
(3) صحيح مسلم برقم (2200) .

وعن أنس بن مالك ﷺ قال: ﴿ رخص رسول الله ﷺ في الرقية من العين [1] والحمة [2] والنملة ﴾ [3] "، رواه مسلم [4] .

وعن جابر بن عبد الله ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ ﴿ من استطاع أن ينفع أخاه فليفعل ﴾ [5] ، رواه مسلم [6] .

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: ﴿ كان رسول الله ﷺ إذا اشتكى منا إنسان مسحه بيمينه ثم قال: أذهب الباس رب الناس واشف أنت الشافي لا شفاء إلا شفاؤك شفاء لا يغادر سقما ﴾ [7] ، رواه البخاري ومسلم [8] .

ج- شروطها: ولجوازها وصحتها شروط ثلاثة:

الأول: أن لا يعتقد أنها تنفع لذاتها دون الله، فإن اعتقد أنها تنفع بذاتها من دون الله فهو محرم، بل هو شرك، بل يعتقد أنها سبب لا تنفع إلا بإذن الله.

الثاني: أن لا تكون بما يخالف الشرع كما إذا كانت متضمنة دعاء غير الله أو استغاثة بالجن وما أشبه ذلك، فإنها محرمة، بل شرك.

الثالث: أن تكون مفهومة معلومة، فإن كانت من جنس الطلاسم والشعوذة فإنها لا تجوز.

(1) " العين " إصابة العائن غيره بعينه بقدر الله .

(2) " الحمة " بحا... ء مهملة مضمومة ثم ميم مخففة : وهي السم ، ومعناه : أذن في الرقية من كل ذات سم ، مثل لدغة الثعبان ... ، أو العقرب أو نحوهما .

(3) " النملة " بفتح ... النون وإسكان الميم : قروح تخرج من الجنب .

(4) صحيح مسلم بر... قم (2196) .

(5) مسلم السلام (219... (2198) ، أحمد (302/3) .

(6) صحيح مسلم بر... قم (2199) .

(7) البخاري الطب ... (5418) ، مسلم السلام (2191) ، ابن ماجه الطب (3520) ، أحمد (45/6) .

(8) صحيح البخاري ... برقم (5743) ، وصحيح مسلم برقم (2191) .

وقد سئل الإمام مالك رحمه الله: أيرقي الرجل ... ويسترقي ؟ فقال: " لا بأس بذلك، بالكلام الطيب ".

د- الرقية الممنوعة: كل رقية لم تتوفر فيها الش... روط المتقدمة فإنها محرمة ممنوعة، كأن يعتقد الراقي أو المرقي أنها تنفع وتؤثر بذاتها، ... أو تكون مشتملة على ألفاظ شركية وتوسلات كفرية وألفاظ بدعية، ونحو ذلـ... ك، أو تكون بألفاظ غير مفهومة كالطلاسم ونحوها.

المطلب الثاني: التما... ئم.

أ- تعريفها: التمائم جمع تميمة، وهي ما يعلق ع... لى العنق وغيره من تعويذات أو خرزات أو عظام أو نحوها لجلب نفع أو دفع ض... ـر، وكان العرب في الجاهلية يعلقونها على أولادهم يتقون بها العين بزعمهم الب... اطل.

ب- حكمها: التحريم،

بل هي نوع من أنواع الشرك؛ لما فيها من التعلق ... بغير الله؛ إذ لا دافع إلا الله، ولا يطلب دفع المؤذيات إلا بالله وأسمائه وصفاته.

عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ ... يقول: « إن الرقى والتمائم والتولة شرك » [1]، رواه أبو داود والحاكم [2].

وعن عبد الله بن عكيم رضي الله عنه مرفوعا: « من تعلق ... شيئا وكل إليه » [3]، رواه أحمد والترمذي والحاكم [4].

. (381/1

ه الحاكم ووافقه الذهبي .

ستدرك الحاكم (4 / 241) وصححه

(1) أبو داود الطب (3883) ، ابن ماجه الطب (3530) ، أحمد (

(2) سنن أبي داود برقم (3883) ، ومستدرك (4 / 241) وصحح

(3) الترمذي الطب (2072) .

(4) مسند أحمد (4 /310) ، وسنن الترمذي برقم (2072) ، وم

الحاكم .

وعن عقبة بن عامر رضي الله عنه مرفوعا: ﴿من تعلق تميمة فلا أتم الله له، ومن تعلق ودعة فلا ودع الله له﴾[1]، رواه أحمد والحاكم[2] .

وعن عقبة بن عامر رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ﴿من علق تميمة فقد أشرك﴾ [3] ، رواه أحمد[4] . فهذه النصوص وما في معناها في التحذير من الرقى الشركية التي كانت هي غالب رقى العرب فنهي عنها لما فيها من الشرك والتعلق بغير الله تعالى.

ج- وإذا كان المعلق من القرآن الكريم، فهذه المسألة اختلف فيها أهل العلم، فذهب بعضهم إلى جواز ذلك، ومنهم من منع ذلك، وقال لا يجوز تعليق القرآن للاستشفاء، وهو الصواب لوجوه أربعة:

1- عموم النهي عن تعليق التمائم، ولا مخصص للعموم.

2- سدا للذريعة، فإنه يفضي إلى تعليق ما ليس من القرآن.

3- أنه إذا علق فلا بد أن يمتهن المعلق بحمله معه في حال قضاء الحاجة والاستنجاء، ونحو ذلك.

4- أن الاستشفاء بالقرآن ورد على صفة معينة، وهي القراءة به على المريض فلا تتجاوز.

المطلب الثالث لبس الحلقة والخيط ونحوها

(1) أحمد (154/4) .
(2) مسند أحمد (4/ 154) ، ومستدرك الحاكم (4/ 240) ، وصححه الحاكم ووافقه الذهبي .
(3) أحمد (156/4) .
(4) مسند أحمد (4 / 156) ، وصححه الحاكم (4/ 244) وقال عبد الرحمن بن حسن ورواته ثقات .

المطلب الثالث: لبس الحلقة والخيط ونحوها.

أ- الحلقة قطعة مستديرة من حديد أو ذهب أو فضة أو نحاس أو نحـو ذلك،
يط معروف، وقد يجعل من الصوف أو الكتان أو نحوه، وكـانت العرب في
هلية تعلق هذا ومثله لدفع الضر أو جلب النفع أو اتقاء العـين، والله تعالى يقول:
﴿ قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَـٰشِفَـٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوْ أَرَادَنِي
مَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَـٰتُ رَحْمَتِهِۦ ۚ قُلْ حَسْبِيَ ٱللَّهُ ۖ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ
﴾ [1] (الزمر: 38)، ويقول تعالى: ﴿ قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا
كُونَ كَشْفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا ﴾ [2] (الإسراء: 56).

وعن عمران بن حصين رضي الله عنه أن النبي ﷺ رأى رجلا في يده حلقة مـن صفر
ل: ما هذه ؟ قال: من الواهنة، فقال: انـزعها؛ فإنها لا تزيـدك إلا وهنا، انبذها
ك، فإنك لو مت وهي عليك مـا أفلحـت أبـدا [3] ، رواه أحمد [4] .

وعن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه (أنه رأى رجلا في يده خيط من الحمـى فقطعه وتلا
ه تعـالى: ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴾ [5] (يوسف:
(1 . [6]

سورة الزمر آية : 38 .

سورة الإسراء آية : 56 .

ابن ماجه الطب (3531) ، أحمد (445/4) .

المسند (4 / 445) ، وقال البوصيري إسناده حسن وقال الهيثمي رجاله ثقات .

سورة يوسف آية : 106 .

تفسير ابن أبي حاتم (7 / 2207) .

(1)
(2)
(3)
(4)
(5)
(6)

و ذلك، محرم فإن اعتقد لابسها أنها مؤثرة

في توحيد الربوبية؛ لأنه اعتقد وجود خالق

مجرد سبب، ولكنه ليس مؤثرا فــهو مشرك

والتفت إلى غير ذلك بقلبه، وفعله هذا ذريعة

ورجا منها جلــب النعماء أو دفــع البلاء.

جار ونحوها

ك بالأشجار والأحجار ونحوها.

كة لا يخلو من أمرين:

معلوم مثل القرآن قال الله تعــالى: ﴿ وَهَٰذَا

155)، فمــن بركتــه هدايتــه للقلوب

هذيبه للأخلاق، إلى غير ذلــك من بركاته

روع، كالتبرك بالأشجار والأحجــار والقبور

ن الشرك.

ا مع رسول الله ﷺ إلى حنين ونحــن حدثاء

ن عندها وينوطــون بهــا أسلحتهم، يقال لها

ب- حكم لبس الحلقة والخيط ونح

بنفسها دون الله فهو مشرك شركا أكبر

مدبر مع الله تعالى الله عما يشركون.

وإن اعتقد أن الأمر لله وحده وأنها

شركا أصغر لأنه جعل ما ليس سببا سببا

للانتقال للشرك الأكبر إذا تعلق قلبه بها و

المطلب الرابع التبرك بالأشجار والأح

المطلب الرابع: التبرك

التبرك هو طلب البركة، وطلب البرك

1 - أن يكون التبرك بأمر شرعي م

كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ مُبَارَكٌ ﴾ [1] (الأنعام: 92،

وشفاؤه للصدور وإصلاحه للنفوس وته

الكثيرة.

2 - أن يكون التبرك بأمر غير مشر

والقباب والبقاع ونحو ذلك، فهذا كله من

فعن أبي واقد الليثي قال: « خرجنا

عهد بكفر، وللمشركين سدرة [2] يعكفون

رســول الله ﷺ اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط، فمررنا بسدرة، فقلنا: يـا ر

كـبر، إنها السـنن، قلتم والذي نفسي بيده ذات أنواط، فقال رسول الله ﷺ الله أكـ

﴿ ٱجۡعَل لَّنَآ إِلَـٰهٗا كَمَا لَهُمۡ ءَالِهَةٞۚ قَالَ إِنَّكُمۡ قَوۡمٞ كما قالت بنـو إسـرائيل لموسـى: ﴿

(1) سورة الأنعام آية : 92 .

(2) السدرة : شجرة ذات شوك .

تَجۡهَلُونَ ﴿١٣٨﴾ [1] (الأعـراف: 138)، لتركبن سنن مـن كـان قبلك

رواه التـرمـذي وصـححه [2] .

فقد دل هذا الحديـث على أن ما يفعله من يعتقد في الأشجار و

والأحجار ونحوها من التبرك بها والعكوف عندها والذبح لها هو الشـرك، و

في الحديث أن طلبهم كطلب بني إسرائيل لمـا قـالوا لموسى: اجعل لنا إلها

آلهة فهؤلاء طلبوا سدرة يتبركون بهـا كمـا يتبرك المشركون، وأولئك طلب

كما لهم آلهة، فيكون في كلا الطلبين منافاة للتوحيد؛ لأن التبرك بالشجر

الشرك، واتخاذ إلـه غـير الله شرك واضح.

وفي قوله ﷺ في الحديث: ﴿لتركبن سنن من كان قبلكـم﴾ [3] إشـار

شيئا من ذلك سيقع في أمته ﷺ وقد قال ذلك عليه الصلاة والسلام ناهيـا و

المطلب الخامس النهي عن أعمال تتعلق بالقبور

المطلب الخامس: النهي عن أعمال تتعلق بالقبور.

لقد كان الأمر في صدر الإسلام على منع زيارة القبور لقرب عـهدهم

حماية لحمى التوحيد وصيانة لجنابه، ولما حسن الإيمان وعظم شـأنه في الناس و

القلوب واتضحت براهين التوحيد وانكشـفت شـبهة الشرك جاءت م

زيارة القبور محددة أهدافها موضحة مقاصدها.

فعن بريدة بن الحصيب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ ﴿ نهيتكم عن زيار

فزوروها ﴾ [4] ، رواه مسلم [5] .

(1) سورة الأعراف آية : 138 .

(2) سنن الترمذي برقم (2180) .

(3) الترمذي الفتن (2180) ، أحمد (218/5) .

(4) مسلم الجنائز (977) ، النسائي الأشربة (5652) ، أبو داود الأشربة (3698) ، أحمد (50/5 ... (35 .

(5) صحيح مسلم برقم (977) .

وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال النبي ﷺ ﴿ زوروا القبور فإنها تذكر الموت ﴾ [1] [2] .

وعن أبي سعيد الخدري ﷺ قال رسول الله ﷺ ﴿ إني نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها فإن فيها عبرة ﴾ [3] [4] .

وعن أنس بن مالك ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ ﴿ كنت نهيتكم عن زيارة القبور ألا فزوروها؛ فإنها ترق القلب وتدمع العين وتذكر الآخرة، ولا تقولوا هجرا ﴾ [5] [6] .

وعن بريدة ﷺ قال: ﴿ كان رسول الله ﷺ يعلمهم إذا خرجوا إلى المقابر فكان قائلهم يقول: السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين والمسلمين، وإنا إن شاء الله بكم للاحقون، أسأل الله لنا ولكم العافية ﴾ [7] ، رواه مسلم [8] .

فهذه الأحاديث وما جاء في معناها تدل على أن مشروعية زيارة القبور بعد المنع من ذلك إنما كانت لهدفين عظيمين وغايتين جليلتين:

(1) مسلم الجنائز (976) ، النسائي الجنائز (2034) ، أبو داود الجنائز (3234) ، ابن ماجه ما جاء في الجنائز (1572) ، أحمد (2 /441) .

(2) صحيح مسلم برقم (975) .

(3) أحمد (38/3) ، مالك الضحايا (1048) .

(4) مسند أحمد (3/ 38) ، ومستدرك الحاكم (1/ 531) .

(5) أحمد (237/3) .

(6) مستدرك الحاكم (1 / 532) .

(7) مسلم الجنائز (975) ، النسائي الجنائز (2040) ، ابن ماجه ما جاء في الجنائز (1547) ، أحمد (353/5) .

(8) صحيح مسلم برقم (975) .

الأولى: التزهيد في الدنيا بتذكر الآخرة والموت والبلى، والاعتبار بـأهل القبور مما يزيد في إيمان الشخص ويق فوي يقينه ويعظم صلته بالله، ويذهـب عنه الإعراض والغفلة.

الثانية: الإحسان إلى ا لموتى بالدعاء لهم والترحم عليهم وطلب المغفـرة لهم وسؤال الله العفو عنهم.

هذا الذي دل عليه الدلي ل، ومن ادعى غير ذلـك طولـب بالحجـة والبرهان.

ثم إن السنة قد جاءت بالنهي عن أمور عديدة متعلقة بالقبور وزيارتها، صيانة للتوحيد وحماية لجنابه، يجب على كل مسلم تعلمها ليكون في أمنـة من الباطل وسلامة من الضلال، ومن ذ لك:

1 – النهي عن قول الهج ر عند زيارة القبور.

وقد تقدم قوله ﷺ ﴿ و لا تقولوا هجرا ﴾ [1] ، والمراد بالهجر كل أمر محظـور شرعا، ويأتي في مقدمة ذلك الشرك بالله بدعاء المقبورين وسؤالهم مـن دون الله والاستغاثة بهم وطلب المدد والعافية منهم، فكل ذلك من الشرك البـواح والكفر الصراح، وقد ثبت عن النب ي ﷺ أحاديث عديدة صريحة في المنع مـن ذلك والنهي عنه ولعن فاعله، ففي صحي ح مسلم عن جندب بن عبـد الله رضي الله عنه أنه قال: سمعت رسول الله ﷺ قبل أن يموت بخمس يقول: ﴿ ألا إن من كـان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم وصالحيهم م ساجد، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد إنِّي أنهاكم عن

ذلك ﴾ [2] [3] . فدعاء الأ ـــوات وســؤالهم الحاجــات وصرف شيء من العبادة

(1) النسائي الجنائز (2033) ، أبو داود الأشربة (3698) ، أحمد (355/5) .

(2) مسلم المساجد ومواضع الصلاة (532) .

(3) صحيح مسلم برقم (532) .

لهم شرك أكبر، أما العكوف عند القبور وتحـــري إجابة الدعاء عندها ومثله الصلاة في المساجد التي فيها القبور فهو من البـــدع المنكرة.

وفي الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها: أنه ﷺ قال في مرضه الـــذي لم يقم منه: ﴿لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد﴾ [1] [2] .

2 - الذبح والنحر عند القبور.

فإن كان ذلك تقربا إلى المقبورين ليقضوا حاجة للشخص فهو شـــرك أكبر وإن كان لغير ذلك فهو من البدع الخطيرة التي هي من أعظم وســائل الشرك لقوله ﷺ ﴿لا عقر في الإسلام﴾ [3] ، قال عبد الرزاق: ﴿كانوا يعقرون عند القبر بقرة أو شاة﴾ [4] [5] .

3، 4، 5، 6، 7- رفعها زيادة على التراب الخارج منـــها، وتجصيصها، والكتابة عليها، والبناء عليها، والقعود عليها.

فكل ذلك من البدع التي ضلت بها اليهود والنصارى وكانت من أعظم ذرائع الشرك، فعن جابر ﷺ قال: ﴿نهى رسول الله ﷺ أن يجصص القـــبر، وأن يقعد عليه،

في المساجد (703) ، أحمد

(1) البخاري الجنائز (1324) ، مسلم المساجد ومواضع الصلاة (531) ، النسا
(146/6) ، الدارمي الصلاة (1403) .
(2) صحيح البخاري برقم (1330) ، وصحيح مسلم برقم (531) .
(3) أبو داود الجنائز (3222) ، أحمد (197/3) .
(4) أبو داود الجنائز (3222) ، أحمد (197/3) .
(5) سنن أبي داود لرقم (3222) .

وأن يبنى عليه، وأن يزاد عليه، أو يكتب عليه . [1] . رواه مسلم، وأبو داود، والحاكم [2] .

8 – الصلاة إلى القبور وعندها.

فعن أبي مرثد الغنوي قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: لا تصلوا إلى القبور، ولا تجلسوا عليها))، رواه مسلم [3] .

وعن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ الأرض كلها مسجد، إلا المقبرة والحمام . [4] . رواه أبو داود والترمذي [5] .

9 – بناء المساجد عليها.

وهو بدعة من ضلالات اليهود والنصارى وتقدم حديث عائشة: لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد [6] .

10 – اتخاذها عيدا.

وهو من البدع التي جاء النهي الصريح عنها لعظم ضررها، فعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ لا تتخذوا قبري عيدا [1] ولا تجعلوا بيوتكم قبورا، وحيثما كنتم فصلوا علي، فإن صلاتكم تبلغني ، رواه أبو داود وأحمد [2] .

(1) مسلم الجنائز (970) ، الترمذي الجنائز (1052) ، النسائي الجنائز (2027) ، أبو داود الجنائز

(3225) ، ابن ماجه ما جاء في الجنائز (1563) ، أحمد (339/3) .

(2) صحيح مسلم برقم (970) ، وسنن أبي داود برقم (3225) ، ورقم (3226) ، ومستدرك الحاكم (1 / 525) .

(3) صحيح مسلم برقم (972) .

(4) الترمذي الصلاة (317) ، أبو داود الصلاة (492) ، ابن ماجه المساجد والجماعات (745) .

(5) سنن أبي داود برقم (492) ، وسنن الترمذي برقم (317) ، وصححه الحاكم ووافقه الذهبي .

(6) البخاري الجنائز (1324) ، مسلم المساجد ومواضع الصلاة (531) ، النسائي المساجد (703) ، أحمد (146/6) ، الدارمي الصلاة (1403) .

11 - شد

وهو أمر من

لا تشد الر

ومسجد الأقصى

أ- تعريفه:

متقارب، فالتوس

وفي الشرع

عنه.

ب- معنى ا

وردت لفظ

1 - قوله

سَبِيلِهِۦ لَعَلَّكُمْ تُ

الرحال إليها.

هي عنه لأنه من وسائل الشرك فعن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال:

حال إلا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحـــرام، ومسجد الرسول ﷺ

ى ». [3] رواه البخاري ومسلم [4] .

المطلب السادس: التوسل.

التوســل مأخوذ في اللغة من الوسيلة، والوســيلة والوصيلة معناهما

ــل هو التوصل إلى المراد والسعي في تحقيقه.

يراد به التوصل إلى رضوان الله والجنة؛ بفعل ما شرعه وترك ما نهي

لوسيلة في القرآن الكريم:

ة " الوسيلة " في القرآن الكريم في موطنين:

تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱبْتَغُوٓا۟ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ وَجَٰهِدُوا۟ فِى

تُفْلِحُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾ [5] (المائدة: 35).



(1) العيد هو الذي يعود ويتكرر مثل عيد الفطر وعيد الأضحى ، فكون الإنسان يكرر الزيارة لقبر الرسول
كل يوم من أجل ل السلام فكأنه يتخذه عيدا ، فنهى الرسول عن ذلـك ، أمر المسلم أن يصلي ويسلم عليه
وهو في أي مك ان كان لأن لله ملائكة سياحين يبلغون الرسول السلام وهذا من يسر هذا الدين إذ ليس
باستطاعة كل م سلم أن يأتي إلى المدينة .

(2) سنن أبي داود بر قم (2042) ، ومسند أحمد (2/ 367) .

(3) البخاري الجمعة (1132) ، ابن ماجه إقامة الصلاة والسنة فيها (1410) .

(4) صحيح البخاري برقم (1189) ، وصحيح مسلم (1397) .

(5) سورة المائدة آية : 35 .

2 – قوله تعالى: ﴿ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَـ غُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴿٥٧﴾ ﴾ [1] (الإسراء: 57).

والمراد بالوسيلة في الآيتين، أي: القربة إلى الله با لعمل بما يرضيه، فقد نقل الحافظ ابن كثير رحمه الله في تفسيره للآية الأولى عن ابن عباس رضي الله عنهما أن معنى الوسيلة فيها القربة، ونقل مثل ذلك عن مجاهد وأبي و ائـل والحسن البصري وعبد الله بن كثير والسدي وابن زيد وغير واحد [2].

وأما الآية الثانية فقد بين الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود ﵁ مناسبة نزولها التي توضح معناها فقال: " نزلت في نفر من العرب ك انوا يعبدون نفرا من الجن، فأسلم الجنيون، والإنس الذين يعبدونهم لا يشعرون " [3].

وهذا صريح في أن المراد بالوسيلة ما يتقرب به إلى الله تعالى من الأعمال الصالحة والعبادات الجليلة، ولذلك قال: ﴿ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَ بِّهِمُ الْوَسِيلَةَ ﴾ [4] أي يطلبون ما يتقربون به إلى الله وينالون به مرضاته من الأعمال الص الحة المقربة إليه.

ج- أقسام التوسل:

ينقسم التوسل إلى قسمين: توسل مشروع، وتوس ل ممنوع.

1 – التوسل المشروع: هو التوسل إلى الله بالوسيلة الصحيحة المشروعة، والطريق الصحيح لمعرفة ذلك هو الرجوع إلى الكتا ب والسنة ومعرفة ما ورد فيهما

عنها، فما دل الكتاب والسنة على أنه وسيلة مشرو... عة فهو من التوسل المشروع، وما سوى ذلك فإنه توسل ممنوع.

(1) سورة الإسراء آية : 57 .
(2) تفسير ابن كثير (2/ 50) .
(3) صحيح مسلم برقم (3030) . وصحيح البخاري رقم (4714) .
(4) سورة الإسراء آية : 57 .

والتوسل المشروع يندرج تحته ثلاثة أنواع:

الأول: التوسل إلى الله تعالى باسم من أسمائه الحسنى أو صفة من صفاته العظيمة، كأن يقول المسلم في دعائه: اللهم إني أسألك بأنك الرحمن الرحيم أن تعافيني، أو يقول: أسألك برحمتك التي وسعت كل شيء أن تغفر لي وترحمني، ونحو ذلك.

ودليل مشروعية هذا التوسل قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾ [1] (الأعراف: 180).

الثاني: التوسل إلى الله تعالى بعمل صالح قام به العبد، كأن يقول: اللهم بإيماني بك، ومحبتي لك، واتباعي لرسولك اغفر لي، أو يقول: اللهم إني أسألك بحبي لنبيك محمد ﷺ وإيماني به أن تفرج عني، أو أن يذكر الداعي عملا صالحا ذا بال قام به فيتوسل به إلى ربه، كما في قصة أصحاب الغار الثلاثة التي سيرد ذكرها.

ويدل على مشروعيته قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ إِنَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ۝١٦﴾ [2] (آل عمران: 16)، وقوله تعالى: ﴿رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلْتَ وَٱتَّبَعْنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ۝٥٣﴾ [3] (آل عمران: 53).

ومن ذلك ما تضمنته قصة أصحاب الغار الثلاثة كما يرويها عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «بينما ثلاثة نفر ممن كان قبلكم يمشون إذ أصابهم مطر، فأووا إلى غار فانطبق عليهم، فقال بعضهم لبعض: إنه والله يا

هؤلاء لا ينجيكم إلا الصدق، فليدع كل رجل منكم بما يعلم أنه قد صدق فيه، فقال واحد منهم: اللهم إن كنت تعلم أنـــه كان لي أجير عمل لي على فرق من أرز فذهب وتركه، وأني عمـــدت إلى ذلك الفرق فزرعته، فصار من أمره أني اشتريـــت منه

(1) سورة الأعراف آية : 180 .

(2) سورة آل عمران آية : 16 .

(3) سورة آل عمران آية : 53 .

ا، وأنه أتاني يطلـــب أجره، فقلت له: اعمد إلى تلك البقر فسقها، فقال لي: إنما لي

دك فـــرق من أرز، فقلت له: اعمد إلى تلك البقر، فإنها من الفرق، فساقها، فإن

ت تعلم أني فعلت ذلك من خشيتك ففرج عنا، فانساخت [1] عنهم الصخـــرة،

ل الآخر: اللهم إن كنت تعلم أنه كان لي أبوان شيخان كبيران، وكنـــت آتيهما

ل ليلة بلبن غنم لي، فأبطأت عليهما ليلة، فجئت وقد رقدا، وأهلي وعيالي يتضاغون

الجوع، فكنت لا أسقيهم حتى يشرب أبواي، فكرهت أن أوقظهما، وكرهت أن

هما فيستكنا لشربتهما، فلم أزل أنتظر حتى طلع الفجر، فإن كنت تعلم أني فعلت

ك من خشـــيتك ففـــرج عنـــا، فانساخت عنهم الصخرة حتى نظروا إلى السماء،

ل الآخر: اللـــهم إن كنت تعلم أنه كانت لي ابنة عم من أحب الناس إلي، وإني

ودتـــها عـــن نفسها فأبت إلا أن آتيها بمائة دينار، فطلبتها حتى قدرت، فأتيتها بها

عتها إليها فأمكنتني من نفسها، فلما قعدت بين رجليها فقالت: اتق الله ولا تفـــض

تم إلا بحقه، فقمت وتركـــت المائة دينار، فإن كنت تعلم أني فعلت ذلـــك من

يتك ففرج عنا، ففرج الله عنهم فخرجوا . رواه البخاري [2] .

الثالث: التوسل إلى الله بدعاء الرجل الصالح الذي ترجى إجابة دعائـــه، كأن

ب المسلم إلى رجل يرى فيه الصلاح والتقوى والمحافظة على طاعـــة الله، فيطلب

أن يدعو له ربه ليفرج كربته وييسر أمره.

ويدل على مشروعية هذا النوع أن الصحابة رضي الله عنـــهم كـــانوا يسألون

النبي ﷺ أن يدعو لهم بدعاء عام ودعاء خاص.

ففي الصحيحين من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه ﴿ أن رجلا دخل يوم الجمعة من باب كان وجاه المنبر ورسول الله ﷺ قائم يخطب، فاستقبل رسول الله ﷺ قائما فقال: يا

(1) فانفرجت شيئا لا يستطيعون الخروج منه ، كما في حديث سالم .

(2) صحيح البخاري برقم (3465) .

رسول الله هلكت المواشي وانقطعت الس بل، فادع الله يغيثنا، قال: فرفع رسول الله ﷺ يديه فقال: اللهم اسقنا، اللهم اسقنا، اللهم اسقنا، قال أنس: ولا والله ما نرى في السماء من سحاب ولا قزعة [1] ولا شيئا، وما بيننا وبين سلع من بيت ولا دار، قال: فطلعت من ورائه سحابة مثل الترس، فلما توسطت السماء انتشرت، ثم أمطرت، قال: والله ما رأينا الشمس ستا، ثم دخل رجل من ذلك الباب في الجمعة المقبلة– ورسول الله ﷺ قائم يخطب– فاستقبله قائما فقال: يا رسول الله، هلكت الأموال، وانقطعت السبل، فادع الله ي مسكها، قال: فرفع رسول الله ﷺ يديه ثم قال: اللهم حوالينا ولا علينا، اللهم على الآكام والجبال والظراب ومنابت الشجر، قال: فانقطعت، وخرجنا نمشي في الش مس ﴾ . قال شريك: فسألت أنسا: أهو الرجل الأول ؟ قَال: لا أدري [2] .

وفي الصحيحين أن النبي ﷺ لما ﴿ ذكر أن في أمته سبعين ألفا يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب وقال: (هم الذي ي لا يسترقون ولا يكتوون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون) قام عكاشة بن محصن فق ال: يا رسول الله ادع الله أن يجعلني منهم، فقال: (أنت منهم) ﴾ [3] [4] . ومن ذلك حديث ذكر النبي ﷺ أويسا القرني وفيه قال: ﴿ فاسألوه أن يستغفر لكم ﴾ .

وهذا النوع من التوسل إنما يكون ف ي حياة من يطلب منه الدعاء، أما بعد موته فلا يكون؛ لأنه لا عمل له

لا يجوز؛ لأنه لا عمل له.

(1) سحاب متفرق .

(2) صحيح البخاري برقم (1013) ، وصحيح مسلم رقم (897) .

(3) البخاري الطب (5420) ، مسلم الإيمان (220) ، الترمذي صفة القيامة والرقائق والورع (2446) ، أحمد (271/1) .

(4) صحيح البخاري برقم (5705) ، وصحيح مسلم برقم (218) .

2 – التوسل الممنوع: هو التوسل إلى الله تعالى بما لم يثبت في الشريعة أنه وسيلة، وهو أنواع بعضها أشد خطورة من بعض، منها:

1 – التوسل إلى الله تعالى بدعاء الموتى والغائبين والاستغاثة بهم وسؤالهم قضاء الحاجات وتفريج الكربات ونحو ذلك، فهذا من الشرك الأكبر الناقل من الملة.

2 – التوسل إلى الله بفعل العبادات عند القبور والأضرحة بدعاء الله عندها، والبناء عليها، ووضع القناديل والستور ونحو ذلك، وهذا من الشرك الأصغر المنافي لكمال التوحيد، وهو ذريعة مفضية إلى الشرك الأكبر.

3 – التوسل إلى الله بجاه الأنبياء والصالحين ومكانتهم ومنزلتهم عند الله، وهذا محرم، بل هو من البدع المحدثة؛ لأنه توسل لم يشرعه الله ولم يأذن به. قال تعالى: ﴿ ءَآللَّهُ أَذِنَ لَكُمۡ ﴾ [1] (يونس: 59) ولأن جاه الصالحين ومكانتهم عند الله إنما تنفعهم هم، كما قال الله تعالى: ﴿ وَأَن لَّيۡسَ لِلۡإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴾ [2] (النجم: 39)، ولذا لم يكن هذا التوسل معروفا في عهد النبي ﷺ وأصحابه، وقد نص على المنع منه وتحريمه غير واحد من أهل العلم:

قال أبو حنيفة رحمه الله: ((يكره أن يقول الداعي: أسألك بحق فلان أو بحق أوليائك ورسلك أو بحق البيت الحرام والمشعر الحرام)).

د- شبهات وردها في باب التوسل.

قد يورد المخالفون لأهل السنة والجماعة بعض الشبهات والاعتراضات في باب التوسل؛ ليتوصلوا بها إلى دعم تقريراتهم الخاطئة، وليوهموا عوام المسلمين بصحة ما ذهبوا إليه، ولا تخرج شبهات هؤلاء عن أحد أمرين:

(1) سورة يونس آية : 59 .

(2) سورة النجم آية : 39 .

الأول: إما أحاديث ضعيفة أو موضوعة يستدل بها هؤلاء على ما ذهبوا إليه، وهذه يفرغ من أمرها بمعرفة عدم صحتها وثبوتها، ومن ذلك:

1 - حديث: « توسلوا بجاهي فإن جاهي عند الله عظيم » ، أو « إذا سألتم الله فاسألوه بجاهي فإن جاهي عند الله عظيم » ، وهو حديث باطل لم يروه أحد من أهل العلم، ولا هو في شيء من كتب الحديث.

2 - حديث: « إذا أعيتكم الأمور فعليكم بأهل القبور » ، أو « فاستغيثوا بأهل القبور » ، وهو حديث مكذوب مفترى على النبي ﷺ باتفاق العلماء.

3 - حديث: « لو أحسن أحدكم ظنه بحجر لنفعه » ، وهو حديث باطل مناقض لدين الإسلام، وضعه بعض المشركين.

4 - حديث: « لما اقترف آدم الخطيئة قال: يا رب أسألك بحق محمد لما غفرت لي، فقال: يا آدم وكيف عرفت محمدا ولم أخلقه ؟ قال: يا رب لما خلقتني بيدك ونفخت في من روحك رفعت رأسي فرأيت على قوائم العرش مكتوبا: لا إله إلا الله محمد رسول الله، فعلمت أنك لم تضف إلى اسمك إلا أحب الخلق إليك، فقال: غفرت لك ولولا محمد ما خلقتك » [1] وهو حديث باطل لا أصل له، ومثله حديث: « لولاك ما خلقت الأفلاك » .

فمثل هذه الأحاديث المكذوبة والروايات المختلقة الملفقة لا يجوز لمسلم أن يلتفت إليها فضلا عن أن يحتج بها ويعتمدها في دينه.

الثاني: أحاديث صحيحة ثابتة عن النبي ﷺ يسيء هؤلاء فهمها ويحرفونا عن مرادها ومدلولها، ومن ذلك:

---

(1) سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة للألباني ج 1 / 88 ح 25 .

1 – ما ثبت في الصحيح: «أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان إذا قحطوا استسقى بالعباس بن عبد المطلب، فقال: اللهم إنا كنا نتوسل إليك بنبينا فتسقينا، وإنا نتوسل إليك بعم نبينا فاسقنا، قال: فيسقون» [1] [2].

ففهموا من هذا الحديث أن توسل عمر رضي الله عنه إنما كان بجاه العباس رضي الله عنه ومكانته عند الله عز وجل وأن المراد بقوله: «كنا نتوسل إليك بنبينا [أي بجاهه] فتسقينا، وإنا نتوسل إليك بعم نبينا» [3] [أي بجاهه].

وهذا ولا ريبِ فهم خاطئ وتأويل بعيد لا يدل عليه سياق النص لا من قريب ولا من بعيد؛ إذ لم يكن معروفا لدى الصحابة التوسل إلى الله بذات النبي ﷺ أو جاهه، وإنما كانوا يتوسلون إلى الله بدعائه حال حياته كما تقدم بعض هذا المعنى، وعمر رضي الله عنه لم يرد بقوله: «إنا نتوسل إليك بعم نبينا» [4] أي ذاته أو جاهه، وإنما أراد دعاءه، ولو كان التوسل بالذات أو الجاه معروفا عندهم لما عدل عمر عن التوسل بالنبي ﷺ إلى التوسل بالعباس رضي الله عنه بل ولقال له الصحابة إذ ذاك كيف نتوسل بمثل العباس ونعدل عن التوسل بالنبي ﷺ الذي هو أفضل الخلائق، فلما لم يقل ذلك أحد منهم، وقد علم أنهم في حياته إنما توسلوا بدعائه، وبعد مماته توسلوا بدعاء غيره علم أن المشروع عندهم التوسل بدعاء المتوسل لا بذاته.

وبهذا يتبين أن الحديث ليس فيه متمسك لمن يقول بجواز التوسل بالذات أو

الجاه.

(1) البخاري الجمعة (964) .

(2) صحيح البخاري برقم (1010) .

(3) البخاري الجمعة (964) .

(4) البخاري الجمعة (964) .

2 – حديث عثمان بن حنيف: «أن رجلا ضرير البصر أتى النبي ﷺ فقال: ادع الله أن يعافيني، قال: إن شئت دعوت وإن شئت صبرت فهو خير لك، قال: فادعه، قال: فأمره أن يتوضأ فيحسن وضوءه ويدعو بهذا الدعاء: اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بنبيك محمد نبي الرحمة، إني توجهت بك إلى ربي في حاجتي هذه لتقضى لي اللهم فشفعه في»[1]، رواه الترمذي وأحمد وقال البيهقي إسناده صحيح[2].

ففهموا من الحديث أنه يدل على جواز التوسل بجاه النبي ﷺ أو غيره من الصالحين، وليس في الحديث ما يشهد لذلك، فإن الأعمى قد طلب من النبي ﷺ أن يدعو له بأن يرد الله عليه بصره، فقال له: «إن شئت صبرت وإن شئت دعوت»[3]، فقال: فادعه، إلى غير ذلك من الألفاظ الواردة في الحديث المصرحة بأن هذا توسل بدعاء النبي ﷺ لا بذاته أو جاهه؛ ولذا ذكر أهل العلم هذا الحديث من معجزات النبي ﷺ ودعائه المستجاب، فإنه ﷺ ببركة دعائه لهذا الأعمى أعاد الله عليه بصره ولهذا أورده البيهقي في دلائل النبوة[4].

وأما الآن وبعد موت النبي ﷺ فإن مثل هذا لا يمكن أن يكون لتعذر دعاء النبي ﷺ لأحد بعد الموت، كما قال النبي ﷺ: «إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له»[5]، رواه مسلم[6].

(1) الترمذي الدعوات (3578) ، ابن ماجه إقامة الصلاة والسنة فيها (1385) .

(2) سنن الترمذي برقم (3578) ، ومسند أحمد (4 / 138) .

(3) البخاري المرضى (5328) ، مسلم البر والصلة والآداب (2576) ، أحمد (1/347) .

(4) دلائل النبوة للبيهقي (6 / 167) .

(5) مسلم الوصية (1631) ، الترمذي الأحكام (1376) ، النسائي الوصايا (3651) ، أبو داود الوصايا (2880) ، أحمد (2/ 372) ، الدارمي المقدمة (559) .

(6) صحيح مسلم برقم (1631) .

والدعاء من الأعمال الصالحة التي تنقطع بالموت.

وعلى كل فإن جميع ما يتعلق به هؤلاء لا حجة فيه؛ إما لعدم صحته، أو لعدم دلالته على ما ذهبوا إليه.

المطلب السابع: الغلو.

أ- تعريفه: الغلو في اللغة هو مجاوزة الحد، بأن يزيد في حمد الشيء أو ذمه على ما يستحق.

وفي الشرع: هو مجاوزة حدود ما شرع الله لعباده سواء في العقيدة أو العبادة.

ب- حكمه: التحريم؛ لما جاء من النصوص في النهي عنه والتحذير منه وبيان سوء عواقبه على أهله في العاجل والآجل. قال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ ﴾ [1] (النساء: 171).

وقال تعالى: ﴿ قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ غَيۡرَ ٱلۡحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓاْ أَهۡوَآءَ قَوۡمٖ قَدۡ ضَلُّواْ مِن قَبۡلُ وَأَضَلُّواْ كَثِيرٗا وَضَلُّواْ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴿٧٧﴾ ﴾ [2] (المائدة: 77).

وعن ابن عباس رضي الله عنهما: أن رسول الله ﷺ قال: « إياكم والغلو، فإنما هلك من كان قبلكم بالغلو في الدين » [3] ، رواه أحمد والحاكم وصححه ووافقه الذهبي [4] .

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ « هلك المتنطعون » [5] ، قالها

ثلاثا، رواه مسلم [1] .

---

(1) سورة النساء آية : 171 .

(2) سورة المائدة آية : 77 .

(3) النسائي مناسك الحج (3057) ، ابن ماجه المناسك (3029) ، أحمد (347/1) .

(4) المسند (1 / 347) ، والمستدرك (1 / 638) .

(5) مسلم العلم (2670) ، أبو داود السنة (4608) ، أحمد (386/1) .

وعن عمر بن الخطاب ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: ﴿لا تطروني كما أطرت النصارى عيس ى ابن مريم، إنما أنا عبد الله ورسوله﴾ [2] ، رواه البخاري [3] .

والمراد هذا الحديث، أي: لا تمدحوني فتغلوا في مدحي كما غلت النصارى في عيسى فادعوا فيه الربوبية والألوهية، وإنما أنا عبد الله فصفوني بما وصفني به ربي، وقولوا: عبد ال لله ورسوله، فأبى الضلال إلا مخالفة لأمره وارتكابا لنهيه وناقضوه أعظم المناقضة فغلوا فيه وبالغوا في إطرائه وادعوا فيه ما ادعت النصارى في عيسى أو قريبا منه، فسأل لوه مغفرة الذنوب وتفريج الكروب وشفاء الأمراض ونحو ذلك مما هو مختص بالله و وحده لا شريك له، وكل ذلك من الغلو في الدين.

(1) صحيح مسلم برقم (2670) .

(2) البخاري أحاديث الأنبياء (3261) ، أحمد (24/1) .

(3) صحيح البخاري برقم (3445) .

57

المبحث الرابع: الشرك والكفر وأنواعهما

وفيه مطالب

ما من ريب أن في معرفة المسلم للشرك والكفر وأسبابهما ووسائلهما وأنواعهما فوائد عظيمة، إذا عرفها معرفة يقصد من ورائها السلامة من هذه الشرور والنجاة من تلك الآفات، والله سبحانه يحب أن تعرف سبيل الحق لتحب وتسلك، ويحب أن تعرف سبل الباطل لتجتنب وتبغض، والمسلم كما أنه مطالب بمعرفة سبيل الخير ليطبقها، فهو كذلك مطالب بمعرفة سبل الشر ليحذرها، ولهذا ثبت في الصحيحين عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنهما أنه قال: كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني [1] [2].

ويقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه " إنما تنقض عرى الإسلام عروة عروة إذا نشأ في الإسلام من لا يعرف الجاهلية ".

والقرآن الكريم مليء بالآيات المبينة للشرك والكفر والحذرة من الوقوع فيهما، والدالة على سوء عاقبتهما في الدنيا والآخرة، بل إن ذلك مقصد عظيم من مقاصد القرآن الكريم والسنة المطهرة، كما قال الله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْآيَٰتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴾ [3] (الأنعام: 55).

وفيما يلي ذكر لبعض المطالب المهمة المتعلقة بهذا الجانب.

المطلب الأول: الش

أ- تعريفه: يطلق الشرك في اللغة على التسوية بين الشيئين.

وله في الشرع معنيان: عام وخاص.

(1) البخاري المناقب (3411) ، مسلم الإمارة (1847) ، أحمد (387/5) .

(2) صحيح البخاري برقم (7084) ، وصحيح مسلم برقم (1847) .

(3) سورة الأنعام آية : 55 .

1 - المعنى العام: تسوية غير الله بالله فيما هو من خصائصه سبحانه، ويندرج تحته ثلاثة أنواع:

الأول: الشرك في الربوبية، وهو تسوية غير الله بالله فيما هو من خصائص الربوبية، أو نسبة شيء منها إلى غيره، كالخلق والرزق والإيجاد والإماتة والتدبير لهذا الكون ونحو ذلك.

قال تعالى: ﴿ هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴾ [1] (فاطر: 3).

الثاني: الشرك في الأسماء والصفات، وهو تسوية غير الله بالله في شيء منها، والله تعالى يقول: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ [2] (الشورى: 11).

الثالث: الشرك في الألوهية، وهو تسوية غير الله بالله في شيء من خصائص الألوهية، كالصلاة والصيام والدعاء والاستغاثة والذبح والنذر ونحو ذلك.

قال الله تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ ﴾ [3] (البقرة: 165).

2- المعنى الخاص: وهو أن يتخذ لله ندا يدعوه كما يدعو الله ويسأله الشفاعة كما يسأل الله ويرجوه كما يرجو الله، ويحبه كما يحب الله، وهذا هو المعنى المتبادر

من كلمة " الشرك " إذا أطلقت في القرآن أو السنة.

(1) سورة فاطر آية : 3 .
(2) سورة الشورى آية : 11 .
(3) سورة البقرة آية : 165 .

ب- الأدلة على ذم الشرك وبيان خطره.

لقد تنوعت دلالة النصوص على ذم الشرك والتحذير منه وبيان خطره وسوء عاقبته على المشركين في الدنيا والآخرة.

1 - فقد أخبر الله سبحانه أنه الذنب الذي لا يغفره إلا بالتوبة منه قبل الموت، فقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾[1] (النساء: 48).

2 - ووصفه بأنه أظلم الظلم، فقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾[2] (لقمان: 13).

3 - وأخبر أنه محبط للأعمال، فقال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾[3] (الزمر: 65).

4 - ووصفه بأن فيه تنقصا لرب العالمين ومساواة لغيره به، فقال تعالى: ﴿ قَالُوا۟ وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ ۝ تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ۝ إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾[4] (الشعراء: 96- 98).

5 - وأخبر أن من مات عليه يكون مخلدا في نار جهنم، فقال تعالى: ﴿ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ

﴾ [5] (المائدة: 72).

(1) سورة النساء آية : 48 .
(2) سورة لقمان آية : 13 .
(3) سورة الزمر آية : 65 .
(4) سورة الشعراء آية : 96 – 98 .
(5) سورة المائدة آية : 72 .

إلى غير ذلك من أنواع الأدلة، وهي كثيرة جدا في القرآن الكريم.

ج- سبب وقوع الشرك:

إن أصل الشرك وسبب وقوعه في بني آدم هو الغلو في الصالحين المعظمين، وتجاوز الحد في إطرائهم ومدحهم والثناء عليهم، قال الله تعالى: ﴿ وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾ وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا وَلَا تَزِدِ ٱلظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا ﴿٢٤﴾ ﴾ [1] (نوح: 23- 24).

فهذه أسماء رجال صالحين من قوم نوح لما ماتوا جعلوا لهم أصناما على صورهم وسموها بأسمائهم قاصدين بذلك تعظيمهم وتخليد ذكرهم وتذكر فضلهم إلى أن آل بهم الأمر إلى عبادتهم.

ويشهد لهذا ما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: " صارت الأوثان التي كانت في قوم نوح في العرب بعد، أما ود فكانت لكلب بدومة الجندل، وأما سواع فكانت لهذيل، وأما يغوث فكانت لمراد، ثم لبني غطيف بالجوف عند سبأ، وأما يعوق فكانت لهمدان، وأما نسر فكانت لحمير لآل ذي الكلاع، أسماء رجال صالحين من قوم نوح، فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون أنصابا وسموها بأسمائهم ففعلوا فلم تعبد حتى إذا هلك أولئك ونسخ (ونسخ العلم) [2] العلم عبدت " [3] .

روى ابن جرير الطبري عن محمد بن قيس عند قوله تعالى: وقالوا لا تذرن آلهتك

الآية، قال: " كانوا قوما صالحين من بني آدم، وكان لهـم أتباع يقتدون هم، فلما ماتوا قال أصحابهم الذين كانوا يقتدون بهـم: لـو صورناهم كان أشوق لنا إلى

(1) سورة نوح آية : 23 – 24 .

(2) أي علم تلك الصور بخصوصها .

(3) صحيح البخاري برقم (4920) .

العبادة إذا ذكرناهم، فصوروهم، فلما مـاتوا وجاء آخرون دب إليهم إبليس فقال: إنما كانوا يعبدونهم وبهـم يسـقون المطر، فعبدوهم "[1] . فجمعوا بين فتنتين:

الأولى: العكوف عند قبورهم.

الثانية: تصوير صورهم ونصبها في مجالسهم والجلوس إليها.

فبهذا وقع الشرك لأول مرة في تاريخ البشرية فهما أعظم وسائل الشرك في كل زمان ومكان.

د- أنواع الشرك: ينقسم الشرك إلى قسمين: أكبر وأصغر.

1 – الشرك الأكبر: هو اتخاذ ند مع الله يعبد كما يعبد الله، وهـو ناقل من ملة الإسلام محبط للأعمال كلها، وصاحبه إن مات عليه يكـون مخلدا في نار جهنم لا يقضى عليه فيموت ولا يخفف عنه من عذابها.

أنواع الشرك الأكبر: وينقسم الشرك الأكبر إلى أربعة أنواع:

1 – شرك الدعوة، أي الدعاء، وذلك أن الدعاء من أعظـم أنـواع العبادة، بل هو لب العبادة كما قال النبي ﷺ « الدعاء هو العبـادة »[2] ، رواه أحمد والترمذي وقال حديث حسن صحيح[3] قال الله تعالى: ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِي سَيَدۡخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾ ﴾[4] (غافر: 60) .

ولما ثبت أن الدعاء عبادة، فصرفه لغير الله شرك، فمن دعا نبيا أو ملكـا أو وليا أو قبرا أو حجرا أو غير ذلك من المخلوقين فهو مشرك كافر، كمـا قال تعالى: ﴿

(1) تفسير الطبري (12 / 254) .

(2) الترمذي تفسير القرآن (2969) ، ابن ماجه الدعاء (3828) .

(3) مسند أحمد (4 / 267) ، وسنن الترمذي برقم (2969) .

(4) سورة غافر آية : 60 .

وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١١٧﴾ ﴾ [1] (المؤمنون: 117).

ومن الأدلة على أن الدعاء عبادة وأن صرفه لغير الله شرك قوله تعالى: ﴿ فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴿٦٥﴾ ﴾ [2] (العنكبوت: 65)، فأخبر عن هؤلاء المشركين بأنهم يشركون بالله في رخائهم، ويخلصون له في كربهم وشدهم، فكيف بمن يشرك بالله في الرخاء والشدة عياذا بالله.

2 – شرك النية والإرادة والقصد، وذلك أن ينوي بأعماله الدنيا أو الرياء أو السمعة، إرادة كلية كأهل النفاق الخلص، ولم يقصد بها وجه الله والدار الآخرة، فهو مشرك الشرك الأكبر، قال الله تعالى: ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ ۖ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا۟ فِيهَا وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾ ﴾ [3] (هود: 15-16).

وهذا النوع من الشرك دقيق الأمر بالغ الخطورة.

3 – شرك الطاعة، فمن أطاع المخلوقين في تحليل ما حرم الله أو تحريم ما أحل الله، ويعتقد ذلك بقلبه أي أنه يسوغ لهم أن يحللوا ويحرموا ويسوغ له ولغيره طاعته في ذلك مع علمه بأنه مخالف لدين الإسلام فقد اتخذهم أربابا من دون الله وأشرك

بالله الشرك الأكبر.

(1) سورة المؤمنون آية : 117 .
(2) سورة العنكبوت آية : 65 .
(3) سورة هود آية : 15 – 16 .

قال الله تعالى: ﴿ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَٰهًا وَاحِدًا ۖ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣١﴾ ﴾ [1] (التوبة: 31).

وتفسير الآية الذي لا إشكال فيه: طاعة العلماء والعباد في المعصية (أي في تبديل حكم الله) لا دعاؤهم إياهم، كما فسرها النبي ﷺ لعدي بن حاتم لما سأله فقال: لسنا نعبدهم ؟ فذكر له أن عبادتهم طاعتهم في المعصية (في تبديل حكم الله)، فقال: ﴿ أليس يحرمون ما أحل الله فتحرمونه ويحلون ما حرم الله فتحلونه ﴾ ، قال: بلى. قال: ﴿ فتلك عبادتهم ﴾ ، رواه الترمذي وحسنه، والطبراني في المعجم الكبير [2] .

4 – شرك المحبة، والمراد محبة العبودية المستلزمة للإجلال والتعظيم والذل والخضوع التي لا تنبغي إلا لله وحده لا شريك له، ومتى صرف العبد هذه المحبة لغير الله فقد أشرك به الشرك الأكبر، والدليل قوله تعالى: ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ ۖ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ۗ ﴾ [3] (البقرة: 165).

2– النوع الثاني من أنواع الشرك، الشرك الأصغر:

وهو كل ما كان ذريعة إلى الشرك الأكبر ووسيلة للوقوع فيه أو ما جاء في النصوص تسميته شركا ولم يصل إلى حد الأكبر، وهو يقع في هيئة العمل وأقوال

اللسان. وحكمه تحت المشيئة كحكم مرتكب الكبيرة.

ومن أمثلته ما يلي:

(1) سورة التوبة آية : 31 .

(2) سنن الترمذي برقم (3095) ... والمعجم الكبير للطبراني (17 / 92) .

(3) سورة البقرة آية : 165 .

أ- يسير الرياء، والدليل ما رواه الإمام أحمد وغيره عن النبي ﷺ أنه قال: « إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر، قالوا: وما الشرك الأصغر يا رسول الله قال: (الرياء، يقول الله تعالى يوم القيامة إذا جازى الناس بأعمالهم: اذهبوا إلى الذين كنتم تراؤون في الدنيا، فانظروا هل تجدون عندهم جزاء » [1] [2] .

ب- قول: " ما شاء الله وشئت "، روى أبو داود في سننه عن النبي ﷺ « لا تقولوا ما شاء الله وشاء فلان، ولكن قولوا ما شاء الله ثم شاء فلان » [3] [4] .

ج- قول: " لولا الله وفلان "، أو قول: " لولا البط لأتانا اللصوص "، ونحو ذلك، روى ابن أبي حاتم في تفسيره عن ابن عباس رضي الله عنهما في معنى قوله تعالى: ﴿ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [5] قال: " الأنداد هو الشرك أخفى من دبيب النمل على صفاة سوداء في ظلمة الليل، وهو أن تقول: والله وحياتك يا فلانة وحياتي، وتقول: لولا كليبة هذا لأتانا اللصوص، ولولا البط في الدار لأتى اللصوص، وقول الرجل لأصحابه: ما شاء الله وشئت، وقول الرجل: لولا الله وفلان، لا تجعل فيها فلانا، هذا كله به شرك " [6] .

الفرق بين الشرك الأكبر والأصغر:

بين الشرك الأكبر والأصغر فروق عديدة، أهمها ما يلي:

(1) أحمد (428/5) .

(2) مسند أحمد (5 / 428) ، قال المنذري إسناده جيد ، الترغيب والترهيب (1 / 48) ، وقال الهيثمي : رجالــه رجال الصحيح ، مجمع (1/ 102) .

(3) أبو داود الأدب (4980) ، أحمد (399/5) .

(4) سنن أبي داود برقم (4980) ، قال الذهبي في مختصر البيهقي (1 / 140 / 2) إسناده صالح .

(5) سورة البقرة آية : 22 .

(6) تفسير ابن أبي حاتم (1 / 62) .

1 - أن الشرك الأكبر لا يغفر الله لصاحبه إلا بالتوبة، وأما الأصغر فتحت المشيئة.

2- أن الشرك الأكبر محبط لجميع الأعمال، وأما الأصغر فلا يحبط إلا العمل الذي قارنه.

3- أن الشرك الأكبر مخرج لصاحبه من ملة الإسلام، وأما الشرك الأصغر فلا يخرجه منها.

4- أن الشرك الأكبر صاحبه خالد في النار ومحرمة عليه الجنة، وأما الأصغر فكغيره من الذنوب.

المطلب الثاني: الكفر.

أ- تعريفه: الكفر لغة يطلق على الستر والتغطية.

وشرعا: ضد الإيمان، وهو: عدم الإيمان بالله ورسوله، سواء كان معه تكذيب أو لم يكن معه تكذيب، بل عن شك وريب، أو إعراض عن ذلك حسدا وكبرا أو اتباعا لبعض الأهواء الصارفة عن اتباع الرسالة.

ب- أنواع الكفر:

الكفر نوعان: كفر أكبر، وكفر أصغر.

فالكفر الأكبر هو الموجب للخلود في النار، والأصغر موجب لاستحقاق الوعيد دون الخلود.

أولا: الكفر الأكبر:

أولا: الكفر الأكبر:

وهو خمسة أنواع:

أ- كفر التكذيب، وهو اعتقاد كذب الرسل عليهم السلام، فمن كذبهم فيما جاؤوا به ظاهرا أو باطنا فقد كفر، والدليل قوله تعالى:

﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُۥٓ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٦٨﴾ ﴾ [1] (العنكبوت: 68).

2 – كفر الإباء والاستكبار، وذلك بأن يكون عالما بصدق الرسول، وأنه جاء بالحق من عند الله، لكن لا ينقاد لحكمه ولا يذعن لأمره، استكبارا وعنادا، والدليل قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٤﴾ ﴾ [2] (البقرة: 34).

3 – كفر الشك، وهو التردد، وعدم الجزم بصدق الرسل، ويقال له كفر الظن، وهو ضد الجزم واليقين.

والدليل قوله تعالى: ﴿ وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ قَالَ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ أَبَدًا ﴿٣٥﴾ وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّى لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا ﴿٣٦﴾ قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلًا ﴿٣٧﴾ لَّٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ بِرَبِّىٓ أَحَدًا ﴿٣٨﴾ ﴾ [3] (الكهف: 35- 38).

4 – كفر الإعراض، والمراد الإعراض الكلي عن الدين، بأن يعرض بسمعه وقلبه وعلمه عما جاء به الرسول ﷺ والدليل قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَمَّآ أُنذِرُوا۟ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ ﴾ [4] (الأحقاف: 3).

(1) سورة العنكبو
(2) سورة البقرة آ
(3) سورة الكهف
(4) سورة الأحقاف

ت آية : 68 .
ة : 34 .
آية : 35 – 38 .
ف آية : 3 .

5 – كفر النفاق، والمراد النفاق الاعتقادي بأ

والدليل قوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُو

﴾[2] (المنافقون: 3).

والنفاق على ضربين:

1 – نفاق اعتقاد وهو كفر أكبر ناقل من المل

الرسول، أو تكذيب بعض ما جاء به، أو بغض ال

المسرة بانخفاض دين الرسول، أو الكراهية لانتصا

2 – ونفاق عملي وهو كفر أصغر لا ينقل من

عظيم، ومنه ما ذكره النبي ﷺ في الحديث حيث

منافقا خالصا، ومن كانت فيه خصلة منهن كـا

يدعها: إذا اؤتمن خان، وإذا حـدث كـذب

فجر »[3] متفق عليه[4] .

وقال عليه الصلاة والسلام: « آية المنافق ثلاث

أخلف، وإذا أؤتمن خان »[5] ، رواه البخاري[6] .

ن يظهر الإيمان ويبطـن الكفر[1]

اْ فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ

ة وهـو سـتة أنـواع: تكذيب

رسول، أو بغـض ما جاء به، أو

ر ديـن الرسول.

الملة، إلا أنـه جريمـة كبيرة وإثم

قال: « أربـع من كن فيه كان

نت فيـه خصلة من النفاق حتى

، وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم

ث: إذا حدث كـذب، وإذا وعد

(1) مدارج السالكين (1 / 346) .

(2) سورة المنافقون آية : 3 .

(3) البخاري الإيمان (34) ، مسلم الإيمان (58) ، الترمذي ا لإيمان (2632) ، النسائي الإيمان وشرائعه (5020) ، أبو داود السنة (4688) ، أحمد (189/2) .

(4) صحيح البخاري برقم (34) ، وصحيح مسلم برقم (58) .

(5) البخاري الإيمان (33) ، مسلم الإيمان (59) ، الترمذي ا لإيمان (2631) ، النسائي الإيمان وشرائعه (5021) ، أحمد (536/2) .

(6) صحيح البخاري برقم (33) .

ثانيا: الكفر الأصغر:

وهو لا يخرج صاحبه من الملة ولا يوجب الخلود في النار وإنما عليه الوعيد الشديد، وهو كفر النعمة، وجميع ما ورد في النصوص من ذكر الكفر الذي لا يصل إلى حد الكفر الأكبر. ومن الأمثلة عليه:

ما ورد في قوله تعالى: ﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴿١١٢﴾ ﴾ [1] (النحل: 112).

وفي قوله ﷺ ﴿ اثنتان في الناس هما بهم كفر، الطعن في النسب والنياحة على الميت ﴾ [2] ، رواه مسلم [3] .

وفي قوله ﷺ ﴿ لا ترجعوا بعدي كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض ﴾ [4] ، رواه البخاري ومسلم [5].

فهذا وأمثاله كفر دون كفر وهو لا يخرج من الملة الإسلامية.

لقوله تعالى: ﴿ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ

(1) سورة النحل آية : 112 .

(2) مسلم الإيمان (67) ، الترمذي الجنائز (1001) .

(3) صحيح مسلم برقم (67) .

(4) البخاري العلم (121) ، مسلم الإيمان (65) ، النسائي تحريم الدم (4131) ، ابن ماجه الفتن (3942) ، أحمد (358/4) ، الدارمي المناسك (1921) .

(5) صحيح البخاري برقم (121) ، وصحيح مسلم برقم (65) .

نسطوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ ۝٩ إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ إِخۡوَةٞ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَ أَخَوَيۡكُمۡۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ

لَكُمۡ تُرۡحَمُونَ ۝١٠ ﴾ [1] (الحجرات: 9، 10)، فسماهم الله ﷻ مؤمنين مع الاقتتال.

ولقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشۡرِكۡ

لَّهِ فَقَدِ ٱفۡتَرَىٰٓ إِثۡمًا عَظِيمًا ۝٤٨ ﴾ [2] (النساء: 48)، فدلت الآية الكريمة على أن

ل ذنب دون الشرك تحت المشيئة أي إن شاء الله عذبه بقدر ذنبه وإن شاء عفا

ه من أول وهلة، إلا الشرك به فإن الله لا يغفره كما هو صريح في الآية وقوله

الى: ﴿ إِنَّهُۥ مَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ وَمَأۡوَىٰهُ ٱلنَّارُۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ أَنصَارٖ

﴾ [3] (المائدة: 72).

(1) سورة الحجرات آية : 9 ، 10 .
(2) سورة النساء آية : 48 .
(3) سورة المائدة آية : 72 .

المبحث الخامس: ادعاء علم الغيب وما يلحق به

الغيب هو كل ما غاب عن العقول والأنظار من الأمور الحاضرة والماضية والمستقبلة، وقد استأثر الله ﷻ بعلمه واختص نفسه سبحانه بذلك.

قال الله تعالى: ﴿ قُل لَّا يَعۡلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ٱلۡغَيۡبَ إِلَّا ٱللَّهُۚ ﴾ [1] (النمل: 65)، وقال تعالى: ﴿ لَهُۥ غَيۡبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ﴾ [2] (الكهف: 26)، وقال تعالى: ﴿ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلۡكَبِيرُ ٱلۡمُتَعَالِ ﴿٩﴾ ﴾ [3] (الرعد: 9).

فلا يعلم الغيب أحد إلا الله، لا ملك مقرب ولا نبي مرسل فضلا عمن هو دونهما.

قال الله تعالى عن نوح عليه السلام: ﴿ وَلَآ أَقُولُ لَكُمۡ عِندِي خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ ﴾ [4] (هود: 31)، وقال تعالى عن هود عليه السلام: ﴿ قَالَ إِنَّمَا ٱلۡعِلۡمُ عِندَ ٱللَّهِ وَأُبَلِّغُكُم مَّآ أُرۡسِلۡتُ بِهِۦ ﴾ [5] (الأحقاف: 23)، وقال تعالى لنبيه محمد عليه الصلاة والسلام: ﴿ قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمۡ عِندِي خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ ﴾ [6] (الأنعام: 50)، وقال تعالى: ﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلۡأَسۡمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمۡ عَلَى ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِي بِأَسۡمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ قَالُواْ سُبۡحَٰنَكَ لَا عِلۡمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمۡتَنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٣٢﴾ ﴾ [7] (البقرة: 31- 32).

(1) سورة النمل آية : 65 .
(2) سورة الكهف آية : 26 .
(3) سورة الرعد آية : 9 .
(4) سورة هود آية : 31 .
(5) سورة الأحقاف آية : 23 .
(6) سورة الأنعام آية : 50 .
(7) سورة البقرة آية : 31 – 32 .

ثم إنه سبحانه قد يطلع بعض خلقه على بعض الأمور المغيبة عن طريـ
كما قال تعالى: ﴿ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ فَلَا يُظۡهِرُ عَلَىٰ غَيۡبِهِۦٓ أَحَدًا ٢٦ إِلَّا مَنِ ٱرۡتَضَىٰ مِن رَّ
يَسۡلُكُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ رَصَدٗا ٢٧ لِّيَعۡلَمَ أَن قَدۡ أَبۡلَغُواْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّهِمۡ وَأَحَاطَ
وَأَحۡصَىٰ كُلَّ شَيۡءٍ عَدَدَۢا ٢٨ ﴾ [1] (الجن: 26-28)، وهذا من الغيب النسـ
غاب علمه عن بعض المخلوقات دون بعض، أما الغيب المطلق فلا
هو سبحانه، ومن ذا الذي يدعي علمه وقد استأثر الله به.

ولهذا فإن الواجب على كل مسلم أن يحذر من الدجاجلة والكذابـ
لعلم الغيب المفترين على الله، الذين ضلوا في أنفسهم وأضلوا كثيرا و
سواء السبيل، كالسحرة والكذابين والمنجمين، وغيرهم.

وفيما يلي عرض لجملة من أعمال هؤلاء التي يدعون بها علم الغيب،
بها عوام المسلمين وجهالهم، ويفسدون بها عقيدتهم وإيمانهم.

1 – السحر: وهو في اللغة ما خفي ولطف سببه.

وفي الاصطلاح هو عزائم ورقى وعقد يؤثّر في القلوب والأبدان
ويقتل ويفرق بين المرء وزوجه بإذن الله، وهو كفر، والساحر كافر بالله الـ
له في الآخرة من خلاق، قال الله تعالى: ﴿ وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتۡلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلۡكِ سُ
كَفَرَ سُلَيۡمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحۡرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلۡمَلَ
هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنۡ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحۡنُ فِتۡنَةٞ فَلَا تَكۡفُرۡۖ فَيَتَعَلَّمُو

يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيۡنَ ٱلۡمَرۡءِ وَزَوۡجِهِۦۚ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنۡ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ

يَضُرُّهُمۡ وَلَا يَنفَعُهُمۡۚ وَلَقَدۡ عَلِمُواْ لَمَنِ ٱشۡتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنۡ خَلَٰقٖۚ وَلَبِئۡسَ

بِهِۦٓ أَنفُسَهُمۡۚ لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [2] (البقرة: 102).

(1) سورة الجن آية : 26 – 28 .

(2) سورة البقرة آية : 102 .

ومنه النفث في العقد، قال الله تعالى: ﴿ قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلۡفَلَقِ ﴿١﴾ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ﴿٢﴾ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ﴿٣﴾ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِي ٱلۡعُقَدِ ﴿٤﴾ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴿٥﴾ ﴾ [1] .

2 – التنجيم: وهو الاستدلال بالأحوال الفلكية على الحوادث الأرضية التي لم تقع، فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: « من اقتبس علما من النجوم فقد اقتبس شعبة من السحر زاد ما زاد » [2] ، رواه أبو داود [3] .

3 – زجر الطير والخط في الأرض: فعن قطن بن قبيصة عن أبيه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: « العيافة والطيرة والطرق من الجبت » [4] [5] أي من السحر، والعيافة زجر الطير والتفاؤل والتشاؤم بأسمائها وأصواتها وممرها، والطرق الخط يخط في الأرض، أو الضرب بالحصى وادعاء علم الغيب.

4 – الكهانة: وهي ادعاء علم الغيب، والأصل فيها استراق الجن السمع من كلام الملائكة فتلقيه في أذن الكاهن.

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: « من أتى كاهنا فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ » [6] رواه أبو داود وأحمد والحاكم [7] .

(1) سورة الفلق آية : 1 – 5 .

(2) أبو داود الطب (3905) ، ابن ماجه الأدب (3726) ، أحمد (227/1) .

(3) سنن أبي داود برقم (3905) .

(4) أبو داود الطب (3907) ، أحمد (477/3) .

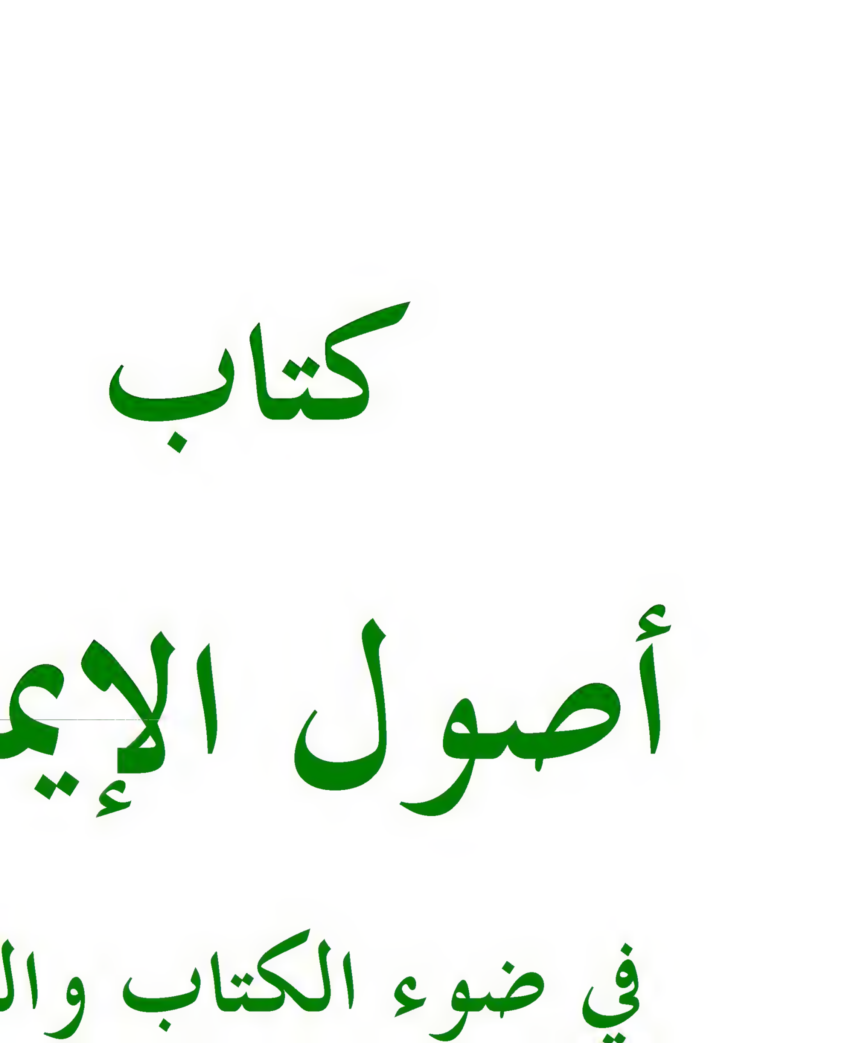
(5) سنن أبي داود برقم (3907) ، ومسند أحمد (3 / 477) .

(6) الترمذي الطهارة (135) ، أبو داود الطب (3904) ، ابن ماجه الطهارة وسننها (639) ، أحمد (429/2) ، الدارمي الطهارة (1136) .

(7) سنن أبي داود (3904) ، ومسند أحمد (2 / 429) ، المستدرك (1 / 50) قال الحاكم صحيح على شـــرط الشيخين ووافقه الذهبي .

... جاد: وذلك بأن يجعل لكل حرف منها قــدرا معلوما من ... اء الآدميين والأزمنـــة والأمكنـــة، ثم يحكم عليها بالسعود

5 – كتابة حروف أبا ... العدد ويجري على ذلك أسم ...





إعداد

نخبة من العلماء

مقدمة معالي الوزير الشيخ صالح بن عبد العزيز بن محمد آل الشـــيخ

بسم الله الرحمن الرحيم

بقلم معالي الشيخ صالح بن عبد العزيز بن محمد آل الشـــيخ وزير الشـــؤون الإســـلامية والأوقاف والدعوة والإرشـــاد المشرف العام على المجمع.

الحمد لله رب العالمين، القائل في كتابه الكريم ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ ﴾ [1] [النحل: 125]. والصلاة والســـلام علـــى أشرف الأنبياء والمرسلين، القـــائل: ﴿ بلغوا عني ولو آية ﴾ [2] [البخـــاري: 3461].

أما بعد: فإنفاذًا لتوجيهات خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبـــد العزيز آل سعود – حفظه الله– في إيصال الخير إلى عمـــوم المســـلمين في مشارق الأرض ومغارها، بدءًا بالعناية بكتاب الله، والعمل على تيسير نشره، وترجمة معانيه، وتوزيعه بين المسلمين، والراغبين في دراسته من غـــيرهم، ثم نشر ما ينفع المسلمين في جميع شؤون حياهم الدينية والدنيوية.

وإيمانًا من وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد ممثلـــة في مجمع

الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة النبوية، بأهمية الدعـــوة إلى الله تعالى على بصيرة فإنه يسرها أن تقدم كتاب:

((أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة))

وذلك لتبصير المسلمين في أمور العقيدة التي هي أساس الإيمان، لقولــه صلى الله ﷺ ﴿ إنّ في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله ﴾ [3] [البخاري: 52]،

---

(1) سورة النحل آية : 125 .

(2) البخاري أحاديث الأنبياء (3274) ، الترمذي العلم (2669) ، أحمد (159/2) ، الدارمي المقدمة (542) .

(3) البخاري الإيمان (52) ، مسلم المساقاة (1599) ، ابن ماجه الفتن (3984) ، أحمد (270/4) ، الدارمي البيوع (2531) .

وستتبعه إن شاء

والتي نرجو من

وبهذه المناس

ومراجعة، وصي

ومتابعتها، وأد

الصحيحة في ض

النائب الثاني، ح

الله تعالى سلسلة من الكتـــب في الحديث، والفقه، والذكر والدعاء،

الله العلي القدير أن ينفـــع بها عموم المسلمين.

بة يسرني أن أشكر الإخوة الذين قاموا بـــإعداد الكتـــاب (تأليفًا،

اغة) جهدهم المخلص، وللأمانة العامـــة للمجمـــع حسن اهتمامها

عو الله تعالى أن يحفظ هذه البلاد راعية للدين، وحامية للعقيدة

ظل قيادة خادم الحرمين الشريفين، وسمـــو ولي عهده الأمين، وسمو

فظهم الله، وآخر دعوانا أن الحمـــد لله رب العالمين.

المقدمة

بسم الله الرحمن الر حيم

الحمد لله الذي أكمل لنا الدين وأتمَّ علينا النعم ة، وجعل أمَّتنا -أمَّـــة الإسلام- خيرَ أمَّة، وبعث فينا رسولًا منَّا يتلو علينا آياته ويزك كينا، ويعلِّمنـــا الكتاب والحكمة، والصلاة والسلام على مَن أرسله الله للعالمين رحمة، نبيِّ يِّنـــا محمد وعلى آله وصحبه.

أمـــا بعد: فإنَّ الحكمة من خلق الجن والإنس هي عبادة الله وحـــده، كما قال تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ ﴾ [1] (الذاريـــات: 56). ولذا كان التوحيد والعقيدة الصحيحة المأخوذةُ من منبعها الأص ـلي وموردهـــا المبارك كتاب الله وسنة رسوله ﷺ هي الغاية لتحقيق تلك العبـــادة، ف ـــهي الأساس لعمارة هذا الكون، وبفقدها يكون فساده وخرابه واختلاله، كـــمـــا قال الله تعـــالى: ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ۚ فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُو ن ﴿٢٢﴾ ﴾ [2] (الأنبياء: 22)، وقال ســـبحانه: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ م ـثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ

على كل شيء قدير وأن الله قد أحاط بكل شيء علما
ذلك من الآيات.

ولما كان غير ممكن للعقول أن تستقلَّ بمعرفة
وأنــزل كتبَه؛ لإيضاحه وبيانه وتفصيله للناس حق
وبصيرة وأسسٍ واضحةٍ ودعائم قويمةٍ، فتتابع رسلُ
كما قال سبحانه: ﴿ وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴾

---

(1) سورة الذاريات آية : 56 .

(2) سورة الأنبياء آية : 22 .

(3) سورة الطلاق آية : 12 .

(4) سورة فاطر آية : 24 .

﴿ ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَا ﴾ [1] (المؤمنون: 44)، أي يتبع بعضُهم بعضًا إلى أن ختمهم بسيِّدهم وأفضلهم وإمامهم نبيِّنا محمد ﷺ فبلّغ الرسالة وأدَّى الأمانة، ونصح الأمَّة، وجاهد في الله حقَّ جهاده ودعا إلى الله ســرًّا وجهرًا، وقام بأعباء الرسالة أكملَ قيام، وأوذيَ في الله أشدَّ الأذى، فصــبر كما صبر أولو العزم من الرسل، ولم يزل داعيًا إلى الله هاديــًا إلى صراطــه المستقيم حتى أظهر الله به الدِّين، وأتم به النِّعمة، ودخل الناس بسبب دعوتــه في دين الله أفواجًا، ولم يَمُت ﷺ حتى أكمل الله به الدِّين وأتمَّ به النِّعمــة، وأنــزل في ذلك سبحانه قولــه: ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَـٰمَ دِينًا ﴾ [2] (المائدة: 3).

فبيَّن صلوات الله وسلامه عليه الدين كلَّه أصوله وفروعه، كما قال إمام دار الهجرة مالك بن أنس رحمه الله: " مُحال أن يُظنَّ بالنبي ﷺ أنه علَّم أمتــه الاستنجاء ولم يعلمهم التوحيد ".

وقد كان ﷺ داعيةً إلى توحيد الله وإخلاص الدِّين لله ونبذ الشرك كــلِّه كبيرِه وصغيره شأن جميع المرسلين؛ إذ أنَّ الرسلَ كلَّهم متَّفقون على ذلــك، متضافرون على

الدعوة إليه، بل هو منطلقُ دعوهم وزبدة رسالتهم وأســـاس بعثتهم، يقول الله تعالى:

﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَٰلَةُ ۚ فَسِيرُوا۟ فِي ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٦﴾ ﴾ [3] (النحل: 36)، وقال:

(1) سورة المؤمنون آية : 44 .

(2) سورة المائدة آية : 3 .

(3) سورة النحل آية : 36 .

﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾ ﴾ [1] (الأنبياء:

25)، وقال تعالى: ﴿ وَسْـَٔلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلْنَا مِن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ءَالِهَةً يُعْبَدُونَ

﴿٤٥﴾ ﴾ [2] (الزخرف: 45)، وقال تعـــالى: ﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا

وَٱلَّذِيٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ۖ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ

ۚ ﴾ [3] (الشـــورى: 13).

وقد ثبت في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال: «الأنبياء

إخوة لعلّات، أمّهاتُهم شتّى ودينُهم واحد» [4] [5] فـــالدِّين واحـــدٌ، والعقيدة

واحدةٌ، وإنّما حصل التنوُّعُ بينهم في الشرائع، كما قـــال تعـــالى: ﴿ لِكُلٍّ جَعَلْنَا

مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ۚ ﴾ [6] (المائدة: 48).

ولذا ينبغي أن يكون متقرِّرا لدى كلِّ مسلم وواضحا لدى كلِّ مؤمـــن أنَّ العقيدة

لا مجال فيها للرأي والأخذ والعطاء، وإنَّما الواجب علـــى كـــلِّ مسلم في مشارق

ض وتعارضا أن يعتقد عقيدة الأنبياء والمرسلين، وأن يؤمن بالأصول التي آمنوا

ودعوا إليها دون تشكُّكٍ أو تـــردُّدٍ، ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ

بها

(1) سورة الأنبياء آية : 25 .

(2) سورة الزخرف آية : 45 .

(3) سورة الشورى آية : 13 .

(4) البخاري أحاديث الأنبياء (3259) ، مسلم الفضائل (2365) ، أبو داود السنة (4675) ، أحمد (406/2) .

(5) صحيح البخاري (3443) ، وصحيح مسلم (2365) .

(6) سورة المائدة آية : 48 .

وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِ ... ۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ

سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ ... ﴿٢٨٥﴾ ﴾ [1] (البقرة: 285).

فهذا شأنُ المؤمنين، وهذا سبيلهم: ا ... لإيمان والتسليم والإذعان والقبـــول، وعندما

يكون المؤمن كذلك ترافقه السلامة، و ... يتحقق له الأمـــن والأمـــان، وتزكو نفسُه،

ويطمئنُّ قلبُه، ويكون بعيدًا تمام البعد ... عمَّا يقع فيه ضلَّال النـــاس بسبب عقائدهم

الباطلة من تناقض واضطراب وشكوك و ... أوهام وحَيرة وتذبذب.

والعقيدة الإسلامية الصحيحة بأصوله ... ا الثابتة وأسسها الســـليمة وقواعدهـــا المتينة

هي – دون غيرها – التي تحقِّق للناس س ... عادتهم ورفعتهم وفلاحهم في الدنيـــا والآخرة؛

لوضوح معالمها، وصحَّة دلائلها، وســـ ... لامة براهينـــها وحججـــها، ولموافقتها للفطرة

السليمة، والعقول الصحيحة، والقلوب ... السويَّة.

ولهذا فإنّ العالَمَ الإسلامي كلّه في ... أشدِّ الحاجة إلى معرفة هذه العقيدة الصافيـــة

النقيَّة؛ إذ هي قطبُ سعادته الذي عليه تـ ... دور، ومستقر نجاته الذي عنه لا تحور.

وفي هذا المؤلّف الوجيز يجد المسلم ... أصولَ العقيدة الإسلامية وأهـــمَّ أسســـها

وابرز اصولها ومعالمها مما لا غنى لمسلم عنه، ويجد ذلك كله مقرونا بدليله، مدعمـا بشواهده، فهو كتاب مشتمل على أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة، وهي أصول عظيمة موروثة عن الرسل، ظاهرة غاية الظهور، يمكن لكل مميِّز من صغـير وكبير أن يُدركها بأقصر زمان وأوجز مدَّة، والتوفيق بيد الله وحده. وبهذه المناسبة نتقدم بالشكر الجزيل للذين ساهموا في إعداد هذا الكتاب وهم: الدكتور صالح بـن سعد السحيمي، والدكتور عبد الرزاق بن عبد المحسن العباد، والدكتور إبراهيم بن عامر الرحيلي. كما نشـكر اللذين قاما بمراجعته وصياغته وهما: الدكتور علي بن محمد ناصر فقيهي، والدكتور أحمد بن عطية الغامدي.

(1) سورة البقرة آية : 285 .

وإنَّا لنرجوه سبحانه أن ينفع به عمومَ المسلمين، وآخر دعوانا أن الحمـد لله رب العالمين.

الأمانة العامة

لمجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف

تمهيد

لا يخفى على كل مسلم أهمية الإيمان، وعظم شأنه، وكـثرة عوائـده وفوائده على المؤمن في الدنيا والآخرة، بل إن كل خير في الدنيا والآخرة متوقف على تحقق الإيمان الصحيح، فهو أجل المطالب، وأهم المقاصد، وأنبل الأهداف، وبه يحيا العبد حياة طيبة سعيدة، وينجو من المكـاره والشـرور والشدائد، وينال ثواب الآخرة ونعيمها المقيم وخيرها الدائم المستمر الذي لا يحول ولا يزول.

قال تعالى: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾ ﴾ [1] (النحل: 97). وقال تعالى: ﴿ وَمَنْ أَرَادَ ٱلْءَاخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ﴿١٩﴾ ﴾ [2] (الإسراء: 19).

وقال تعـالى: ﴿ وَمَن يَأْتِهِۦ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلدَّرَجَٰتُ ٱلْعُلَىٰ ﴿٧٥﴾ ﴾ [3] (طه: 75). وقـال تعـالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتْ لَهُمْ

جَنَّٰتُ ٱلۡفِرۡدَوۡسِ نُزُلًا ﴿١٠٧﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يَبۡغُونَ عَنۡهَا حِوَلٗا ﴿١٠٨﴾ ﴾ [4] (الكهف: 107، 108). والآيات في هذا المعنى في القرآن الكريم كثيرة.

وقد دلت نصوص الكتاب والسنة على أن الإيمان يقوم على الأصـــول الستة، وهي: الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقـــدر خيره وشره، وقد جاء ذكر هذه الأصول في القرآن الكريم والسنة النبويـــة في مواطن عديدة. منها:

---

(1) سورة النحل آية : 97 .

(2) سورة الإسراء آية : 19 .

(3) سورة طه آية : 75 .

(4) سورة الكهف آية : 107 ، 108 .

1 – قوله تعالى: ﴿ يـ ... ـأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ
رَسُولِهِۦ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ ... مِن قَبۡلُۚ وَمَن يَكۡفُرۡ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ
فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا ﴿١٣٦﴾ ﴾ ... [1] (النساء: 136).

2 – وقوله تعالى: ﴿ ... لَّيۡسَ ٱلۡبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمۡ قِبَلَ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلۡبِرَّ
مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَٱلۡ ... مَلَٰٓئِكَةِ وَٱلۡكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾ [2] (البقرة: 177).

3 – وقوله تعالى: ﴿ ... ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ
وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُـ ... ـفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا
وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾ ﴾ [3] (... البقرة: 285).

4 – وقوله تعالى: ﴿ إِنَّـ ... ـا كُلَّ شَيۡءٍ خَلَقۡنَٰهُ بِقَدَرٖ ﴿٤٩﴾ ﴾ [4] (القمر: 49).

5 – وثبت في صحيـ ... ـح مسلم من حديث عمر بن الخطـــاب المشهور بحديث
جبريل ﷺ أن جبريل سأل الـ ... ـنبي ﷺ فقال: أخبرني عن الإيمان، قـــال: (أن تؤمن بالله،

وملائكته، و كتبه، ورسله، و اليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خـيره وشره (5) (6).

فهذه أصول ستة عظيمة يقوم عليها الإيمان، بل لا إيمـان لأحـد إلا بالإيمان بها، وهي أصول مترابطة متلازمة، لا ينفك بعضها عـن بعـض، فالإيمان ببعضها مستلزم للإيمان بباقيها، والكفر ببعضها كفر بباقيها.

---

(1) سورة النساء آية : 136 .

(2) سورة البقرة آية : 177 .

(3) سورة البقرة آية : 285 .

(4) سورة القمر آية : 49 .

(5) مسلم الإيمان (8) ، الترمذي الإيمان (2610) ، النسائي الإيمان وشرائعه (4990) ، أبو داود السنة (4695) ، ابن ماجه المقدمة (63) ، أحمد (27/1) .

(6) صحيح مسلم برقم (1) .

ولذا كان متأكدا في حق كل مسلم أن تعظم عنايته واهتمـامـه بهـذه الأصول علما وتعلما وتحقيقا.

وفيما يلي بيان ما يتعلق بالأصل الأول من هذه الأصول وهو الإيمان بالله.

الباب الأول: الإيمان بالله

إن الإيمان بالله ﷻ هو أهم أصول الإيمـــان، وأعظمـــها شـــأنا، وأعلاها قدرا، بل هو أصل أصول الإيمان، وأساس بنائه، وقوام أمره، وبقيـــة الأصول متفرعة منه، راجعة إليه، مبنية عليه. والإيمان بالله عز وجـــل هـــو الإيمان بوحدانيته سبحانه في ربوبية، وألوهيته، وأسمائه وصفاته، فهذه أصول ثلاثة يقوم عليها الإيمان بالله، بل إن الدين الإسلامي الحنيف إنمـــا ســـمي توحيدا لأن مبناه على أن الله واحد في ملكه وأفعاله لا شريك له، وواحد في ذاته وأسمائه وصفاته لا نظير له، وواحد في ألوهيته وعبادته لا ندَّ له.

وبهذا يعلم أن توحيد الأنبياء والمرسلين ينقسم إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول: توحيد الربوبية ، وهو الإقرار بأنَّ الله تعالى رب كـــلّ شيء ومليكُه وخالقُه ورازقُه، وأَنه المحيي المميتُ النـــافعُ الضـــار، المتفـــرِّدُ بالإجابة عند الاضطرار، الذي له الأمر كله، وبيده الخير كله، وإليه يُرجـــع الأمرُ كله، لا شريك له في ذلك.

القسم الثاني: توحيد الألوهية ، وهو إفراد الله وحده بالذلِّ والخضـــوع والمحبَّة

القسم الثاني: توحيد الألوهية ، وهو إفراد الله وحده بالذل والخضوع والمحبة والخشوع والركوع والسجود والذبح والنذر، وسائر أنواع العبـــادة لا شريك له.

القسم الثالث: توحيد الأسماء والصفات ، وهو إفراد الله تعالى. بما سمـــى ووصف نفسه في كتابه وعلى لسان نبيه ﷺ وتنـــزيهه عـــن النقـــائص والعيوب ومماثلة الخلق فيما هو من خصائصه والإقرار بأنَّ الله بكلِّ شـــيء عليم، وعلى كلِّ شيء قدير، وأنَّه الحـــيُّ القيُّوم الذي لا تأخذه سِنة ولا نـــوم، له المشيئة النافذة والحكمة البالغة، وأنَّه سميع بصير، رؤوف رحيـــم، علـــى العرش استوى، وعلى الملك احتوى، وأنَّه الـــمَلِك القدوس السلام المؤمـــن المهيمن العزيز الجبَّار المتكبِّر، سبحان الله عمَّا يشركون، إلى غير ذلك مـــن الأسماء الحسنى، والصفات العلى.

ولكل قسم من هذه الأقسام الثلاثة دلائلُ كثيرة من الكتاب والسنة.

ه في التوحيد، وحقوقه وجزائه وفي شأن الشـــرك وأهلـــه وجزائهم.
سام الثلاثة للتوحيد قد أخذها أهل العلم بالاستقراء والتتبـــع لنصوص
، وهو استقراء تامٌّ لنصوص الشرع، أفـــاد هـــذه الحقيقة الشرعية،
يد المطلوب من العباد هو الإيمان بوحدانيـــة الله في ربوبيته وألوهيَّته
، فمَن لم يأت بهذا جميعـــه فليـــس بمؤمن، وفيما يلي فصول ثلاثة في
بيان لقســـم مـــن هـــذه الأقسام:

فالقرآن كل
وهذه الأقس
الكتاب والسنة
وهي أنّ التوحي
وأسمائه وصفاته
كل فصل منها

الفصل الأول: توحيد

المبحث الأول: معناه وأدلته من الكتاب

أولا: تعريفه:

أ– لغة : الربوبية مصدر من الفعل ربب، ومنه

مأخوذة من اسم الرب، والرب في كلام العرب يطلق

المطاع، والــمُصْلِح.

ب– أما في الاصطلاح : فإن توحيد الربوبية هو

ومنها الخلق والرزق والسيادة والإنعام والملك

والضر، والإحياء والإماتة، والتدبير المحكــم، والقضا

التي لا شريك له فيها، ولهذا فإن الواجب على العبد

ثانيا: أدلته :

أ– من الكتاب : قوله تعــالى: ﴿ خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَ

رَوَاسِىَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍۚ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱ

الربوبية

والسنة والعقل والفطرة.

الربُّ، فالربوبية صفـــة الله، وهي

ق على معان: منها المالك، والسيد

إفراد الله بأفعاله.

والتصوير، والعطاء والمنع، والنفع

اء والقدر، وغـــير ذلك من أفعاله

أن يؤمن بذلك كله.

ت بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَاۖ وَأَلْقَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ

لسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ

كريم ﴿10﴾ هذا خلق الله فأروني ماذا خلق الذين من دونه بل الظالمون في ضلال مبين ﴿11﴾ [1] (لقمان: 10، 11). وقوله تعالى: ﴿أم خلقوا من غير شيء أم هم الخالقون ﴿35﴾ [2] (الطور: 35)

ب- من السنة : ما رواه الإمام أحمد وأبو داود من حديث عبد الله بن الشخير رضي الله عنه مرفوعا وفيه: (السيد الله تبارك وتعالى..). وقد ثبت في الترمذي وغيره أن النبي ﷺ قال في وصيته لابن عباس رضي الله عنهما:... ﴿واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، وإن اجتمعوا

(1) سورة لقمان آية : 10 ، 11 .

(2) سورة الطور آية : 35 .

على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام وجفت الصحف﴾ [1] [2].

ج- دلالة العقل : دل العقل على وجود الله تعالى وانفراده بالربوبية وكمال قدرته على الخلق وسيطرته عليهم، وذلك عن طريق النظر والتفكر في آيات الله الدالة عليه. وللنظر في آيات الله والاستدلال بها على ربوبيته طرق كثيرة بحسب تنوع الآيات وأشهرها طريقان:

الطريق الأول : النظر في آيات الله في خلق النفس البشرية وهو ما يعرف بـ (دلالة الأنفس)، فالنفس آية من آيات الله العظيمة الدالة على تفرد الله وحده بالربوبية لا شريك له، كما قال تعالى: ﴿وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ ﴿21﴾﴾ [3] (الذاريات: 21)، وقال تعالى: ﴿وَنَفۡسٖ وَمَا سَوَّىٰهَا ﴿7﴾﴾ [4] (الشمس: 7)، ولهذا لو أن الإنسان أمعن النظر في نفسه وما فيها من عجائب صنع الله لأرشده ذلك إلى أن له ربا خالقا حكيما خبيرا؛ إذ لا يستطيع الإنسان أن يخلق النطفة التي كان منها ؟ أو أن يحولها إلى علقة، أو يحول العلقة إلى مضغة، أو

يحول المضغة عظاما، أو يكسو العظام لحما ؟

الطريق الثاني : النظر في آيات الله في خلق الكون وهو ما يعــرف بــ (دلالة الآفاق)، وهذه كذلك آية من آيات الله العظيمة الدالــة علــى ربوبيته، قال الله

---

(1) الترمذي صفة القيامة والرقائق والورع (2516) ، أحمد (293/1) .

(2) سنن الترمذي (2516) ، ومسند أحمد (1 / 307) ، وقد حسن الحديث الترمذي وصححه ، وصححه الحاكم .

(3) سورة الذاريات آية : 21 .

(4) سورة الشمس آية : 7 .

لى: ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ

ى كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾ ﴾ [1] (فصلت: 53).

ومن تأمل الآفاق وما في هذا الكون من سماء وأرض، وما اشتملت عليه السماء
نجوم وكواكب وشمس وقمر، وما اشتملت عليــه الأرض مــن جبال وأشجار
ار وأنهار، وما يكتنف ذلك من ليل ونهار وتسيير هــذا الكون كله بهذا النظام
قيق؛ دله ذلك على أن هناك خالقا لهذا الكــون، موجدًا له مدبِّرًا لشؤونه، وكلما
ر العاقل في هذه المخلوقــات وتغلغــل فكره في بدائع الكائنات علم أنها خُلقت
حق وبالحق، وأنــها صحــائف آيات، وكتب براهين ودلالات على جميع ما أخبر
الله عن نفسه وأدلــة على وحدانيته.

وقد جاء في بعض الآثار أن قوما أرادوا البحث مع الإمام أبي حنيفــة في تقرير
حيد الربوبية، فقال لهم رحمه الله: " أخبروني قبل أن نتكلم في هــذه المسألة عن
ينة في دجلة تذهب فتمتلئ من الطعام وغيره بنفسها وتعــود بنفسها، فترسو
سها وترجع، كل ذلك من غير أن يديرها أحد ؟ ".

فقالوا: " هذا محال لا يمكن أبدا. فقال لهم: إذا كان هــذا محــالا في سفينة فكيف هذا العالم كله علوه وسفله ؟ ".

فنبه إلى أن اتساق العالم ودقة صنعه وتمام خلقه دليل علــى وحدانيــة خالقه مرده.

في

وتف

سورة فصلت آية : 53 .

(1)

المبحث الثاني: بيان أن الإقرار بهذا التوحيد وحده لا ينجي من العذاب.

إن توحيد الربوبية هو أحد أنواع ا لتوحيد الثلاثة كما تقدم؛ ولذا فإنــه لا يصح إيمان أحد ولا يتحقق توحيده إلا إذا وحـ حد الله في ربوبيته، لكن هذا النوع من التوحيد ليس هو الغاية من بعثة الرسل عليهم ال سلام، ولا ينجــي وحده من عذاب الله ما لم يأت العبد بلازمه توحيد الألوهية.

ولذا يقول الله تعالى: ﴿ وَمَـ ا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴾ [1] (يوسف: 106)، والمعنى أ ي: ما يقر أكثرهم بالله ربا وخالقا ورازقا ومدبــرا- وكل ذلك من توحيد الربو بية – إلا وهم مشركون معه في عبادته غيره مــن الأوثان والأصنام التي لا تضر ولا تنفع، ولا تعطي ولا تمنع.

وبهذا المعنى للآية قال المفسرون من الصحابة والتابعين.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: " من إيمانهم إذا قيل لهم مــن خلــق السماء، ومن خلق الأرض ومن خلق الجبال ؟ قا لوا: الله وهم مشركون ".

وقال عِكْرِمَة: " تسألهم من خلقهم ومن خلــق السماوات والأرض فيقولون الله

خالقنا ويرزقنا ويميتنا فهذا إيمان مع شـــرك

بن زيد: " ليس أحد يعبد مـــع الله غيره إلا

نَّ الله خالقُه ورازقُه، وهـــو يشرك به، ألا ترى

كُنتُمۡ تَعۡبُدُونَ ﴿٧٥﴾ أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلۡأَقۡدَمُونَ ﴿٧٦﴾

الشـــعراء: 75- 77) " [1] .

فذلك إيمانهم بالله، وهم يعبدون غيره ".

وقال مجاهد: " إيمانهم قولهم: الله

عبادتهم غيره ".

وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم

وهو مؤمن بالله ويعرف أن الله ربُّه، وأنَّ

كيف قال إبراهيم: ﴿ قَالَ أَفَرَءَيۡتُم مَّا

فَإِنَّهُمۡ عَدُوّٞ لِّيٓ إِلَّا رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٧٧﴾ ﴾ [2] (

(1) سورة يوسف آية : 106 .

(2) سورة الشعراء آية : 75 ، 77 .

والنصوص عن السلف في هذا المعنى كثيرة، بل لقد كـــان المشـــر

النبي ﷺ مقرين بالله ربا خالقا رازقا مدبرا، وكان شركهم به من جهـــة العب

اتخذوا الأنداد والشركاء يدعوهم ويستغيثون بهم وينزلون بهم حاجاتهم وطلباتـ

وقد دل القرآن الكريم في مواطن عديدة منه علـــى إقـــرار المشـــركين

الله مع إشراكهم به في العبادة، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ وَلَئِن سَأَلۡتَهُم مَّنۡ خَلَقَ

وَٱلۡأَرۡضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُۖ فَأَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ ﴿٦١﴾ ﴾ [2] (العنكبوت

وقوله تعالى: ﴿ وَلَئِن سَأَلۡتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَحۡيَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ مِنۢ

لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُۚ قُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِۚ بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ ﴿٦٣﴾ ﴾ [3] (العنكبوت: 63

تعالى: ﴿ وَلَئِن سَأَلۡتَهُم مَّنۡ خَلَقَهُمۡ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُۖ فَأَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ ﴿٨٧﴾ ﴾ [4] (الزخرف

وقوله تعالى: ﴿ قُل لِّمَنِ ٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّ

تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾ قُلۡ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبۡعِ وَرَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِ

تَتَّقُونَ ﴿٨٧﴾ قُلۡ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيۡءٖ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيۡهِ إِن كُنتُمۡ تَ

كون زمن

ادة حيث

هم.

ن بربوبية

ِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ

ت: 61)،

بَعۡدِ مَوۡتِهَا

6)، وقوله

ت: 87)،

لَّهِۚ قُلۡ أَفَلَا

لَّهِۚ قُلۡ أَفَلَا

عۡلَمُونَ ﴿٨٨﴾

سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ ﴿٨٩﴾ [5] (المؤمنون: 84- 89).

فلم يكن المشركون يعتقدون أن الأصنام هي التي تنزل الغيث وترزق ال
شؤونه، بل كانوا يعتقدون أن ذلك من خصائص الرب سبحانه، و
أوثانهم التي يدعون من دون الله مخلوقة لا تملك لأنفسها ولا لعابديها ضرا
استقلالا ولا موتا ولا حياة ولا نشورا، ولا تسمع ولا تبصر، ويقرون أ

عالم وتدبر
يقرون أن
ولا نفعا
ن الله هو

(1) انظر : تفسير ابن جرير (7 / 312- 313) .
(2) سورة العنكبوت آية : 61 .
(3) سورة العنكبوت آية : 63 .
(4) سورة الزخرف آية : 87 .
(5) سورة المؤمنون آية : 84 – 89 .

المتفرد بذلك لا شريك له، ليس إليهم ولا إلى أوثانهم شيء من ذلك، وأنه سبحانه الخالق وما عداه مخلوق والرب وما عداه مربوب، غير أنهم جعلوا له من خلقه شركاء ووسائط، يشفعون لهم بزعمهم عند الله ويقربونهم إليه زلفى؛ ولذا قال الله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَ مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ ﴾ [1] (الزمر: 3)، أي ليشفعوا لهم عند الله في نصرهم ورزقهم وما ينوبهم من أمر الدنيا.

ومع هذا الإقرار العام من المشركين لله بالربوبية إلا أنه لم يدخلهم في الإسلام بل حكم الله فيهم بأنهم مشركون كافرون وتوعدهم بالنار والخلود فيها واستباح رسوله ﷺ دماءهم وأموالهم لكونهم لم يحققوا لازم توحيد الربوبية وهو توحيد الله في العبادة.

وبهذا يتبين أن الإقرار بتوحيد الربوبية وحده دون الإتيان بلازمه توحيد الألوهية لا يكفي ولا ينجي من عذاب الله، بل هو حجة بالغة على الإنسان تقتضي إخلاص الدين لله وحده لا شريك له، وتستلزم إفراد الله وحده بالعبادة. فإذا لم يأت بذلك فهو

كافر حلال الدم والمال.

(1) سورة الزمر آية : 3 .

المبحث الثالث: مظاهر الانحراف في توحيد الربوبية

بالرغم من أن توحيد الربوبية أمر مركوز في الفطر، مجبولـة عليـه النفوس،
متكاثرة على تقريره الأدلة ة، إلا أنه وجد في الناس من حصل عنـده انحراف فيه،
ويمكن تلخيص مظاهر الانح راف في هذا الباب فيما يلي:

1 - جحد ربوبية الله أصلًا وإنكار وجوده سبحانه، كما يعتقد ذلـك الملاحدة
الذين يسندون إيجاد هذه ا لمخلوقات إلى الطبيعة، أو إلى تقلب الليل والنهار، أو نحو
ذلك ﴿ وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ ﴾ (1) (الجاثية:
24).

2- جحد بعض خصائ ص الرب سبحانه وإنكار بعض معاني ربوبيتـه، كمن ينفي
قدرة الله على إماتته أو إحي ائه بعد موته، أو جلب النفع لـه أو دفع الضر عنه، أو نحو
ذلك.

3- إعطاء شيء من خصائص الربوبية لغير الله سبحانه، فمن اعتقـد وجود
متصرف مع الله ﷻ في أي شيء من تدبير الكون من إيجـاد أو إعدام أو إحياء أو

إماتة أو جلب خير أو دفع شر أو غير ذلك من معاني الربوبية فهو مشرك بالله العظيم.

(1) سورة الجاثية آية : 24 .

الفصل الثاني: توحيد الألوهية

الألوهية مشتقة من اسم الإله، أي المعبود المطاع، فالإله اسم من أسماء الله الحسنى، والألوهية صفة من صفات الله العظيمة، فهو سبحانه المألوه المعبود الذي يجب أن تألهه القلوب وتخضع له وتذل وتنقاد؛ لأنه سبحانه الرب العظيم، الخالق لهذا الكون، المدبر لشؤونه، الموصوف بكل كمال، المنزه عن كل نقص، ولهذا فإن الذل والخضوع لا ينبغي إلا له، فحيث كان متفردا بالخلق والإنشاء والإعادة لا يشركه في ذلك أحد وجب أن ينفرد وحده بالعبادة دون سواه لا يشرك معه في عبادته أحد.

فتوحيد الألوهية هو إفراد الله وحده بالعبادة، وذلك بأن يعلم العبدُ علمَ اليقين أن الله وحده هو المألوه المعبود على الحقيقة، وأن صفات الألوهية ومعانيها ليست موجودة في أحد من المخلوقات ولا يستحقها إلا الله تعالى، فإذا علم العبد ذلك واعترف به حقا أفرد الله بالعبادة كلها الظاهرة والباطنة، فيقوم بشرائع الإسلام الظاهرة كالصلاة والزكاة والصوم والحج والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وبرِّ الوالدين وصلة الأرحام، ويقوم بأصوله الباطنة من الإيمان بالله وملائكته وكتبه

ورسله واليوم الآخر والقـدر خيره وشره، لا يقصد بشيء من ذلك غرضا من الأغراض غير رضا ربـه وطلب ثوابه.

وفي هذا الفصل سيتم تناول جملةٍ من المباحث المهمة المتعلقة بهذا النـوع من التوحيد.

المبحث الأول: أدلته، وبيان أهميته

المطلب الأول: أدلّتُه.

لقد تضافرت النصوص وتظاهرت الأدلة علـى وجـوب إفـراد الله بالألوهية، وتنوعت في دلالتها على ذلك:

1 – تارة بالأمر به، كما في قوله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴾ [1] (البقـرة: 21)، وقولـه: ﴿ ۞ وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـًٔا ﴾ [2] (النساء: 36)، وقوله: ﴿ ۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ ﴾ [3] (الإسراء: 23)، ونحوها من الآيات.

2 – وتارة ببيان أنه الأساس لوجود الخليقة والمقصود من إيجاد الثقلين، كما قال تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ ﴾ [4] (الذاريات: 56).

3 – وتارة ببيان أنه المقصود من بعثة الرسل كمـا في قولـه تعـالى: ﴿ وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّـٰغُوتَ ﴾ [5] (النحـل: 36)،

وقوله: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾ ﴾ (6) (الأنبياء: 25).

---

(1) سورة البقرة آية : 21 .
(2) سورة النساء آية : 36 .
(3) سورة الإسراء آية : 23 .
(4) سورة الذاريات آية : 56 .
(5) سورة النحل آية : 36 .
(6) سورة الأنبياء آية : 25 .

4 – وتارة ببيان أنه المقصود من إنزال الكتب الإلهية، كما في قوله تعالى: ﴿ يُنَزِّلُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ أَنْ أَنذِرُوٓا۟ أَنَّهُۥ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱتَّقُونِ ﴿٢﴾ ﴾ (1) (النحل: 2).

5 – وتارة ببيان عظيم ثواب أهله وما أعد لهم من أجور عظيمة ونعم كريمة في الدنيا والآخرة، كما قال الله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَـٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾ (2) (الأنعام: 82).

6 – وتارة بالتحذير من ضده، وبيان خطورة مناقضته، وذكر ما أعد سبحانه من عقاب أليم لمن تركه، كقوله تعالى: ﴿ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّـٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٧٢﴾ ﴾ (3) (المائدة: 72)، وقوله تعالى: ﴿ وَلَا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ فَتُلْقَىٰ فِى جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا ﴿٣٩﴾ ﴾ (4) (الإسراء: 39).

إلى غير ذلك من أنواع الأدلة المشتملة على تقرير التوحيد والدعوة إليه والتنويه بفضله وبيان ثواب أهله وعظم خطورة مخالفته.

والسنة النبوية كذلك مليئة بالأدلة على هذا التوحيد وأهميته، من ذلك:

1 – ما رواه البخاري في صحيحه عن معاذ بن جبل ﷺ قال: قال النبي ﷺ « يا معاذ أتدري ما حق الله على العباد ؟ قال: الله ورسوله أعلم. قـال: أن يعبدوه ولا

(1) سورة النحل آية : 2 .
(2) سورة الأنعام آية : 82 .
(3) سورة المائدة آية : 72 .
(4) سورة الإسراء آية : 39 .

يشركوا به شيئا، أتدري ما حقهم عليه ؟ قال: الله ورسـوله أعلم. قال: أن لا يعذبهم » [1] [2] .

2 – وعن ابن عباس ﷺ قال: لما بعث النبي ﷺ معاذا نحو اليمن قال لـه: « إنك تقدم على قوم من أهل الكتاب فليكـن أول مـا تدعوهـم إلى أن يوحدوا الله تعالى فإذا عرفوا ذلك فأخبرهم أن الله فـرض عليـهم خمـس صلوات » [3] ....، الحديث، رواه البخاري [4].

3 – وعن ابن مسعود ﷺ أن رسـول الله ﷺ قـال: « مـن مـات وهـو يـدعو من دون الله نـدًّا دخل النار » [5] ، رواه البخاري [6] .

4 – وعن جابر بن عبد الله ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: « من لقي الله لا يشرك به شيئا دخل الجنة، ومن لقيه يشرك به شيئا دخـل النـار » [7] ، رواه مسلم [8] .

والأحاديث في هذا الباب كثيرة.

(1) البخاري التوحيد (6938) ، مسلم الإيمان (30) ، التر... مذي الإيمان (2643) ، ابن ماجه الزهد (4296) ، أحمد (230/5) .

(2) صحيح البخاري (7373) .

(3) البخاري المغازي (4090) ، مسلم الإيمان (19) ، الترمذي ا... الزكاة (625) ، النسائي الزكاة (2435) ، أبو داود الزكاة (1584) ، ابن ماجه الزكاة (1783) ، أحمد ... (233/1) ، الدارمي الزكاة (1614) .

(4) صحيح البخاري (7372) .

(5) البخاري تفسير القرآن (4227) ، مسلم الإيمان (92) ، أحمد ... (443/1) .

(6) صحيح البخاري (4497) .

(7) البخاري العلم (129) ، مسلم الإيمان (32) ، أحمد (244/3 ... (2

(8) صحيح مسلم (93) .

المطلب الثاني: بيان أهميته وأنه أساس دعوة الرسل.

لا ريب أن توحيد الألوهية هو أعظم الأصول على الإطلاق وأكملها وأفضلها وألزمها لصلاح الإنسانية، وهو الذي خلق الله الجن والإنس لأجله، وخلق المخلوقات وشرع الشرائع لقيامه، وبوجوده يكون الصلاح، وبفقده يكون الشر والفساد، ولذا كان هذا التوحيد زبدة دعوة الرسل وغاية رسالتهم وأساس دعوتهم، يقول الله تبارك وتعالى: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ ﴾ [1] (النحل: 36)، وقال: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴾ [2] (الأنبياء: 25).

وقد دل القرآن الكريم في مواطن عديدة أن توحيد الألوهية هو مفتاح دعوة الرسل، وأن كل رسول يبعثه الله يكون أول ما يدعو قومه إليه توحيد الله وإخلاص العبادة له، قال الله تعالى: ﴿ ۞ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ﴾ [3] (الأعراف: 65)، وقال تعالى: ﴿ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ

ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ﴾ [4] (الأعراف: 73)، وقال تعالى: ﴿ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ﴾ [5] (الأعراف: 85).

---

(1) سورة النحل آية : 36 .
(2) سورة الأنبياء آية : 25 .
(3) سورة الأعراف آية : 65 .
(4) سورة الأعراف آية : 73 .
(5) سورة الأعراف آية : 85 .

المطلب الثالث: بيان أنه محور الخصومة بين الرسل وأممهم.

تقدم أن توحيد العبادة هو مفتتح دعوات الرسل جميعهم، فما من رسول بعثه
، إلا وكان أول ما يدعو قومه إليه هو توحيد الله، ولذا كانت الخصومة بين الأنبياء
قوامهم في ذلك، فالأنبياء يدعوهم إلى توحيد الله وإخلاص العبادة له، والأقوام
سرون على البقاء على الشرك وعبادة الأوثان إلا من هداه الله منهم.

قال الله تعالى عن قوم نوح عليه السلام: ﴿ وَقَالُواْ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا
وَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾ وَقَدْ أَضَلُّواْ كَثِيرًا ۖ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا ضَلَٰلًا
﴾ [1] (نوح: 23-24)، وقال عن قوم هود عليه السلام: ﴿ قَالُوٓاْ أَجِئْتَنَا
أْفِكَنَا عَنْ ءَالِهَتِنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٢٢﴾ ﴾ [2] (الأحقاف: 22)، ﴿
لُواْ يَٰهُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِىٓ ءَالِهَتِنَا عَن قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ
﴾ [3] (هود: 53).

وقال عن قوم صالح عليه السلام: ﴿ قَالُواْ يَٰصَٰلِحُ قَدْ كُنتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَٰذَآ ۖ

هىٰنَآ أَن نَّعۡبُدَ مَا يَعۡبُدُ ءَابَآؤُنَا وَإِنَّنَا لَفِى شَكٍّ مِّمَّا تَدۡعُونَآ إِلَيۡهِ مُرِيبٍ ﴿٦٢﴾ ﴾ [4] (هود: 62).

وقال عن قوم شعيب عليه السلام: ﴿ قَالُواْ يَـٰشُعَيۡبُ أَصَلَوٰتُكَ تَأۡمُرُكَ أَن نَّتۡرُكَ مَا يَعۡبُدُ ءَابَآؤُنَآ أَوۡ أَن نَّفۡعَلَ فِىٓ أَمۡوَٰلِنَا مَا نَشَـٰٓؤُاْ ۖ إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلۡحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ ﴿٨٧﴾ ﴾ [5] (هود: 87).

(1) سورة نوح آية : 23 ، 24 .
(2) سورة الأحقاف آية : 22 .
(3) سورة هود آية : 53 .
(4) سورة هود آية : 62 .
(5) سورة هود آية : 87 .

عَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنۡهُمۡ ۖ وَقَالَ ٱلۡكَـٰفِرُونَ هَـٰذَا

إِنَّ هَـٰذَا لَشَىۡءٌ عُجَابٌ ﴿٥﴾ وَٱنطَلَقَ ٱلۡمَلَأُ مِنۡهُمۡ أَنِ

يُرَادُ ﴿٦﴾ مَا سَمِعۡنَا بِهَـٰذَا فِى ٱلۡمِلَّةِ ٱلۡأَخِرَةِ إِنۡ هَـٰذَآ إِلَّا

إِلَّا هُزُوًا أَهَـٰذَا ٱلَّذِى بَعَثَ ٱللَّهُ رَسُولاً ﴿٤١﴾ إِن كَادَ

وَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ حِينَ يَرَوۡنَ ٱلۡعَذَابَ مَنۡ أَضَلُّ

تَ تَكُونُ عَلَيۡهِ وَكِيلاً ﴿٤٣﴾ أَمۡ تَحۡسَبُ أَنَّ أَكۡثَرَهُمۡ

مۡ بَلۡ هُمۡ أَضَلُّ سَبِيلاً ﴿٤٤﴾ ﴾ [2] (الفرقان: 41-

دل أوضح دلالـــة أن المعـــترك والخصومة بين

العبادة والدعـــوة إلى إخلاص الدين لله.

قال: « أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن

وقال عن كفـــار قريـــش: ﴿ وَ

سَـٰحِرٌ كَذَّابٌ ﴿٤﴾ أَجَعَلَ ٱلۡأَلِهَةَ إِلَـٰهًا وَٰحِدًا

ٱمۡشُواْ وَٱصۡبِرُواْ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمۡ ۖ إِنَّ هَـٰذَا لَشَىۡءٌ

ٱخۡتِلَـٰقٌ ﴿٧﴾ ﴾ [1] (ص: 4-7).

وقـــال: ﴿ وَإِذَا رَأَوۡكَ إِن يَتَّخِذُونَكَ

لَيُضِلُّنَا عَنۡ ءَالِهَتِنَا لَوۡلَآ أَن صَبَرۡنَا عَلَيۡهَ

سَبِيلاً ﴿٤٢﴾ أَرَءَيۡتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَـٰهَهُۥ هَوَىٰهُ أَفَأَ

يَسۡمَعُونَ أَوۡ يَعۡقِلُونَ ۚ إِنۡ هُمۡ إِلَّا كَٱلۡأَنۡعَ

44).

فهذه النصوص وما جاء في معناها ت

الأنبياء وأقوامهم إنما كان حول توحيد

وقد ثبت في الصحيح أن النبي ﷺ

قيمــوا الصـــلاة ويؤتـــوا الزكاة، فإذا فعلوا

ـــق الإســـلام وحسابهم على الله [3] [4].

ﷺ قال: من قال لا إله إلا الله وكفر بما يعبد

ى الله [5] [6].

لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وي

ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا

وثبت في الصحيح أيضا عن النبي ﷺ

من دون الله حرُم ماله ودمه وحسابه عل

---

(1) سورة ص آية : 4 – 7 .

(2) سورة الفرقان آية : 41 – 44 .

(3) البخاري الإيمان (25) ، مسلم الإيمان (22) .

(4) صحيح البخاري برقم (52) ، وصحيح مسلم برقم (22) .

(5) مسلم الإيمان (23) ، أحمد (394/6) .

(6) صحيح مسلم برقم (23) .

المبحث الثاني: وجوب إفراد الله بالعبادة، وتحته مطالب

المطلب الأول: معنى العبادة والأصول التي تُبنى عليها.

العبادة في اللغة: الذل والخضوع، يقال: بعير معبد، أي: مذلل، وطريق معبد: إذا كان مذللا قد وطئته الأقدام.

وشرعا: هي اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة.

وسيأتي ما يوضح ذلك عند ذكر بعض أنواع العبادة.

وهي تبنى على ثلاثة أركان:

الأول: كمال الحب للمعبود سبحانه، كما قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ۗ ﴾ [1] (البقرة: 165).

الثاني: كمال الرجاء، كما قال تعالى: ﴿ وَيَرۡجُونَ رَحۡمَتَهُۥ ﴾ [2] (الإسراء: 57).

الثالث: كمال الخوف من الله سبحانه، كما قال تعالى: ﴿ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ ۚ ﴾ [3] (الإسراء: 57

﴾ (الإسراء: 57).

وقد جمع الله سبحانه بين هذه الأركان الثلاثة العظيمة في فاتحة الكتـــاب في قوله سبحانه: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝ ﴾ [4] ﴿ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝ ﴾ [5] ﴿ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ۝ ﴾ [6] ، فالآية الأولى فيها المحبة؛ فإن الله منعم، والمنعم يُحبُّ علـــى

---

(1) سورة البقرة آية : 165 .

(2) سورة الإسراء آية : 57 .

(3) سورة الإسراء آية : 57 .

(4) سورة الفاتحة آية : 2 .

(5) سورة الفاتحة آية : 3 .

(6) سورة الفاتحة آية : 4 .

قـــدر إنعامه، والآية الثانية ... فيها الرجاء، فالمتصف بالرحمة ترجى رحمتـــه، والآية الثالثة فيها الخوف، فمالك الجزاء ... والحساب يخاف عذابه.

ولهذا قال تعالى عقب ... ذلك: ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ ﴾ [1] ، أي: أعبدك يا رب هـــذه الثلاث: بمحبتك التي دل ... عليها: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝ ﴾ [2] ، ورجائك الـــذي دل عليه: ﴿ ٱلرَّحْ ... ـمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝ ﴾ [3] ، وخوفـــك الـــذي دل عليـــه: ﴿ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ۝ ﴾ [4] ... .

والعبادة لا تقبل إلا بشـ ... ـرطين:

1 - الإخلاص فيها لـ ... ـلمعبود ؛ فإن الله لا يقبل من العمل إلا الخـــالص لوجهه سبحانه، قال تعالى: ﴿ وَمَ ... آ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ﴾ [5] (البينة: 5)، وقال تعالى: ﴿ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِـ ... ـصُ ﴾ [6] (الزمر: 3)، وقال تعـــالى: ﴿ قُلِ ٱللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَّهُۥ دِينِى ۝ ﴾ [7] (الزمر: ... 14).

2 - المتابعة للرسول ... صلى الله عليه وسلم؛ فإن الله لا يقبل من العمل إلا الموافق

تعالى: ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟

هدي الرسول ﷺ قال الله

(1) سورة الفاتحة آية : 5 .
(2) سورة الفاتحة آية : 2 .
(3) سورة الفاتحة آية : 3 .
(4) سورة الفاتحة آية : 4 .
(5) سورة البينة آية : 5 .
(6) سورة الزمر آية : 3 .
(7) سورة الزمر آية : 14 .

﴾ [1] (الحشر: 7)، وقال تعالى: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾ ﴾ [2] (النساء: 65).

وقوله ﷺ من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فـهو رد [3] [4] (أي مردود عليه).

فلا عبرة بالعمل ما لم يكـن خالصا لله صوابا على سنة رسـول الله ﷺ قال الفضيل بن عياض رحمه الله في قوله تعـالى: ﴿ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾ [5] (هود: 7، الملك: 2): " أخلصه وأصوبه "، قيل: يا أبا علي، وما أخلصه وأصوبه ؟ قال: " إن العمل إذا كان خالصا ولم يكن صوابا لم يقبل، وإذا كان صوابا ولم يكن خالصا لم يقبل حتى يكون خالصا صوابا، والخالص مـا كان لله، والصواب ما كان على السنة " [6] .

ومن الآيات الجامعة لهذين الشرطين قوله تعالى في آخر سورة الكهف: ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا

﴿ وَلَا يُشۡرِكۡ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَۢا ﴾ [7] (الكهف: 110).

(1) سورة الحشر آية : 7 .
(2) سورة النساء آية : 65 .
(3) البخاري الصلح (2550) ، مسلم الأقضية (1718) ، أبو داود السنة (4606) ، ابن ماجه المقدمة (14) ، أحمد (270/6) .
(4) صحيح البخاري برقم (2697) .
(5) سورة هود آية : 7 .
(6) حلية الأولياء : (8 / 95) .
(7) سورة الكهف آية : 110 .

المطلب الثاني: ذكر بعض أنواع العبادة.

العبادة أنواعها كثيرة، فكل عمل صالح يحبه الله ويرضاه قولي أو فعلي ظاهر أو باطن فهو نوع من أنواعها وفرد من أفرادها، وفيما يلي ذكر بعض الأمثلة على ذلك:

1 - فمن أنواع العبادة: الدعاء، بنوعيه دعاء المسألة، ودعاء العبادة.

قال الله تعالى: ﴿ فَٱدۡعُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ﴾ [1] (غافر: 14)، وقال تعالى: ﴿ وَأَنَّ ٱلۡمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدۡعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدٗا ﴾ [2] (الجن: 18)، وقال تعالى: ﴿ وَمَنۡ أَضَلُّ مِمَّن يَدۡعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسۡتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَهُمۡ عَن دُعَآئِهِمۡ غَٰفِلُونَ ۝ وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُواْ لَهُمۡ أَعۡدَآءٗ وَكَانُواْ بِعِبَادَتِهِمۡ كَٰفِرِينَ ۝ ﴾ [3] (الأحقاف: 5- 6).

فمن دعا غير الله ﷻ بشيء لا يقدر عليه إلا الله فهو مشرك كافر سواء كان المدعو حيا أو ميتا، ومن دعا حيا. بما يقدر عليه مثل أن يقول: يا فلان أطعمني، أو يا

لأن الميت والغائب لا يمكن أن يقوم. بمثل هذا.

والدعاء نوعان: دعاء المسألة ودعاء العبادة.

فدعاء المسألة، هو سؤال الله من خيري الدنيا والآخرة، ودعاء العبـــادة يدخل فيه كل القربات الظاهرة والباطنة؛ لأن المتعبد لله طالب بلسان مقالــه ولسان حاله من ربه قبول تلك العبادة والإثابة عليها.

---

(1) سورة غافر آية : 14 .

(2) سورة الجن آية : 18 .

(3) سورة الأحقاف آية : 5 ، 6 .

رد في القرآن من الأمر بالدعاء والنهي عن دعــاء غـــير الله والثناء

تناول دعاء المسألة ودعاء العبادة.

4 – ومن أنواع العبادة: المحبة والخوف والرجاء، وقد تقـــدم الكلام

ا أركان للعبادة.

أنواعها: التوكل، وهو الاعتماد على الشيء.

على الله: هو صدق تفويض الأمر إلى الله تعالى اعتمادا عليـــه وثقة به مع

ع وأباح من الأسباب لتحصيــــل المنـــافع ودفـــع المضار، قال الله

ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٣﴾ ﴾ [1] (المائدة: 23)، وقال تعالى: ﴿ وَمَن

فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ﴾ [2] (الطلاق: 3).

– ومن أنواع العبادة: الرغبة والرهبة والخشوع.

ة: فمحبة الوصول إلى الشيء المحبوب، والرهبة: الخوف المثمـــر للهرب

والخشوع: الذل والخضوع لعظمة الله بحيث يستســـلم لقضائه الكوني

الله تعالى في ذكر هذه الأنواع الثلاثة مـــن العبادة: ﴿ إِنَّهُمْ كَانُواْ

يُسۡرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَيَدۡعُونَنَا رَغَبٗا وَرَهَبٗاۖ وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾ ﴾ (3) (الأنبياء: 90).

9 – ومن أنواعها: الخشية، وهي الخوف المبني على العلم بعظمة من يخشاه وكمال سلطانه، قال الله تعالى: ﴿ مِنۡهُمۡ فَلَا تَخۡشَوۡهُمۡ ﴾ (4) (البقرة: 150).

﴿ فَلَا تَخۡشَوۡهُمۡ وَٱخۡشَوۡنِۚ ﴾ (1) (المائدة: 3).

---

(1) سورة المائدة آية : 23 .

(2) سورة الطلاق آية : 3 .

(3) سورة الأنبياء آية : 90 .

(4) سورة البقرة آية : 150 .

10- ومنها الإنابة ، وهي الرجوع إلى الله تعالى بالقيام بطاعته واجتناب معصيته، قال الله تعالى: ﴿ وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمۡ وَأَسۡلِمُواْ لَهُۥ ﴾ (2) (الزمر: 54).

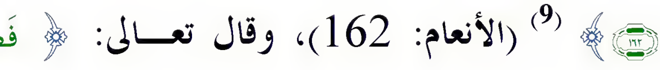
11 – ومنها: الاستعانة ، وهي طلب العون من الله في تحقيق أمور الدين والدنيا، قال الله تعالى: ﴿ إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ﴿٥﴾ ﴾ (3) ، وقال ﷺ في وصيته لابن عباس: « إذا استعنت فاستعن بالله » (4) (5) .

12 – ومنها: الاستعاذة ، وهي طلب الإعاذة والحماية من المكروه، قال الله تعالى: ﴿ قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلۡفَلَقِ ﴿١﴾ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ﴿٢﴾ ﴾ (6) وقال تعالى ﴿ قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ﴿١﴾ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ﴿٢﴾ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ﴿٣﴾ مِن شَرِّ ٱلۡوَسۡوَاسِ ٱلۡخَنَّاسِ ﴿٤﴾ ﴾ (7) .

13 – ومنها الاستغاثة ، وهو طلب الغوث، وهو الإنقاذ من الشدة والهلاك، قال الله تعالى: ﴿ إِذۡ تَسۡتَغِيثُونَ رَبَّكُمۡ فَٱسۡتَجَابَ لَكُمۡ ﴾ (8) (الأنفال: 9).

14 – ومنها الذبح ، وهو إزهاق الروح بإراقة الدم على وجه الخصوص تقربا إلى الله، قال الله تعالى: ﴿ قُلۡ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحۡيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ

﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنۡحَرۡ ﴿٢﴾ ﴾ [1] (الكوثر:



2).

(1) سورة المائدة آية : 3 .

(2) سورة الزمر آية : 54 .

(3) سورة الفاتحة آية : 5 .

(4) الترمذي صفة القيامة والرقائق والورع (2516) ، أحمد (1/308) .

(5) سنن الترمذي (2516) ، ومسند أحمد (1 / 307) ، وقد حسن الحديث الترمذي وصححه الحاكم .

(6) سورة الفلق آية : 1 ، 2 .

(7) سورة الناس آية : 1 – 4 .

(8) سورة الأنفال آية : 9 .

(9) سورة الأنعام آية : 162 .

15 – ومنها النذر ، وهو إلزام المرء نفسه بشيء ما، أو طاعة لله غير واجبة، قال الله تعالى: ﴿ يُوفُونَ بِٱلنَّذۡرِ وَيَخَافُونَ يَوۡمٗا كَانَ شَرُّهُۥ مُسۡتَطِيرٗا ﴿٧﴾ ﴾ [2] (الإنسان: 7).

فهذه بعض الأمثلة على أنواع العبادة، وجميع ذلك حق لله وحده لا يجوز صرف شيء منه لغير الله.

والعبادة بحسب ما تقوم به من الأعضاء على ثلاثة أقسام:

القسم الأول: عبادات القلب، كالمحبة والخوف والرجاء والإنابة والخشية والرهبة والتوكل ونحو ذلك.

القسم الثاني: عبادات اللسان، كالحمد والتهليل والتسبيح والاستغفار وتلاوة القرآن والدعاء ونحو ذلك.

القسم الثالث: عبادات الجوارح، كالصلاة والصيام والزكاة والحج والصدقة والجهاد، ونحو ذلك.

(1) سورة الكوثر آية : 2 .

(2) سورة الإنسان آية : 7 .

المبحث الثالث: حماية المصطفى ﷺ جناب التوحيد

لقد كان النبي ﷺ حريصا أشد الحرص على أمته؛ لتكون عزيزة منيعــة محققة وحيد الله ﷻ مجانبة لكل الوسائل والأسباب المفضية لما يضاده ويناقضه، قال الله الى: ﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم لْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾ ﴾ [1] (التوبة: 128).

وقد أكثر ﷺ في النهي عن الشرك وحذر وأنذر وأبدأ وأعاد وخص وعم في حماية لحنيفية السمحة ملة إبراهيم التي بعث بها من كل مــا قــد يشوبها من الأقوال الأعمال التي يضمحل معها التوحيد أو ينقص، وهــذا كثير في السنة الثابتة عنه ﷺ قام الحجة، وأزال الشبهة، وقطع المعــذرة، وأبان السبيل.

وفي المطالب التالية عرض يتبين من خلاله حماية المصطفــى ﷺ حمــى التوحيد سده كل طريق يفضي إلى الشرك والباطل.

المطلب الأول: الرقى.

أ- تعريفها: الــرقى جمــع رقية، وهي القراءة والنفث طلبا للشفاء والعافية،

سواء كانت من القرآن الكريم أو من الأدعية النبوية المأثورة.

ب- حكمها: الجواز، ومن الأدلة على ذلك ما يلي:

فعن عوف بن مالك ﷺ قال: « كنا نرقي في الجاهلية فقلنا: يا رسول الله كيف ترى في ذلك ؟ فقال: اعرضوا علي رقاكم، لا بأس بالرقى ما لم يكن فيه شرك »[2] ، رواه مسلم[3] .

(1) سورة التوبة آية : 128 .

(2) مسلم السلام (2200) ، أبو داود الطب (3886) .

(3) صحيح مسلم برقم (2200) .

وعن أنس بن مالك ﷺ قال: « رخص رسول الله ﷺ في الرقية من العين[1] والحمة[2] والنملة »[3]، رواه مسلم[4] .

وعن جابر بن عبد الله ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ « من استطاع أن ينفع أخاه فليفعل »[5] ، رواه مسلم[6] .

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: « كان رسول الله ﷺ إذا اشتكى منا إنسان مسحه بيمينه ثم قال: أذهب الباس رب الناس واشف أنت الشافي لا شفاء إلا شفاؤك شفاء لا يغادر سقما »[7] ، رواه البخاري ومسلم[8] .

ج- شروطها: ولجوازها وصحتها شروط ثلاثة:

الأول: أن لا يعتقد أنها تنفع لذاتها دون الله، فإن اعتقد أنها تنفع بذاتها من دون الله فهو محرم، بل هو شرك، بل يعتقد أنها سبب لا تنفع إلا بإذن الله.

الثاني: أن لا تكون بما يخالف الشرع كما إذا كانت متضمنة دعاء غير الله أو استغاثة بالجن وما أشبه ذلك، فإنها محرمة، بل شرك.

فإن كانت من جنـس الطلاسم والشعوذة

الثالث: أن تكون مفهومة معلومة،

فإنها لا تجوز.

(1) " العين " إصابة العائن غيره بعينه بقدر الله .

(2) " الـحمة " بحاء مهملة مضمومة ثم ميم مخففة : وهي السم ، ومعناه : أذن في الرقية من كل ذات سـم ، مثل لدغة الثعبان ، أو العقرب أو نحوهما .

(3) " النملة " بفتح النون وإسكان الميم : قروح تخرج من الجنب .

(4) صحيح مسلم برقم (2196) .

(5) مسلم السلام (2198) ، أحمد (302/3) .

(6) صحيح مسلم برقم (2199) .

(7) البخاري الطب (5418) ، مسلم السلام (219) ، ابن ماجه الطب (3520) ، أحمد (45/6) .

(8) صحيح البخاري برقم (5743) ، وصحيح مسلم برقم (2191) .

وقد سئل الإمام مالك رحمه الله: أيرقي الرجل ويسترقي ؟ فقـال: " لا بأس بذلك، بالكلام الطيب ".

د- الرقية الممنوعة: كل رقية لم تتوفر فيها الشروط المتقدمة فإنها محرمة ممنوعة، كأن يعتقد الراقي أو المرقي أنها تنفع وتؤثر بذاتها، أو تكـون مشتملة على ألفاظ شركية وتوسلات كفرية وألفاظ بدعية، ونحو ذلـك، أو تكون بألفاظ غير مفهومة كالطلاسم ونحوها.

المطلب الثاني: التمائم.

أ- تعريفها: التمـائم جمع تميمة، وهي ما يعلق على العنق وغـيره من تعويـذات أو خرزات أو عظام أو نحوها لجلب نفع أو دفع ضـر، وكان العرب في الجاهلية يعلقونها على أولادهم يتقون بها العـين بزعمـهم الباطل.

ب- حكمها: التحريم،

بل هي نوع من أنواع الشرك؛ لما فيها من التعلق بغير الله؛ إذ لا دافـع إلا الله، ولا يطلب دفع المؤذيات إلا بالله وأسمائه وصفاته.

عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقـول: «إن الرقـ ... ى والتمائم

والتولة شرك» [1]، رواه أبو داود والحاكم [2].

وعن عبد الله بن عكيم رضي الله عنه مرفوعا: «من تعلق شيئا وكل إليـه» [3]، رواه

أحمد والترمذي والحاكم [4].

(1) أبو داود الطب (3883)، ابن ماجه الطب (3530)، أحمد (381/1).
(2) سنن أبي داود برقم (3883)، ومستدرك (4 / 241) وصححه الحاكم ووافقه الذهبي.
(3) الترمذي الطب (2072).
(4) مسند أحمد (4 /310)، وسنن الترمذي برقم (2072)، ومستدرك الحـاكم (4 / 241) وصححـه الحاكم.

وعن عقبة بن عامر رضي الله عنه مرفوعا: «من تعلق تميمة فلا أتم الله له، ومـن تعلق ودعة فلا ودع الله له» [1]، رواه أحمد والحاكم [2].

وعن عقبة بن عامر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «من علق تميمة فقـد أشرك» [3]، رواه أحمد [4]. فهذه النصوص وما في معناها في التحذير من الرقـى الشركية التي كـانت هي غالب رقى العرب فنهي عنها لما فيها من الشـرك والتعلق بغير الله تعالى.

ج- وإذا كان المعلق من القرآن الكريم، فهذه المسألة اختلف فيها أهـل العلم، فذهب بعضهم إلى جواز ذلك، ومنهم من منع ذلك، وقال لا يجـوز تعليق القرآن للاستشفاء، وهو الصواب لوجوه أربعة:

1- عموم النهي عن تعليق التمائم، ولا مخصص للعموم.

2- سدا للذريعة، فإنه يفضي إلى تعليق ما ليس من القرآن.

3- أنه إذا علق فلا بد أن يمتهن المعلق بحمله معه في حال قضاء الحاجـة والاستنجاء ونحو ذلك.

والاستجاء، ونحو ذلك.

4- أن الاستشفاء بالقرآن ورد على صفة معينة، وهي القراءة بـــه علـــى المريض فلا تتجاوز.

المطلب الثالث لبس الحلقة والخيط ونحوها

---

(1) أحمد (154/4) .

(2) مسند أحمد (4/ 154) ، ومستدرك الحاكم (4/ 240) ، وصححه الحاكم ووافقه الذهبي .

(3) أحمد (156/4) .

(4) مسند أحمد (4 / 156) ، وصححه الحاكم (4/ 244) وقال عبد الرحمن بن حسن ورواته ثقات .

لب الثالث: لبس الحلقة والخيط ونحوها.

يرة من حديد أو ذهب أو فضة أو نحاس أو نحـــو ذلك،

ل من الصوف أو الكتان أو نحوه، وكـــانت العرب في

دفع الضر أو جلب النفع أو اتقاء العـــين، والله تعالى يقول:

من دُونِ ٱللَّهِ إِنۡ أَرَادَنِيَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلۡ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوۡ أَرَادَنِي

كَٰتُ رَحۡمَتِهِۦۚ قُلۡ حَسۡبِيَ ٱللَّهُۖ عَلَيۡهِ يَتَوَكَّلُ ٱلۡمُتَوَكِّلُونَ

ويقول تعالى: ﴿ قُلِ ٱدۡعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمۡتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا

وَلَا تَحۡوِيلاً ﴿٥٦﴾ ﴾ [2] (الإسراء: 56).

ن رضي الله عنه أن النبي ﷺ رأى رجلا في يده حلقة مـــن صفر

الواهنة، فقال: انـــزعها؛ فإنها لا تزيـــدك إلا وهنا، انبذها

عليك مـــا أفلحـــت أبـــدا [3] ، رواه أحمد [4] .

ن رضي الله عنه (أنه رأى رجلا في يده خيط من الحمـــى فقطعه وتلا

المط

أ- الحلقة قطعة مستد

والخيط معروف، وقد يجع

الجاهلية تعلق هذا ومثله لد

﴿ قُلۡ أَفَرَءَيۡتُم مَّا تَدۡعُونَ

بِرَحۡمَةٍ هَلۡ هُنَّ مُمۡسِكَ

﴿٣٨﴾ ﴾ [1] (الزمر: 38)،

يَمۡلِكُونَ كَشۡفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمۡ

وعن عمران بن حصي

فقال: ما هذه ؟ قال: من

عنك، فإنك لو مت وهي

وعن حذيفة بن اليمان

قوله تعالى: ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴾ [5] (يوسف: 106) [6] .

(1) سورة الزمر آية : 38 .

(2) سورة الإسراء آية : 56 .

(3) ابن ماجه الطب (3531) ، أحمد (445/4) .

(4) المسند (4 / 445) ، وقال البوصيري إسناده حسن وقال الهيثمي رجاله ثقات .

(5) سورة يوسف آية : 106 .

(6) تفسير ابن أبي حاتم (7 / 2207) .

ب- حكم لبس الحلقة والخيط ونحو ذلك، محرم فإن اعتقد لابسها أنها مؤثرة بنفسها دون الله فهو مشرك شركا أكبر في توحيد الربوبية؛ لأنه اعتقد وجود خالق مدبر مع الله تعالى الله عما يشركون.

وإن اعتقد أن الأمر لله وحده وأنها مجرد سبب، ولكنه ليس مؤثرا فهو مشرك شركا أصغر لأنه جعل ما ليس سببا سببا والتفت إلى غير ذلك بقلبه، وفعله هذا ذريعة للانتقال للشرك الأكبر إذا تعلق قلبه بها ورجا منها جلب النعماء أو دفع البلاء.

المطلب الرابع التبرك بالأشجار والأحجار ونحوها

المطلب الرابع: التبرك بالأشجار والأحجار ونحوها.

التبرك هو طلب البركة، وطلب البركة لا يخلو من أمرين:

1 – أن يكون التبرك بأمر شرعي معلوم مثل القرآن قال الله تعالى: ﴿ وَهَٰذَا كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ ﴾ [1] (الأنعام: 92، 155)، فمن بركته هدايته للقلوب وشفاؤه للصدور وإصلاحه للنفوس وتهذيبه للأخلاق، إلى غير ذلك من بركاته الكثيرة.

ر والأحجـــار والقبور

2 - أن يكون التبرك بأمر غير مشروع، كالتبرك بالأشجا

والقباب والبقاع ونحو ذلك، فهذا كله من الشرك.

ى حنين ونحــن حدثاء

فعن أبي واقد الليثي قال: ﴿ خرجنا مع رسول الله ﷺ إل

ـــا أسلحتهم، يقال لها

عهد بكفر، وللمشركين سدرة [2] يعكفون عندها وينوطــون ب

لنا ذات أنواط كما لهم

ذات أنواط، فمررنا بسدرة، فقلنا: يــا رســول الله ﷺ اجعل

لتم والذي نفسي بيده

ذات أنواط، فقال رسول الله ﷺ الله أكــبر، إنها الســـنن، ق

هُمۡ ءَالِهَةٞۚ قَالَ إِنَّكُمۡ قَوۡمٞ

كما قالت بنـــو إســـرائيل لموســـى: ﴿ ٱجۡعَل لَّنَآ إِلَٰهٗا كَمَا لَ

---

(1) سورة الأنعام آية : 92 .

(2) السدرة : شجرة ذات شوك .

تَجۡهَلُونَ ١٣٨ ﴾ [1] (الأعــراف: 138)، لتركبن سنــن مــن كـــان قبلكـــم ،

رواه التـــرمـــذي وصـــححه [2] .

فقد دل هذا الحديـــث على أن ما يفعله من يعتقد في الأشجار والقبـــور والأحجار ونحوها من التبرك بها والعكوف عندها والذبح لها هو الشـــرك، ولهذا أخبر في الحديث أن طلبهم كطلب بني إسرائيل لمـــا قـــالوا لموسى: اجعل لنا إلها كما لهم آلهة فهؤلاء طلبوا سدرة يتبركون بهـــا كمـــا يتبرك المشركون، وأولئك طلبوا إلـــها كما لهم آلهة، فيكون في كلا الطلبين منافاة للتوحيد؛ لأن التبرك بالشجر نوع من الشرك، واتخاذ إلـــه غـــير الله شرك واضح.

وفي قوله ﷺ في الحديث: لتركبن سنن من كان قبلكـــم [3] إشـــارة إلى أن شيئا من ذلك سيقع في أمته ﷺ وقد قال ذلك عليه الصلاة والسلام ناهيـــا ومحذرا.

المطلب الخامس النهي عن أعمال تتعلق بالقبور

المطلب الخامس: النهي عن أعمال تتعلق بالقبور.

لقد كان الأمر في صدر الإسلام على منع زيارة القبور لقرب عـــهدهم بالجاهلية

حماية لحمى التوحيد وصيانة لجنابه، ولما حسن الإيمان وعظم شأنه في الناس ورسخ في القلوب واتضحت براهين التوحيد وانكشفت شبهة الشرك جاءت مشروعية زيارة القبور محددة أهدافها موضحة مقاصدها.

فعن بريدة بن الحصيب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ « نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها » [4] ، رواه مسلم [5] .

---

(1) سورة الأعراف آية : 138 .

(2) سنن الترمذي برقم (2180) .

(3) الترمذي الفتن (2180) ، أحمد (218/5) .

(4) مسلم الجنائز (977) ، النسائي الأشربة (5652) ، أبو داود الأشربة (3698) ، أحمد (350/5) .

(5) صحيح مسلم برقم (977) .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ « زوروا القبور فإنها تذكر الموت » [1] [2] .

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ « إني نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها فإن فيها عبرة » [3] [4] .

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ « كنت نهيتكم عن زيارة القبور ألا فزوروها؛ فإنها ترق القلب وتدمع العين وتذكر الآخرة، ولا تقولوا هجرا » [5] [6] .

وعن بريدة رضي الله عنه قال: « كان رسول الله ﷺ يعلمهم إذا خرجوا إلى المقابر فكان قائلهم يقول: السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين والمسلمين، وإنا إن شاء الله بكم للاحقون، أسأل الله لنا ولكم العافية » [7] ، رواه مسلم [8] .

فهذه الأحاديث وما جاء في معناها تدل على أن مشروعية زيارة القبور بعد المنع

من ذلك إنما كانت هدفين عظيمين وغايتين جليلتين:

(1) مسلم الجنائز (976) ، النسائي الجنائز (2034) ، أبو داود الجنائز (3234) ، ابن ماجه ما جاء في الجنائز (1572) ، أحمد (2/ 441) .

(2) صحيح مسلم برقم (975) .

(3) أحمد (3/38) ، مالك الضحايا (1048) .

(4) مسند أحمد (3/ 38) ، ومستدرك الحاكم (1/ 531) .

(5) أحمد (3/237) .

(6) مستدرك الحاكم (1 / 532) .

(7) مسلم الجنائز (975) ، النسائي الجنائز (2040) ، ابن ماجه ما جاء في الجنائز (1547) ، أحمد (5/353) .

(8) صحيح مسلم برقم (975) .

الأولى: التزهيد في الدنيا بتذكر الآخرة والموت والبلى، والاعتبار بأهل القبور مما يزيد في إيمان الشخص ويقوي يقينه ويعظم صلته بالله، ويذهب عنه الإعراض والغفلة.

الثانية: الإحسان إلى الموتى بالدعاء لهم والترحم عليهم وطلب المغفرة لهم وسؤال الله العفو عنهم.

هذا الذي دل عليه الدليل، ومن ادعى غير ذلك طولب بالحجة والبرهان.

ثم إن السنة قد جاءت بالنهي عن أمور عديدة متعلقة بالقبور وزيارتها، صيانة للتوحيد وحماية لجنابه، يجب على كل مسلم تعلمها ليكون في أمنة من الباطل وسلامة من الضلال، ومن ذلك:

1 - النهي عن قول الهجر عند زيارة القبور.

وقد تقدم قوله ﷺ ﴿ولا تقولوا هجرا﴾ [1] ، والمراد بالهجر كل أمر محظور شرعا، ويأتي في مقدمة ذلك الشرك بالله بدعاء المقبورين وسؤالهم من دون الله والاستغاثة بهم وطلب المدد والعافية منهم، فكل ذلك من الشرك البواح والكفر

صريحة في المنع مــن ذلك والنهي
بن عبــد الله رضي الله عنه أنه قال: سمعت
ن من كــان قبلكم كانوا يتخذون
وا القبور مساجد إنّي أنهاكم عن
حاجــات وصرف شيء من العبادة

د (355/5) .

الصراح، وقد ثبت عن النبي ﷺ أحاديث عديدة
عنه ولعن فاعله، ففي صحيح مسلم عن جندب
رسول الله ﷺ قبل أن يموت بخمس يقول: ﴿ألا إ
قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد، ألا فلا تتخذو
ذلك﴾ [2] [3] . فدعاء الأمــوات وســؤالهم الحـ

(1) النسائي الجنائز (2033) ، أبو داود الأشربة (3698) ، أحـ
(2) مسلم المساجد ومواضع الصلاة (532) .
(3) صحيح مسلم برقم (532) .

لهم شرك أكبر، أما العكوف عند القبور وتحــري إجابة الدعاء عندها ومثله الصلاة في المساجد التي فيها القبور فهو من البــدع المنكرة.

وفي الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها: أنه ﷺ قال في مرضه الــذي لم يقم منه: ﴿لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد﴾ [1] [2] .

2 – الذبح والنحر عند القبور.

فإن كان ذلك تقربا إلى المقبورين ليقضوا حاجة للشخص فهو شــرك أكبر وإن كان لغير ذلك فهو من البدع الخطيرة التي هي من أعظم وســائل الشرك لقوله ﷺ ﴿لا عقر في الإسلام﴾ [3] ، قال عبد الرزاق: ﴿كانوا يعقرون عند القبر بقرة أو شاة﴾ [4] [5] .

3، 4، 5، 6، 7– رفعها زيادة على التراب الخارج منــها، وتجصيصها، والكتابة عليها، والبناء عليها، والقعود عليها.

فكل ذلك من البدع التي ضلت بها اليهود والنصارى وكانت من أعظم ذرائع الشرك، فعن جابر رضي الله عنه قال: ﴿نهى رسول الله ﷺ أن يجصص القبــر، وأن يقعد عليه،

(1) البخاري الجنائز (1324) ، مسلم المساجد ومواضع الصلاة (531) ، النسائي المساجد (703) ، أحمد (146/6) ، الدارمي الصلاة (1403) .

(2) صحيح البخاري برقم (1330) ، وصحيح مسلم برقم (531) .

(3) أبو داود الجنائز (3222) ، أحمد (197/3) .

(4) أبو داود الجنائز (3222) ، أحمد (197/3) .

(5) سنن أبي داود لرقم (3222) .

أن يبنى عليه، وأن يزاد عليه، أو يكتب عليه . [1] رواه مسلم، وأبو داود، الحاكم [2] .

8 – الصلاة إلى القبور وعندها.

فعن أبي مرثد الغنوي قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: لا تصلوا إلى القبور، ولا تجلسوا عليها))، رواه مسلم [3] .

وعن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ الأرض كلـها مسجد، إلا المقبرة والحمام [4] . رواه أبو داود والترمذي [5] .

9 – بناء المساجد عليها.

وهو بدعة من ضلالات اليهود والنصارى وتقدم حديث عائشة: لعـن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد [6] .

10 – اتخاذها عيدا.

وهو من البدع التي جاء النهي الصريح عنها لعظم ضررها، فعـن أبي هريرة ﷺ

ال: قال رسول الله ﷺ لا تتخذوا قبري عيدا [1] ولا تجعلوا بيوتكم قبورا،

حيثما كنتم فصلوا علي، فإن صلاتكم تبلغني ، رواه أبو داود وأحمد [2] .

(1) مسلم الجنائز (970) ، الترمذي الجنائز (1052) ، النسائي الجنائز (2027) ، أبو داود الجنائز (3225) ، ابن ماجه ما جاء في الجنائز (1563) ، أحمد (339/3) .

(2) صحيح مسلم برقم (970) ، وسنن أبي داود برقم (3225) ، ورقم (3226) ، ومستدرك الحاكم (1 / 525) .

(3) صحيح مسلم برقم (972) .

(4) الترمذي الصلاة (317) ، أبو داود الصلاة (492) ، ابن ماجه المساجد والجماعات (745) .

(5) سنن أبي داود برقم (492) ، وسنن الترمذي برقم (317) ، وصححه الحاكم ووافقه الذهبي .

(6) البخاري الجنائز (1324) ، مسلم المساجد ومواضع الصلاة (531) ، النسائي المساجد (703) ، أحمد (146/6) ، الدارمي الصلاة (1403) .

11 - شد الرحال إليها.

وهو أمر منهي عنه لأنه من وسائل الشرك فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: ﴿لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام، ومسجد الرسول ﷺ ومسجد الأقصى﴾ [3] . رواه البخاري ومسلم [4] .

المطلب السادس: التوسل.

أ- تعريفه: التوسل مأخوذ في اللغة من الوسيلة، والوسيلة والوصيلة معناهما متقارب، فالتوسل هو التوصل إلى المراد والسعي في تحقيقه.

وفي الشرع يراد به التوصل إلى رضوان الله والجنة؛ بفعل ما شرعه وترك ما نهى عنه.

ب- معنى الوسيلة في القرآن الكريم:

وردت لفظة " الوسيلة " في القرآن الكريم في موطنين:

1 - قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [5] (المائدة: 35).

ر وعيد الأضحى ، فكون الإنسان يكرر الزيارة لقبر الرسول
فنهى الرسول عن ذلـــك ، أمر المسلم أن يصلي ويسلم عليه
ين يبلغون الرسول السلام وهذا من يسر هذا الدين إذ ليس

(2/ 367) .
الصلاة والسنة فيها (1410) .
مسلم (1397) .

(1) العيد هو الذي يعود ويتكرر مثل عيد الفطر
كل يوم من أجل السلام فكأنه يتخذه عيدا ،
وهو في أي مكان كان لأن لله ملائكة سياح
باستطاعة كل مسلم أن يأتي إلى المدينة .
(2) سنن أبي داود برقم (2042) ، ومسند أحمد
(3) البخاري الجمعة (1132) ، ابن ماجه إقامة ا
(4) صحيح البخاري برقم (1189) ، وصحيح م
(5) سورة المائدة آية : 35 .

2 – قوله تعالى: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ وَيَرۡجُونَ رَحۡمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحۡذُورٗا ﴿٥٧﴾ ﴾ [1] (الإسراء: 57).

والمراد بالوسيلة في الآيتين، أي: القربة إلى الله بالعمل بما يرضيه، فقد نقل الحافظ ابن كثير رحمه الله في تفسيره للآية الأولى عن ابن عباس رضي الله عنهما أن معنى الوسيلة فيها القربة، ونقل مثل ذلك عن مجاهد وأبي وائـــل والحسن البصري وعبد الله بن كثير والسدي وابن زيد وغير واحد [2] .

وأما الآية الثانية فقد بين الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود رضي الله عنه مناسبة نزولها التي توضح معناها فقال: " نزلت في نفر من العرب كانوا يعبدون نفرا من الجن، فأسلم الجنيون، والإنس الذين يعبدونهم لا يشعرون " [3] .

وهذا صريح في أن المراد بالوسيلة ما يتقرب به إلى الله تعالى من الأعمال الصالحة والعبادات الجليلة، ولذلك قال: ﴿ يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ ﴾ [4] أي يطلبون ما يتقربون به إلى الله وينالون به مرضاته من الأعمال الصالحة المقربة إليه.

ج- أقسام التوسل:

ينقسم التوسل إلى قسمين: توسل مشروع، وتوسل ممنوع.

1 – التوسل المشروع: هو التوسل إلى الله بالوسيلة الصحيحــة المشروعة، والطريق الصحيح لمعرفة ذلك هو الرجوع إلى الكتاب والسنة ومعرفة ما ورد فيهما عنها، فما دل الكتاب والسنة على أنه وسيلة مشروعة فهو من التوسل المشروع، وما سوى ذلك فإنه توسل ممنوع.

(1) سورة الإسراء آية : 57 .

(2) تفسير ابن كثير (2/ 50) .

(3) صحيح مسلم برقم (3030) . وصحيح البخاري رقم (4714) .

(4) سورة الإسراء آية : 57 .

والتوسل المشروع يندرج تحته ثلاثة أنواع:

الأول: التوسل إلى الله تعالى باسم من أسمائه الحسنى أو صفة من صفاته العظيمة، كأن يقول المسلم في دعائه: اللهم إني أسألك بأنك الرحمن الرحيم أن تعافيني، أو يقول: أسألك برحمتك التي وسعت كل شيء أن تغفر لي وترحمني، ونحو ذلك.

ودليل مشروعية هذا التوسل قوله تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ فَٱدۡعُوهُ بِهَا ﴾ [1] (الأعراف: 180).

الثاني: التوسل إلى الله تعالى بعمل صالح قام به العبد، كأن يقول: اللهم بإيماني بك، ومحبتي لك، واتباعي لرسولك اغفر لي، أو يقول: اللهم إنـــي أسألك بحبي لنبيك محمد ﷺ وإيماني به أن تفرج عني، أو أن يذكر الداعي عملا صالحا ذا بال قام به فيتوسل به إلى ربه، كما في قصة أصحاب الغـــار الثلاثة التي سيرد ذكرها.

ويدل على مشروعيته قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ إِنَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغۡفِرۡ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٦﴾ ﴾ [2] (آل عمران: 16)، وقوله تعـــالى: ﴿ رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلۡتَ

وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴿٥٣﴾ [3] (آل عمران: 53).

ومن ذلك ما تضمنته قصة أصحاب الغار الثلاثة كما يرويها عبـد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: بينما ثلاثة نفر ممن كان قبلكم يمشون إذ أصابهم مطر، فأووا إلى غار فانطبق عليهم، فقال بعضهم لبعض: إنه والله يا هؤلاء لا ينجيكم إلا الصدق، فليدع كل رجل منكم بما يعلم أنه قد صدق فيه، فقال واحد منهم: اللهم إن كنت تعلم أنــه كان لي أجير عمل لي على فرق من أرز فذهب وتركه، وأني عمــدت إلى ذلك الفرق فزرعته، فصار من أمره أني اشتريــت منه

(1) سورة الأعراف آية : 180 .

(2) سورة آل عمران آية : 16 .

(3) سورة آل عمران آية : 53 .

جره، فقلت له: اعمد إلى تلك البقر فسقها، فقال لي: إنما لي

لت له: اعمد إلى تلك البقر، فإنها من الفرق، فساقها، فإن

ك من خشيتك ففرج عنا، فانساخت [1] عنهم الصخـرة،

ت تعلم أنه كان لي أبوان شيخان كبيران، وكنــت آتيهما

طأت عليهما ليلة، فجئت وقد رقدا، وأهلي وعيالي يتضاغون

يهم حتى يشرب أبواي، فكرهت أن أوقظهما، وكرهت أن

، فلم أزل أنتظر حتى طلع الفجر، فإن كنت تعلم أني فعلت

رج عنــا، فانساخت عنهم الصخرة حتى نظروا إلى السماء،

كنت تعلم أنه كانت لي ابنة عم من أحب الناس إلي، وإني

أبت إلا أن آتيها بمائة دينار، فطلبتها حتى قدرت، فأتيتها بها

نفسها، فلما قعدت بين رجليها فقالت: اتق الله ولا تفــض

ركـــت المائة دينار، فإن كنت تعلم أني فعلت ذلــك من

الله عنهم فخرجوا ﴿ . رواه البخاري [2] .

بقرا، وأنه أتاني يطلـــب أ

عندك فـــرق من أرز، فق

كنت تعلم أني فعلت ذلك

فقال الآخر: اللهم إن كن

كل ليلة بلبن غنم لي، فأبط

من الجوع، فكنت لا أسق

أدعهما فيستكنا لشربتهما

ذلك من خشـــيتك ففـــر

فقال الآخر: اللـــهم إن

راودتـــها عـــن نفسها ف

فدفعتها إليها فأمكنتني من

الخاتم إلا بحقه، فقمت وت

خشيتك ففرج عنا، ففرج

الله بدعاء الرجل الصالح الذي ترجى إجابة دعائــه، كأن
ى فيه الصلاح والتقوى والمحافظة على طاعـــة الله، فيطلب
كربته وييسر أمره.
هذا النوع أن الصحابة رضي الله عنــهم كـــانوا يسألون
اء عام ودعاء خاص.
حديث أنس بن مالك رضي الله عنه «أن رجلا دخل يـــوم الجمعة من
ول الله ﷺ قائم يخطب، فاســـتقبل رسول ﷺ قائما فقال: يا

الخروج منه ، كما في حديث سالم .
(3 .

الثالث: التوسل إلى ا
يذهب المسلم إلى رجل ير
منه أن يدعو له ربه ليفرج
ويدل على مشروعية
النبي ﷺ أن يدعو لهم بدع
ففي الصحيحين من ح
باب كان وجاه المنبر ورس

(1) فانفرجت شيئا لا يستطيعون
(2) صحيح البخاري برقم (465

رسول الله هلكت المواشي وانقطعت السبل، فادع الله يغيثنا، قا
يديه فقال: اللهم اسقنا، اللهم اســـقنا، اللهم اسقنا، قال أنس
السماء من سحاب ولا قزعـــة [1] ولا شيئا، وما بيننا وبين
قال: فطلعت مـــن ورائــه سحابة مثل الترس، فلما توسط
أمطرت، قال: والله ما رأينا الشمس ستا، ثم دخل رجل من ذلك
المقبلـــة– ورسول الله ﷺ قائم يخطب– فاستقبله قائما فقال: ي
الأموال، وانقطعت السبل، فادع الله يمسكها، قال: فرفع ر
قال: اللهم حوالينا ولا علينا، اللهم على الآكام والجبال والظ
قال: فانقطعت، وخرجنا نمشي في الشمس» . قال شـــريك
الرجل الأول ؟ قال: لا أدري [2] .
وفي الصحيحين أن النبي ﷺ لما «ذكر أن في أمته سبعين
بغير حساب ولا عذاب وقال: (هم الذي لا يسترقون ولا يكتو
ربهم يتوكلون) قام عكاشة بن محصن فقال: يا رســـول الله اد

ال: فرفع رسول الله ﷺ
ن: ولا والله ما نرى في
سلع من بيت ولا دار،
ت السماء انتشرت، ثم
ك البـــاب في الجمعـــة
يا رسول الله، هلكـــت
ســـول الله ﷺ يديه ثم
ـــراب ومنابت الشجر،
ك: فسألت أنسا: أهو

ألفـــا يدخلـــون الجنة
ون ولا يتطيرون وعلى
دع الله أن يجعلني منهم،

ي ﷺ أويسا القرني وفيه فقال: (أنت منهم) .[3] [4] ومن ذلك حديث ذكر النبي

قال: فاسألوه أن يستغفر لكم .

الدعاء، أما بعد موته وهذا النوع من التوسل إنما يكون في حياة من يطلب منه

فلا يجوز؛ لأنه لا عمل له.

---

(1) سحاب متفرق .

(2) صحيح البخاري برقم (1013) ، وصحيح مسلم رقم (897) .

والرقائق والورع (2446) ، (3) البخاري الطب (5420) ، مسلم الإيمان (220) ، الترمذي صفة القيامة

أحمد (271/1) .

(4) صحيح البخاري برقم (5705) ، وصحيح مسلم برقم (218) .

2 - التوسل الممنوع: هو التوسل إلى الله تعالى بما لم يثبت في الشريعة أنه وسيلة، وهو أنواع بعضها أشد خطورة من بعض، منها:

1 - التوسل إلى الله تعالى بدعاء الموتى والغائبين والاستغاثة بهم وسؤالهم قضاء الحاجات وتفريج الكربات ونحو ذلك، فهذا من الشرك الأكبر الناقل من الملة.

2 - التوسل إلى الله بفعل العبادات عند القبور والأضرحة بدعاء الله عندها، والبناء عليها، ووضع القناديل والستور ونحو ذلك، وهذا من الشرك الأصغر المنافي لكمال التوحيد، وهو ذريعة مفضية إلى الشرك الأكبر.

3 - التوسل إلى الله بجاه الأنبياء والصالحين ومكانتهم ومنزلتهم عند الله، وهذا محرم، بل هو من البدع المحدثة؛ لأنه توسل لم يشرعه الله ولم يأذن به. قال تعالى: ﴿ ءَآللَّهُ أَذِنَ لَكُمۡۖ ﴾[1] (يونس: 59) ولأن جاه الصالحين ومكانتهم عند الله إنما تنفعهم هم، كما قال الله تعالى: ﴿ وَأَن لَّيۡسَ لِلۡإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ٣٩ ﴾[2] (النجم: 39)، ولذا لم يكن هذا التوسل معروفا في عهد النبي ﷺ وأصحابه،

وقد نص على المنع منه وتحريمه غير واحد من أهل العلم:

قال أبو حنيفة رحمه الله: ((يكره أن يقول الداعي: أسألك بحق فلان أو بحق أوليائك ورسلك أو بحق البيت الحرام والمشعر الحرام)).

د- شبهات وردها في باب التوسل.

قد يورد المخالفون لأهل السنة والجماعة بعض الشبهات والاعتراضات في باب التوسل؛ ليتوصلوا بها إلى دعم تقريراتهم الخاطئة، وليوهموا عوام المسلمين بصحة ما ذهبوا إليه، ولا تخرج شبهات هؤلاء عن أحد أمرين:

---

(1) سورة يونس آية : 59 .

(2) سورة النجم آية : 39 .

الأول: إما أحاديث ضعيفة أو موضوعة يستدل بها هؤلاء على ما ذهبوا إليه، وهذه يفرغ من أمرها بمعرفة عدم صحتها وثبوتها، ومن ذلك:

1 - حديث: ﴿توسلوا بجاهي فإن جاهي عند الله عظيم﴾ ، أو ﴿إذا سألتم الله فاسألوه بجاهي فإن جاهي عند الله عظيم﴾ ، وهو حديث باطل لم يروه أحد من أهل العلم، ولا هو في شيء من كتب الحديث.

2 - حديث: ﴿إذا أعيتكم الأمور فعليكم بأهل القبور﴾ ، أو ﴿فاستغيثوا بأهل القبور﴾ ، وهو حديث مكذوب مفترى على النبي ﷺ باتفاق العلماء.

3 - حديث: ﴿لو أحسن أحدكم ظنه بحجر لنفعه﴾ ، وهو حديث باطل مناقض لدين الإسلام، وضعه بعض المشركين.

4 - حديث: ﴿لما اقترف آدم الخطيئة قال: يا رب أسألك بحق محمد لما غفرت لي، فقال: يا آدم وكيف عرفت محمدا ولم أخلقه ؟ قال: يا رب لما خلقتني بيدك ونفخت في من روحك رفعت رأسي فرأيت على قوائم العرش مكتوبا: لا إله إلا الله


الله، فعلمت أنك لم تضف إلى اسمك إلا أحب الخلق إليك،
ـرت لك ولولا محمد ما خلقتك ﴾ [1] وهو حديث باطل لا
ـه حديث: ﴿ لولاك ما خلقت الأفلاك ﴾ .
ـه الأحاديث المكذوبة والروايات المختلقة الملفقة لا يجوز لمسلم أن
ـضلا عن أن يحتج بها ويعتمدها في دينه.
ـاديث صحيحة ثابتة عن النبي ﷺ يسيء هؤلاء فهمها ويحرفونا
ـمدلولها، ومن ذلك:

ـديث الضعيفة والموضوعة للألباني ج 1 / 88 ح 25 .

53

محمد رسول
فقال: غفـ
أصل له، ومثلـ
فمثل هذ
يلتفت إليها فـ
الثاني: أحـ
عن مرادها و

(1) سلسلة الأحا

1 - ما ثبت في الصحيح: « أن عمر بن الخطـ
بالعباس بن عبد المطلب، فقال: اللهم إنا كنا نتوسـ
إليك بعم نبينا فاسقنا، قال: فيسقون » [1] [2] .

ففهموا من هذا الحديث أن تـ
العباس ﷺ ومكانته عند الله ﷻ وأن المراد بقـ
[أي بجاهه] فتسقينا، وإنا نتوسل إليك بعم نبينا »

وهذا ولا ريبِ فهم خاطئ وتأويل بعيد لا يدلـ
من بعيد؛ إذ لم يكن معروفا لدى الصحابة التوسل
وإنما كانوا يتوسلون إلى الله بدعائه حال حياتـ
وعمر ﷺ لم يرد بقوله: « إنا نتوسل إليك بعم نبيـ
دعاءه، ولو كان التوسل بالذات أو الجاه معروـ
بالنبي ﷺ إلى التوسل بالعباس ﷺ بل ولقال

ـاب ﷺ كان إذا قحطوا استسقى
ـل إليك بنبينا فتسقينا، وإنا نتوسل

ـوسل عمر ﷺ إنما كان بجاه
ـوله: « كنا نتوسل إليك بنبينا
» [3] [أي بجاهه].
ـل عليه سياق النص لا من قريب ولا
إلى الله بذات النبي ﷺ أو جاهه،
ـه كما تقدم بعض هذا المعنى،
ـنا » [4] أي ذاته أو جاهه، وإنما أراد
ـفا عندهم لما عدل عمر عن التوسل
ـه الصحابة إذ ذاك كيف نتوسل

ي هو أفضل الخلائق، فلما لم يقل
سلوا بدعائه، وبعد مماته توسلوا
اء المتوسل لا بذاته.
يقول بجواز التوسل بالذات أو

بمثل العباس ونعدل عن التوسل بالنبي ﷺ الذي
ذلك أحد منهم، وقد علم أنهم في حياته إنما تو
بدعاء غيره علم أن المشروع عندهم التوسل بدعـ

وبهذا يتبين أن الحديث ليس فيه متمسك لمن
الجاه.

(1) البخاري الجمعة (964) .
(2) صحيح البخاري برقم (1010) .
(3) البخاري الجمعة (964) .
(4) البخاري الجمعة (964) .

2 - حديث عثمان بن حنيف: أن رجلا ضرير البصر أتى النبي ﷺ فقال: ادع الله أن يعافيني، قال: إن شئت دعوت وإن شئت صبرت فهو خير لك، قال: فادعه، قال: فأمره أن يتوضأ فيحسن وضوءه ويدعو بهذا الدعاء: اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بنبيك محمد نبي الرحمة، إني توجهت بك إلى ربي في حاجتي هذه لتقضى لي اللهم فشفعه في [1]، رواه الترمذي وأحمد وقال البيهقي إسناده صحيح[2].

ففهموا من الحديث أنه يدل على جواز التوسل بجاه النبي ﷺ أو غيره من الصالحين، وليس في الحديث ما يشهد لذلك، فإن الأعمى قد طلب من النبي ﷺ أن يدعو له بأن يرد الله عليه بصره، فقال له: إن شئت صبرت وإن شئت دعوت [3]، فقال: فادعه، إلى غير ذلك من الألفاظ الواردة في الحديث المصرحة بأن هذا توسل بدعاء النبي ﷺ لا بذاته أو جاهه؛ ولذا ذكر أهل العلم هذا الحديث من معجزات النبي ﷺ ودعائه المستجاب، فإنه ﷺ ببركة دعائه لهذا الأعمى أعاد الله عليه بصره ولهذا أورده البيهقي في دلائل النبوة [4] .

وأما الآن وبعد موت النبي ﷺ فإن مثل هذا لا يمكن أن يكون لتعذر دعاء

النبي ﷺ لأحد بعد الموت، كما قال النبي ﷺ «إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا

من ثلاث: صدقة جارية أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له»[5]، رواه

مسلم[6].

---

(1) الترمذي الدعوات (3578) ، ابن ماجه إقامة الصلاة والسنة فيها (1385) .

(2) سنن الترمذي برقم (3578) ، ومسند أحمد (4 / 138) .

(3) البخاري المرضى (5328) ، مسلم البر والصلة والآداب (2576) ، أحمد (347/1) .

(4) دلائل النبوة للبيهقي (6 / 167) .

(5) مسلم الوصية (1631) ، الترمذي الأحكام (1376) ، النسائي الوصايا (3651) ، أبو داود الوصايا (2880) ، أحمد (2 /372) ، الدارمي المقدمة (559) .

(6) صحيح مسلم برقم (1631) .

والدعاء من الأعمال الصالحة التي تنقطع بالموت.

وعلى كل فإن جميع ما يتعلق به هؤلاء لا حجة فيه؛ إما لعدم صحته، أو لعدم دلالته على ما ذهبوا إليه.

المطلب السابع: الغلو.

أ- تعريفه: الغلو في اللغة هو مجاوزة الحد، بأن يزيد في حمد الشيء أو ذمه على ما يستحق.

وفي الشرع: هو مجاوزة حدود ما شرع الله لعباده سواء في العقيدة أو العبادة.

ب- حكمه: التحريم؛ لما جاء من النصوص في النهي عنه والتحذير منه وبيان سوء عواقبه على أهله في العاجل والآجل. قال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ ﴾[1] (النساء: 171).

وقال تعالى: ﴿ قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ غَيۡرَ ٱلۡحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓاْ أَهۡوَآءَ قَوۡمٖ قَدۡ ضَلُّواْ مِن قَبۡلُ وَأَضَلُّواْ كَثِيرٗا وَضَلُّواْ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴾[2] (المائدة: 77).

وعن ابن عباس رضي الله عنهما: أن رسول الله ﷺ قال: ﴿ إيا كم والغلو،

إنما هلك من كان قبلكم بالغلو في الدين ﴾ [3] ، رواه أحمد والحاكم وصححه

ووافقه الذهبي [4] .

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ ﴿ هلك المتنطعون ﴾ [5] ، قالها

ثلاثا، رواه مسلم [1] .

---

(1) سورة النساء آية : 171 .

(2) سورة المائدة آية : 77 .

(3) النسائي مناسك الحج (3057) ، ابن ماجه المناسك (3029) ، أحمد (347/1) .

(4) المسند (1 / 347) ، والمستدرك (1 / 638) .

(5) مسلم العلم (2670) ، أبو داود السنة (4608) ، أحمد (386/1) .

وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن ر

النصارى عيسى ابن مريم، إنمـا

البخاري [3] .

والمراد هذا الحديث، أي: لا تمدح

عيسى فادعوا فيه الربوبية والألوهية،

وقولوا: عبد الله ورسوله، فأبى الضا

أعظم المناقضة فغلوا فيه وبالغوا في إط

قريبا منه، فسألوه مغفرة الذنوب وتف

هو مختص بالله وحده لا شريك لــه، و

سول الله ﷺ قال: ﴿ لا تطروني كمـا أطرت

أنـا عبـد الله ورسـوله ﴾ [2] ، رواه

وني فتغلوا في مدحي كمـا غلـت النصارى في

وإنما أنا عبد الله فصفـوني بما وصفني به ربي،

لال إلا مخالفة لأمـره وارتكابا لنهيه وناقضوه

رائه وادعوا فيه ما ادعت النصارى في عيسى أو

ريـج الكروب وشفاء الأمراض ونحو ذلك مما

وكل ذلك من الغلو في الدين.

(1) صحيح مسلم برقم (2670) .

(2) البخاري أحاديث الأنبياء (3261) ، أحمد (

(3) صحيح البخاري برقم (3445) .

. (24/1

المبحث الرابع: الشرك والكفر وأنواعهما

وفيه مطالب

ما من ريب أن في معرفة المسلم للشرك والكفر وأسبابهما ووسـائلهم
فوائد عظيمة، إذا عرفها معرفة يقصد من ورائها السلامة من هذه الشرور
تلك الآفات، والله سبحانه يحـب أن تعرف سبيل الحـق لتحب وتسلك
تعرف سبل الباطل لتجتنب وتبغـض، والمسـلم كما أنه مطالب بمعرفة
ليطبقها، فهو كذلك مطالب بمعرفة سـبل الشر ليحذرها، ولهذا ثبت في
عن حذيفة بن اليمان رضـي الله عنهما أنه قال: كان الناس يسألون رس
عن الخير وكنت أسـأله عن الشر مخافة أن يدركني .[1] [2]

ويقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه " إنما تنقض عـرى الإسـلام عروة عر
في الإسلام من لا يعرف الجاهلية ".

والقرآن الكريم مليء بالآيات المبينة للشرك والكفر والمحذرة من الوقـ
والدالة على سوء عاقبتهما في الدنيا والآخرة، بل إن ذلك مقصـد عظيم

ا وأنواعهما
والنجاة من
، ويجب أن
سبيل الخير
الصحيحين
ول الله ﷺ
وة إذا نشأ
وع فيهما،
من مقاصد

القرآن الكريم والسنة المطهرة، كما قال الله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْأَيَٰتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ ٱلْمُجْرِمِينَ ۝ ﴾ [3] (الأنعام: 55).

وفيما يلي ذكر لبعض المطالب المهمة المتعلقة بهذا الجانب.

المطلب الأول: الشرك.

أ- تعريفه: يطلق الشرك في اللغة على التسوية بين الشيئين.

وله في الشرع معنيان: عام وخاص.

---

(1) البخاري المناقب (3411) ، مسلم الإمارة (1847) ، أحمد (387/5) .

(2) صحيح البخاري برقم (7084) ، وصحيح مسلم برقم (1847) .

(3) سورة الأنعام آية : 55 .

1 - المعنى العام: تسوية غير الله بالله فيما هو من خصائصه سبحانه، ويندرج تحته ثلاثة أنواع:

الأول: الشرك في الربوبية، وهو تسوية غير الله بالله فيما هو من خصائص الربوبية، أو نسبة شيء منها إلى غيره، كالخلق والرزق والإيجاد والإماتة والتدبير لهذا الكون ونحو ذلك.

قال تعالى: ﴿ هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ۝ ﴾ [1] (فاطر: 3).

الثاني: الشرك في الأسماء والصفات، وهو تسوية غير الله بالله في شيء منها، والله تعالى يقول: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ۝ ﴾ [2] (الشورى: 11).

الثالث: الشرك في الألوهية، وهو تسوية غير الله بالله في شيء من خصائص الألوهية، كالصلاة والصيام والدعاء والاستغاثة والذبح والنذر ونحو ذلك.

قال الله تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ

﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمۡ كَحُبِّ ٱللَّهِ ﴾ [3] (البقرة: 165).

2- المعنى الخاص: وهو أن يتخذ لله ندا يدعوه كما يدعو الله ويسأله الشفاعة كما يسأل الله ويرجوه كما يرجو الله، ويحبه كما يحب الله، وهذا هو المعنى المتبادر من كلمة " الشرك " إذا أطلقت في القرآن أو السنة.

---

(1) سورة فاطر آية : 3 .

(2) سورة الشورى آية : 11 .

(3) سورة البقرة آية : 165 .

ب- الأدلة على ذم الشرك وبيان خطره.

لقد تنوعت دلالة النصوص على ذم الشرك والتحذير منه وبيان خطره وسوء عاقبته على المشركين في الدنيا والآخرة.

1 – فقد أخبر الله سبحانه أنه الذنب الذي لا يغفره إلا بالتوبة منه قبل الموت، فقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾ [1] (النساء: 48).

2 – ووصفه بأنه أظلم الظلم، فقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾ ﴾ [2] (لقمان: 13).

3 – وأخبر أنه محبط للأعمال، فقال تعالى: ﴿ وَلَقَدۡ أُوحِيَ إِلَيۡكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكَ لَئِنۡ أَشۡرَكۡتَ لَيَحۡبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾ ﴾ [3] (الزمر: 65).

4 – ووصفه بأن فيه تنقصا لرب العالمين ومساواة لغيره به، فقال تعالى: ﴿ قَالُواْ وَهُمۡ فِيهَا يَخۡتَصِمُونَ ﴿٩٦﴾ تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٩٧﴾ إِذۡ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ

(الشعراء: 96 – 98).

5 – وأخبر أن من مات عليه يكون مخلدا في نار جهنم، فقال تعـالى: ﴿ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ (72) ﴾ [5] (المائدة: 72).

(1) سورة النساء آية : 48 .
(2) سورة لقمان آية : 13 .
(3) سورة الزمر آية : 65 .
(4) سورة الشعراء آية : 96 – 98 .
(5) سورة المائدة آية : 72 .

إلى غير ذلك من أنواع الأدلة، وهي كثيرة جدا في القرآن الكريم.

ج– سبب وقوع الشرك:

إن أصل الشرك وسبب وقوعه في بني آدم هـو الغلـو في الصـالحين المعظمين، وتجاوز الحد في إطرائهم ومدحهم والثناء عليهم، قال الله تعـالى: ﴿ وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا (23) وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا (24) ﴾ [1] (نـوح: 23– 24).

فهذه أسـماء رجـال صـالحين من قوم نوح لما مـاتوا جعلـوا لـهم أصنـامـا على صـورهم وسـموها بأسمائهم قـاصدين بذلك تعظيمهم وتخليد ذكرهم وتذكر فضلهم إلى أن آل بهـم الأمـر إلى عبادتهم.

ويشـهد لـهذا ما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنـه قـال: " صارت الأوثان التي كانت في قوم نوح في العرب بعد، أمـا ود فكـانت لكلب بدومة الجندل، وأما سواع فكانت لهذيل، وأما يغوث فكانت لمـراد، ثم لبني غطيف بالجوف عند سبأ، وأما يعوق فكانت لهمدان، وأمـا نسـر فكانت لحمير لآل ذي الكلاع،

إلى قومهم أن انصبوا إلى
فلم تعبد حتى إذا هلك

: وقالوا لا تذرن آلهتك
أتباع يقتدون هم، فلما
اهم كان أشوق لنا إلى

أسماء رجال صالحين من قوم نوح، فلما هلكوا أوحى الشيطان
مجالسهم التي كانوا يجلسون أنصابا وسموها بأسمائهم ففعلوا
أولئك ونسخ (ونسخ العلم) [2] العلم عبدت " [3] .

روى ابن جرير الطبري عن محمد بن قيس عند قوله تعالى
الآية، قال: " كانوا قوما صالحين من بني آدم، وكان لهم
ماتوا قال أصحابهم الذين كانوا يقتدون بهم: لو صورن

(1) سورة نوح آية : 23 – 24 .
(2) أي علم تلك الصور بخصوصها .
(3) صحيح البخاري برقم (4920) .

العبادة إذا ذكرناهم، فصوروهم، فلما ماتوا وجاء آخرون دب إليهم إبليس فقال: إنما كانوا يعبدونهم وبهم يسقون المطر، فعبدوهم " [1] . فجمعوا بين فتنتين:

الأولى: العكوف عند قبورهم.

الثانية: تصوير صورهم ونصبها في مجالسهم والجلوس إليها.

فبهذا وقع الشرك لأول مرة في تاريخ البشرية فهما أعظم وسائل الشرك في كل زمان ومكان.

د- أنواع الشرك: ينقسم الشرك إلى قسمين: أكبر وأصغر.

1 - الشرك الأكبر: هو اتخاذ ند مع الله يعبد كما يعبد الله، وهو ناقل من ملة الإسلام محبط للأعمال كلها، وصاحبه إن مات عليه يكون مخلدا في نار جهنم لا يقضى عليه فيموت ولا يخفف عنه من عذابها.

أنواع الشرك الأكبر: وينقسم الشرك الأكبر إلى أربعة أنواع:

1 - شرك الدعوة، أي الدعاء، وذلك أن الدعاء من أعظم أنواع العبادة، بل هو لب العبادة كما قال النبي ﷺ ﴿الدعاء هو العبادة﴾ [2] ، رواه أحمد والترمذي

وقال حديث حسن صحيح [3] قال الله تعالى: ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾ ﴾ [4] (غافر: 60).

ولما ثبت أن الدعاء عبادة، فصرفه لغير الله شرك، فمن دعا نبيا أو ملكا أو وليا أو قبرا أو حجرا أو غير ذلك من المخلوقين فهو مشرك كافر، كما قال تعالى: ﴿

---

(1) تفسير الطبري (12 / 254) .

(2) الترمذي تفسير القرآن (2969) ، ابن ماجه الدعاء (3828) .

(3) مسند أحمد (4 / 267) ، وسنن الترمذي برقم (2969) .

(4) سورة غافر آية : 60 .

ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ

لمؤمنون: 117).

لة على أن الدعاء عبادة وأن صرفه لغير الله شرك قوله تعالى: ﴿ فَإِذَا

ٱلْفُلْكِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ

لعنكبوت: 65)، فأخبر عن هؤلاء المشركين بأنهم يشركون بالله في

لصون له في كربهم وشدتهم، فكيف بمن يشرك بالله في الرخاء والشدة

ك النية والإرادة والقصد، وذلك أن ينوي بأعماله الدنيا أو الرياء أو

ة كلية كأهل النفاق الخلص، ولم يقصد بها وجه الله والدار الآخرة، فهو

ك الأكبر، قال الله تعالى: ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ

وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ ۖ وَحَبِطَ مَا

طِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾ ﴾ [3] (هود: 15-16).

وَمَن يَدْعُ مَعَ

﴿١١٧﴾ ﴾ [1] (ا

ومن الأد

رَكِبُوا۟ فِى ٱ

﴿٦٥﴾ ﴾ [2] (ا

رخائهم، ويخ

عياذا بالله.

2 - شر

السمعة، إراد

مشرك الشرك

أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا

صَنَعُوا۟ فِيهَا وَبَٰ

وع من الشرك دقيق الأمر بالغ الخطورة.

ك الطاعة، فمن أطاع المخلوقين في تحليل ما حرم الله أو تحـريم ما أحل
ذلك بقلبه أي أنه يسوغ لهم أن يحللوا ويحرموا ويسـوغ له ولغيره طاعته
علمه بأنه مخالف لدين الإسلام فقد اتخذهـم أربابا من دون الله وأشرك
لأكبر.

ن آية : 117 .
وت آية : 65 .
آية : 15 – 16 .

وهذا النو

3 – شر
الله، ويعتقد
في ذلك مع
بالله الشرك ا

(1) سورة المؤمنو
(2) سورة العنكب
(3) سورة هود آ

قال الله تعالى: ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ
مَرۡيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُوٓاْ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗاۖ لَّآ إِلَٰهَ
٣١ ﴾ [1] (التوبة: 31).

أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلۡمَسِيحَ ٱبۡنَ
إِلَّا هُوَۚ سُبۡحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشۡرِكُونَ

وتفسير الآية الذي لا إشكال فيه: طاعة العلما
حكـم الله) لا دعاؤهم إياهم، كما فسرها النبي
لسنا نعبدهم ؟ فذكر له أن عبادتهم طاعتهم في
فقال: « أليس يحرمون ما أحل الله فتحرمونه ويحل
بلى. قال: « فتلك عبادتهم » ، رواه الترمذ
الكبير [2] .

ء والعباد في المعصيـة (أي في تبديل
ﷺ لعدي بن حـاتم لما سأله فقال:
المعصيـة (في تبديل حكـم الله)،
ون مـا حرم الله فتحلونه » ، قال:
ذي وحسنه، والطبراني في المعجم

4 – شرك المحبة، والمراد محبة العبودية المست
والخضوع التي لا تنبغي إلا لله وحده لا شريك ل
الله فقد أشرك به الشرك الأكبر، والدليل قوله تع

لزمة للإجـلال والتعظيـم والذل
ه، ومتى صرف العبد هذه المحبة لغير
الى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن

﴿ دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ۗ ﴾ [3] (البقرة: 165).

2- النوع الثاني من أنواع الشرك، الشرك الأصغر:

وهو كل ما كان ذريعة إلى الشرك الأكبر ووسيلة للوقوع فيه أو مــا جاء في النصوص تسميته شركا ولم يصل إلى حد الأكبر، وهو يقع في هيئــة العمل وأقوال اللسان. وحكمه تحت المشيئة كحكم مرتكب الكبيرة.

ومن أمثلته ما يلي:

(1) سورة التوبة آية : 31 .

(2) سنن الترمذي برقم (3095) ، والمعجم الكبير للطبراني (17 / 92) .

(3) سورة البقرة آية : 165 .

أ- يسير الرياء، والدليل ما رواه الإمام أحمد وغيره عن النبي ﷺ أنه قال: ﴿ إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر، قالوا: ومــا الشــرك الأصغر يا رسول الله قال: (الرياء، يقول الله تعالى يوم القيامة إذا جــازى الناس بأعمالهم: اذهبوا إلى الذين كنتم تراؤون في الدنيا، فانظروا هل تجدون عندهم جزاء ﴾ [1] [2] .

ب- قول: " ما شاء الله وشئت "، روى أبو داود في سننه عن النبي ﷺ ﴿ لا تقولوا ما شاء الله وشاء فلان، ولكن قولوا ما شــاء الله ثم شــاء فلان ﴾ [3] [4] .

ج- قــول: " لــولا الله وفــلان "، أو قول: " لــولا البــط لأتانــا اللصوص "، ونــحو ذلك، روى ابــن أبــي حاتم في تفسيره عــن ابــن عبــاس رضــي الله عنهمــا في معنى قــوله تعــالى: ﴿ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ [5]

قــال: " الأنداد هو الشــرك أخفى مــن دبيب النمل على صفاة ســوداء في ظلمة الليــل، وهــو أن تقــول: والله وحياتــك يــا فلانــة وحياتي، وتقول: لولا كليبة هذا لأتانا اللصــوص، ولولا البط في الدار لأتى اللصوص، وقول الرجل لأصحابه:

مــا شــاء الله وشئت، وقول الرجل: لولا الله وفلان، لا تجعل فيها فلانا، هذا كلــه بــه شرك " [6].

الفرق بين الشرك الأكبر والأصغر:

بين الشرك الأكبر والأصغر فروق عديدة، أهمها ما يلي:

---

(1) أحمد (428/5) .

(2) مسند أحمد (5 / 428) ، قال المنذري إسناده جيد ، الترغيب والترهيب (1 / 48) ، وقال الهيثمي : رجالــه رجال الصحيح ، مجمع (1/ 102) .

(3) أبو داود الأدب (4980) ، أحمد (399/5) .

(4) سنن أبي داود برقم (4980) ، قال الذهبي في مختصر البيهقي (1 / 140 / 2) إسناده صالح .

(5) سورة البقرة آية : 22 .

(6) تفسير ابن أبي حاتم (1 / 62) .

1 – أن الشرك الأكبر لا يغفر الله لصاحبه إلا بالتوبة، وأما الأصغر فتحــت المشيئة.

2– أن الشرك الأكبر محبط لجميع الأعمال، وأما الأصغر فــلا يحبــط إلا العمل الذي قارنه.

3– أن الشرك الأكبر مخرج لصاحبه من ملة الإسلام، وأما الشرك الأصغــر فلا يخرجه منها.

4– أن الشرك الأكبر صاحبه خالد في النار ومحرمة عليــه الجنــة، وأمــا الأصغر فكغيره من الذنوب.

المطلب الثاني: الكفر.

أ– تعريفه: الكفر لغة يطلق على الستر والتغطية.

وشــرعــا: ضد الإيمان، وهــو: عدم الإيمان بالله ورســوله، ســواء كان معــه تكذيب أو لم يكن معه تكذيب، بل عــن شــك وريــب، أو إعراض عن ذلك حسدا وكبرا أو اتباعا لبعض الأهواء الصارفة عن اتبــاع الرسالة.

ب– أنواع الكفر:

ب- أنواع الكفر:

الكفر نوعان: كفر أكبر، وكفر أصغر.

فالكفر الأكبر هو الموجب للخلود في النار، والأصغر موجب لاستحقاق الوعيد دون الخلود.

أولا: الكفر الأكبر:

وهو خمسة أنواع:

أ- كفر التكذيب، وهو اعتقاد كذب الرسل عليهم السلام، فمن كذبهم فيما جاؤوا به ظاهرا أو باطنا فقد كفر، والدليل قوله تعالى:

﴿ وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوۡ كَذَّبَ بِٱلۡحَقِّ لَمَّا جَآءَهُۥٓۚ أَلَيۡسَ فِي جَهَنَّمَ مَثۡوٗى لِّلۡكَٰفِرِينَ ﴿٦٨﴾ ﴾ [1] (العنكبوت: 68).

2 – كفر الإباء والاستكبار، وذلك بأن يكون عالما بصدق الرسول، وأنه جاء بالحق من عند الله، لكن لا ينقاد لحكمه ولا يذعن لأمره، استكبارا وعنادا، والدليل قوله تعالى: ﴿ وَإِذۡ قُلۡنَا لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ ٱسۡجُدُواْ لِأٓدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبۡلِيسَ أَبَىٰ وَٱسۡتَكۡبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٣٤﴾ ﴾ [2] (البقرة: 34).

3 – كفر الشك، وهو التردد، وعدم الجزم بصدق الرسل، ويقال له كفر الظن، وهو ضد الجزم واليقين.

والدليل قوله تعالى: ﴿ وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ وَهُوَ ظَالِمٞ لِّنَفۡسِهِۦ قَالَ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ أَبَدٗا ﴿٣٥﴾ وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةٗ وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهَا مُنقَلَبٗا ﴿٣٦﴾ قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرۡتَ بِٱلَّذِي خَلَقَكَ مِن تُرَابٖ ثُمَّ مِن نُّطۡفَةٖ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلٗا ﴿٣٧﴾ لَّٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّي وَلَآ أُشۡرِكُ بِرَبِّيٓ أَحَدٗا ﴿٣٨﴾ ﴾ [3] (الكهف: 35- 38).

4 – كفر الإعراض، والمراد الإعراض الكلي عن الدين، بأن يعــرض بسمعه وقلبه وعلمه عما جاء به الرسول ﷺ والدليل قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ عَمَّآ أُنذِرُواْ مُعۡرِضُونَ ٣ ﴾ [4] (الأحقاف: 3).

---

(1) سورة العنكبوت آية : 68 .
(2) سورة البقرة آية : 34 .
(3) سورة الكهف آية : 35 – 38 .
(4) سورة الأحقاف آية : 3 .

5 – كفر النفاق، والمراد النفاق الاعتقادي بأن يظهر الإيمان ويبطـ

والدليل قوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ فَهُمۡ

٣ ﴾ [2] (المنافقون: 3).

والنفاق على ضربين:

1 – نفاق اعتقاد وهو كفر أكبر ناقل من الملة وهــو ســتة أنــوا

الرسول، أو تكذيب بعض ما جاء به، أو بغض الرسول، أو بغــض ما

المسرة بانخفاض دين الرسول، أو الكراهية لانتصــار ديــن الرسول.

2 – ونفاق عملي وهو كفر أصغر لا ينقل من الملة، إلا أنــه جريــ

عظيم، ومنه ما ذكره النبي ﷺ في الحديث حيث قال: ﴿ أربــع من ك

منافقا خالصا، ومن كانت فيه خصلة منهن كــانت فيــه خصلة من

يدعها: إذا اؤتمن خان، وإذا حــدث كــذب، وإذا عاهد غدر، و

فجر ﴾ [3] متفق عليه [4] .

وإذا وعد ... وقال عليه الصلاة والسلام: ﴿ آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب

أخلف، وإذا أؤتمن خان ﴾ [5] ، رواه البخاري [6] .

---

(1) مدارج السالكين (1 / 346) .

(2) سورة المنافقون آية : 3 .

(3) البخاري الإيمان (34) ، مسلم الإيمان (58) ، الترمذي الإيمان (2632) ، النسائي الإيمان وشرائعه (5020) ، أبو داود السنة (4688) ، أحمد (189/2) .

(4) صحيح البخاري برقم (34) ، وصحيح مسلم برقم (58) .

(5) البخاري الإيمان (33) ، مسلم الإيمان (59) ، الترمذي الإيمان (2631) ، النسائي الإيمان وشرائعه (5021) ، أحمد (536/2) .

(6) صحيح البخاري برقم (33) .

ثانيا: الكفر الأصغر:

وهو لا يخرج صاحبه من الملة ولا يوجب الخلود في النار وإنما عليه الوعيد الشديد، وهو كفر النعمة، وجميع ما ورد في النصوص من ذكر الكفر الذي لا يصل إلى حد الكفر الأكبر. ومن الأمثلة عليه:

ما ورد في قوله تعالى: ﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴿١١٢﴾ ﴾ [1] (النحل: 112).

وفي قوله ﷺ ﴿ اثنتان في الناس هما بهم كفر، الطعن في النسب والنياحة على الميت ﴾ [2] ، رواه مسلم [3] .

وفي قوله ﷺ ﴿ لا ترجعوا بعدي كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض ﴾ [4] ، رواه البخاري ومسلم [5].

فهذا وأمثاله كفر دون كفر وهو لا يخرج من الملة الإسلامية.

لقوله تعالى: ﴿ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا

عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ

---

(1) سورة النحل آية : 112 .

(2) مسلم الإيمان (67) ، الترمذي الجنائز (1001) .

(3) صحيح مسلم برقم (67) .

(4) البخاري العلم (121) ، مسلم الإيمان (65) ، النسائي تحريم الدم (4131) ، ابن ماجه الفتن (3942) ، أحمد (358/4) ، الدارمي المناسك (1921) .

(5) صحيح البخاري برقم (121) ، وصحيح مسلم برقم (65) .

سِطِينَ ۝٩ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ

لحجرات: 9، 10)، فسماهم الله ﷻ مؤمنين مع الاقتتال.

ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ

مًا ۝٤٨ ﴾ [2] (النساء: 48)، فدلت الآية الكريمة على أن

ت المشيئة أي إن شاء الله عذبه بقدر ذنبه وإن شاء عفا

لشرك به فإن الله لا يغفره كما هو صريح في الآية وقوله

للَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ

وَأَقْسِطُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْ

لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ۝١٠ ﴾ [1] (ا

ولقوله تعالى: ﴿ إِنَّ

بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِي

كل ذنب دون الشرك تح

عنه من أول وهلة، إلا ا

تعالى: ﴿ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱ

۝٧٢ ﴾ [3] (المائدة: 72).

(1) سورة الحجرات آية : 9 ، 10 .
(2) سورة النساء آية : 48 .
(3) سورة المائدة آية : 72 .

المبحث الخامس: ادعاء علم الغيب وما يلحق به

الغيب هو كل ما غاب عن العقول والأنظار مـــن الأمـ ـور الحـــاضرة والماضية والمستقبلة، وقد استأثر الله ﷻ بعلمه واختص نفسه ســـبحانه بذلك.

قال الله تعـــالى: ﴿ قُل لَّا يَعۡلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ٱلۡغَيۡ بَ إِلَّا ٱللَّهُۚ ﴾ [1] (النمل: 65)، وقال تعالى: ﴿ لَهُۥ غَيۡبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ ﴾ [2] (الك هف: 26)، وقال تعالى: ﴿ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلۡكَبِيرُ ٱلۡمُتَعَالِ ﴾ [3] (الرعد: 9).

فلا يعلم الغيب أحد إلا الله، لا ملك مقرب ولا نبي مرسل فضلا عمن هو دونهما.

قال الله تعالى عن نوح عليه السلام: ﴿ وَلَآ أَقُولُ لَكُمۡ ع ندِي خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ ﴾ [4] (هود: 31)، وقال تعالى عن هود عليه السلام: ﴿ قَالَ إِنَّمَا ٱلۡعِلۡمُ عِندَ ٱللَّهِ وَأُبَلِّغُكُم مَّآ أُرۡسِلۡتُ بِهِۦ ﴾ [5] (الأحقاف: 23)، وقال تعـــالى لنـ بيـــه محمد عليه الصلاة والسلام: ﴿ قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمۡ عِندِي خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡ بَ ﴾ [6] (الأنعام: 50)،

وقـال تعـالى: ﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَـ ... ـئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ

هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ قَالُواْ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْـ ... ـتَنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ

﴿٣٢﴾ ﴾ [7] (البقرة: 31- 32).

---

(1) سورة النمل آية : 65 .
(2) سورة الكهف آية : 26 .
(3) سورة الرعد آية : 9 .
(4) سورة هود آية : 31 .
(5) سورة الأحقاف آية : 23 .
(6) سورة الأنعام آية : 50 .
(7) سورة البقرة آية : 31 – 32 .

ثم إنه سبحانه قد يطلع بعض خلقه على بعض الأمور المغيبة عن طريـــق الوحي، كما قال تعالى: ﴿ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا ﴿٢٧﴾ لِّيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُواْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَىْءٍ عَدَدًۢا ﴿٢٨﴾ ﴾ [1] (الجن: 26-28)، وهذا من الغيب النسبي الذي غـــاب علمـــه عـــن بعـــض المخلوقات دون بعض، أما الغيب المطلق فلا يعلمه إلا هو سبحانه، ومـــن ذا الذي يدعي علمه وقد استأثر الله به.

ولهذا فإن الواجب على كل مسلم أن يحذر من الدجاجلة والكذابـــين المدعين لعلم الغيب المفترين على الله، الذين ضلوا في أنفسهم وأضلوا كثـــيرا وضلوا عن سواء السبيل، كالسحرة والكذابين والمنجمين، وغيرهم.

وفيما يلي عرض لجملة من أعمال هؤلاء التي يدعون بها علم الغيـــب، ويضلون بها عوام المسلمين وجهالهم، ويفسدون بها عقيدهم وإيماهم.

1 – السحر: وهو في اللغة ما خفي ولطف سببه.

وفي الاصطلاح هو عزائم ورقى وعقد يؤثّر في القلـــوب والأبـــدان، فيمرض

ويقتل ويفرق بين المرء وزوجه بإذن الله، وهو كفر، والساحر كافر بالله العظيم، وما له في الآخرة من خلاق، قال الله تعالى: ﴿ وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ ۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَ ۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ۖ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ ۚ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ ۚ وَلَقَدْ عَلِمُواْ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى ٱلْأَخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ ۚ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْاْ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ ۚ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ۝١٠٢ ﴾ [2] (البقرة: 102).

---

(1) سورة الجن آية : 26 - 28 .

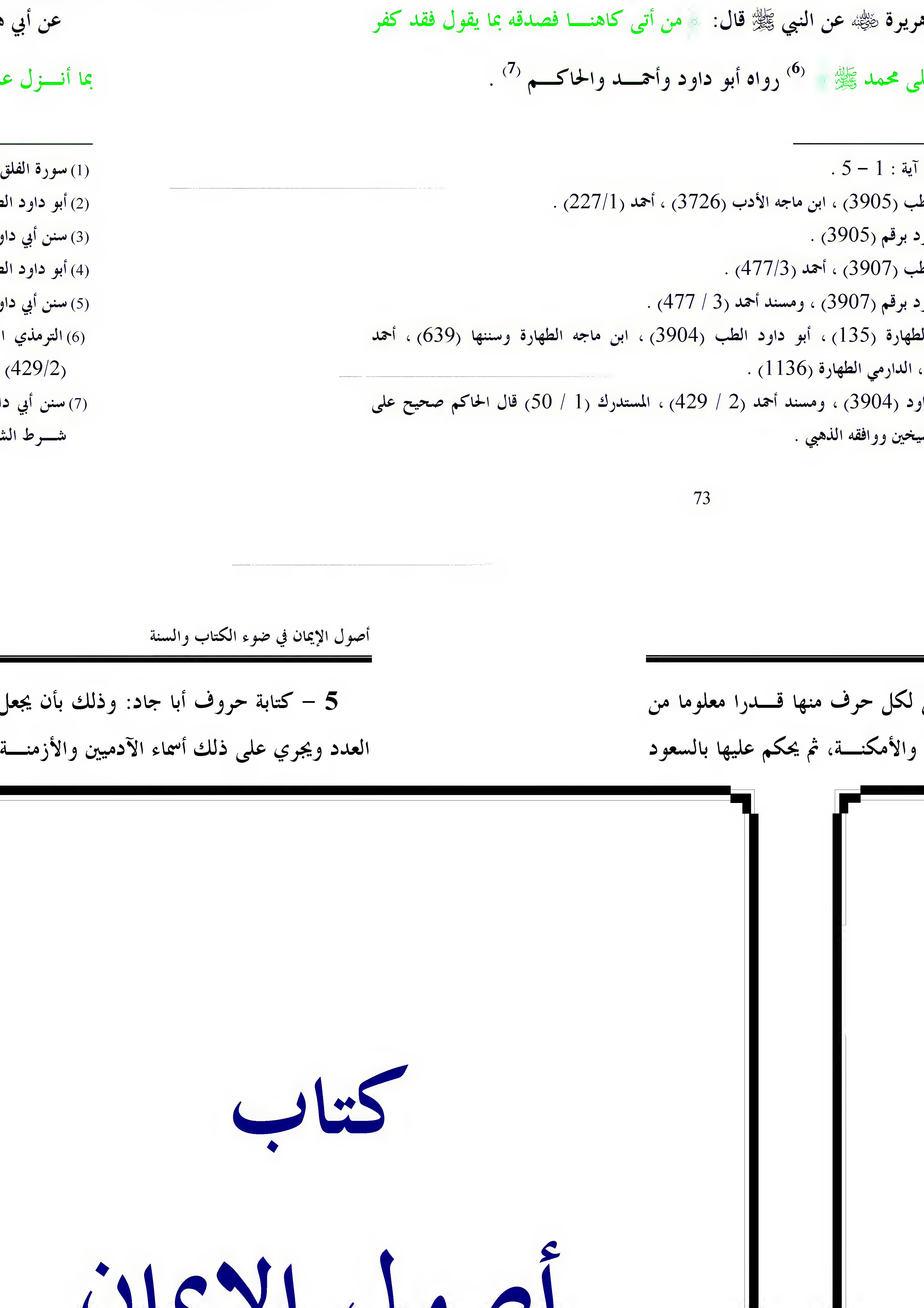
(2) سورة البقرة آية : 102 .

ومنه النفث في العقد، قال الله تعالى: ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝١ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ۝٢ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ۝٣ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ۝٤ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ۝٥ ﴾ [1] .

2 - التنجيم: وهو الاستدلال بالأحوال الفلكية على الحوادث الأرضية التي لم تقع، فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «من اقتبس علما من النجوم فقد اقتبس شعبة من السحر زاد ما زاد» [2]، رواه أبو داود [3] .

3 - زجر الطير والخط في الأرض: فعن قطن بن قبيصة عن أبيه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «العيافة والطيرة والطرق من الجبت» [4] [5] أي من السحر، والعيافة زجر الطير والتفاؤل والتشاؤم بأسمائها وأصواتها وممرها، والطرق الخط يخط في الأرض، أو الضرب بالحصى وادعاء علم الغيب.

4 - الكهانة: وهي ادعاء علم الغيب، والأصل فيها استراق الجن السمع من كلام الملائكة فتلقيه في أذن الكاهن.



عن أبي ه
هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: من أتى كاهنـــا فصدقه بما يقول فقد كفر

بما أنـــزل ع
لى محمد ﷺ [6] رواه أبو داود وأحمـــد والحاكـــم [7] .

(1) سورة الفلق
آية : 1 – 5 .

(2) أبو داود الط
طب (3905) ، ابن ماجه الأدب (3726) ، أحمد (227/1) .

(3) سنن أبي داو
د برقم (3905) .

(4) أبو داود الط
طب (3907) ، أحمد (477/3) .

(5) سنن أبي داو
د برقم (3907) ، ومسند أحمد (3 / 477) .

(6) الترمذي ا
لطهارة (135) ، أبو داود الطب (3904) ، ابن ماجه الطهارة وسننها (639) ، أحمد
(429/2)
، الدارمي الطهارة (1136) .

(7) سنن أبي دا
اود (3904) ، ومسند أحمد (2 / 429) ، المستدرك (1 / 50) قال الحاكم صحيح على
شـــرط الش
يخين ووافقه الذهبي .

5 – كتابة حروف أبا جاد: وذلك بأن يجعل
لكل حرف منها قـــدرا معلوما من
العدد ويجري على ذلك أسماء الآدميين والأزمنـــة
والأمكنـــة، ثم يحكم عليها بالسعود

كتاب

أصول الإيمان

أصول الإيمان

في ضوء الكتاب والسنة

إعداد

نخبة من العلماء

مقدمة معالي الوزير الشيخ صالح بن عبد العزيز بن محمد آل الشـــيخ

بسم الله الرحمن الرحيم

بقلم معالي الشيخ صالح بن عبد العزيز بن محمد آل الشـــيخ وزير الشـــؤون الإســـلامية والأوقاف والدعوة والإرشـــاد المشرف العام على المجمع.

الحمد لله رب العالمين، القائل في كتابه الكريم ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ ﴾[1] [النحل: 125]. والصلاة والســـلام علـــى أشرف الأنبياء والمرسلين، القـــائل: « بلغوا عني ولو آية »[2] [البخـــاري: 3461].

أما بعد: فإنفاذًا لتوجيهات خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبـــد العزيز آل سعود – حفظه الله– في إيصال الخير إلى عمـــوم المســـلمين في مشارق الأرض

مغاربها، بدءاً بالعناية بكتاب الله، والعمل على تيسير نشره، وترجمة معانيه، وتوزيعه
ين المسلمين، والراغبين في دراسته من غـــيرهم، ثم نشر ما ينفع المسلمين في جميع
ئون حياتهم الدينية والدنيوية.

وإيمانًا من وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد ممثلـــة في مجمع
لملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة النبوية، بأهمية الدعـــوة إلى الله تعالى على
صيرة فإنه يسرها أن تقدم كتاب:

((أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة))

وذلك لتبصير المسلمين في أمور العقيدة التي هي أساس الإيمان، لقولـــه صلى
لله ﷺ « إنّ في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله » [3] [البخاري: 52]،

---

(1) سورة النحل آية : 125 .

(2) البخاري أحاديث الأنبياء (3274) ، الترمذي العلم (2669) ، أحمد (159/2) ، الدارمي المقدمة (542) .

(3) البخاري الإيمان (52) ، مسلم المساقاة (1599) ، ابن ماجه الفتن (3984) ، أحمد (270/4) ، الدارمي البيوع (2531) .

الكتـــب في الحديث، والفقه، والذكر والدعاء،
ـــع بها عموم المسلمين.
لإخوة الذين قاموا بـــإعداد الكتـــاب (تأليفًا،
، وللأمانة العامـــة للمجمـــع حسن اهتمامها
ظ هذه البلاد راعية للدين، وحامية للعقيدة
ن الشريفين، وسمـــو ولي عهده الأمين، وسمو
نا أن الحمـــد لله رب العالمين.

وستتبعه إن شاء الله تعالى سلسلة من
والتي نرجو من الله العلي القدير أن ينف
وبهذه المناسبة يسرني أن أشكر ا
ومراجعة، وصياغة) جهدهم المخلص
ومتابعتها، وأدعو الله تعالى أن يحف
الصحيحة في ظل قيادة خادم الحرمي
النائب الثاني، حفظهم الله، وآخر دعوا

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي أكمل لنا الدين وأتمّ علينا النعمة، وجعل أمَّتنا –أمَّــة
خيرَ أمَّة، وبعث فينا رسولًا منَّا يتلو علينا آياته ويزكينا، ويعلِّمنــا الكتاب
والصلاة والسلام على مَن أرسله الله للعالمين رحمة، نبيِّنــا محمد وعلى آله و

أمــا بعد: فإنَّ الحكمة من خلق الجن والإنس هي عبادة الله وحــده
تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ ﴾ [1] (الذاريــات: 56)
التوحيد والعقيدة الصحيحة المأخوذةُ من منبعها الأصلي وموردهــا المبارك
وسنة رسوله ﷺ هي الغاية لتحقيق تلك العبــادة، فــهي الأساس لعمارة ه

ة الإسلام–
، والحكمة،
صحبه.
، كما قال
. ولذا كان
. كتاب الله
هذا الكون،

وبفقدها يكون فساده وخرابه واختلاله، كما قال الله تعالى: ﴿ لَ ... وْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ۚ فَسُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ [2] (الأنبياء: 2 ... 22)، وقال سبحانه: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَـٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِ ... تَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ﴿١٢﴾ ﴾ [3] (الطلاق: 12 ...)، إلى غير ذلك من الآيات.

ولما كان غير ممكن للعقول أن تستقلّ بمعرفة تفاصيل ذلك بعث ... الله رسلَه وأنزل كتبَه؛ لإيضاحه وبيانه وتفصيله للناس حتى يقوموا بعبادة الله ... على علم وبصيرة وأسسٍ واضحةٍ ودعائم قويمةٍ، فتتابع رسلُ الله على تبليغه، وتوا ... لوا في بيانه كما قال سبحانه: ﴿ وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴿٢٤﴾ ﴾ [4] (فاطر: 24)، وقا ... ل سبحانه:

---

(1) سورة الذاريات آية : 56 .

(2) سورة الأنبياء آية : 22 .

(3) سورة الطلاق آية : 12 .

(4) سورة فاطر آية : 24 .

﴿ ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَا ۖ ﴾ [1] (المؤمنون: 44)، أي يتبع بعضُهم بعضًا إلى أن ختمهم بسيِّدهم وأفضلهم وإمامهم نبيِّنا محمد ﷺ فبلّغ الرسالة وأدَّى الأمانة، ونصح الأمَّة، وجاهد في الله حقَّ جهاده ودعا إلى الله سرًّا وجهرًا، وقام بأعباء الرسالة أكملَ قيام، وأوذيَ في الله أشدَّ الأذى، فصبر كما صبر أولو العزم من الرسل، ولم يزل داعيًا إلى الله هاديـًا إلى صراطه المستقيم حتى أظهر الله به الدِّين، وأتم به النِّعمة، ودخل الناس بسبب دعوته في دين الله أفواجًا، ولم يَمُت ﷺ حتى أكمل الله به الدِّين وأتمَّ به النِّعمة، وأنزل في ذلك سبحانه قوله: ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَـٰمَ دِينًا ۚ ﴾ [2] (المائدة: 3).

فبيَّن صلوات الله وسلامه عليه الدين كلَّه أصوله وفروعه، كما قال إمام دار

الهجرة مالك بن أنس رحمه الله: " مُحال أن يُظنَّ بالنبي ﷺ أنه علّم أمتـــه الاستنجاء ولم يعلمهم التوحيد ".

وقد كان ﷺ داعيةً إلى توحيد الله وإخلاص الدِّين لله ونبذ الشرك كـــلّه كبيرِه وصغيره شأن جميع المرسلين؛ إذ أنَّ الرسلَ كلَّهم متَّفقون على ذلـــك، متضافرون على الدعوة إليه، بل هو منطلقُ دعوتهم وزبدة رسالتهم وأســـاس بعثتهم، يقول الله تعالى:

﴿ وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَۖ فَمِنۡهُم مَّنۡ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنۡهُم مَّنۡ حَقَّتۡ عَلَيۡهِ ٱلضَّلَٰلَةُۚ فَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُكَذِّبِينَ ﴿٣٦﴾ ﴾ [3] (النحل: 36)، وقال:

(1) سورة المؤمنون آية : 44 .

(2) سورة المائدة آية : 3 .

(3) سورة النحل آية : 36 .

﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ … مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ﴿٢٥﴾ ﴾ [1] (الأنبياء: 25)، وقال تعالى: ﴿ وَسۡـَٔلۡ … مَنۡ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلۡنَا مِن دُونِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ءَالِهَةٗ يُعۡبَدُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾ [2] (الزخرف: 45 …)، وقال تعالى: ﴿ ۞ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحٗا وَٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَمَا وَ … صَّيۡنَا بِهِۦٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓۖ أَنۡ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِۚ ﴾ [3] (الشـــورى: 13) … .

وقد ثبت في الصحيح … ين عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال: « الأنبياء إخوة لعلّات، أمّهاتهم ش … تّى ودينهم واحد » [4] [5] فـــالدِّين واحـــدٌ، والعقيدة واحدةٌ، وإنَّما حصل التن … وّعُ بينهم في الشرائع، كما قـــال تعـــالى: ﴿ لِكُلّٖ جَعَلۡنَا

مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ﴾ [6] … (المائدة: 48).

ولذا ينبغي أن يكون م… ستقرِّرا لدى كلِّ مسلم وواضحا لدى كلِّ مؤمن أنَّ العقيدة لا مجال فيها للرأي والأخ… ذ والعطاء، وإنَّما الواجب على كلِّ مسلم في مشارق الأرض ومغاربها أن يعتقد … عقيدة الأنبياء والمرسلين، وأن يؤمن بالأصول التي آمنوا بها ودعوا إليها دون تش… ـكٍّ أو تردُّدٍ، ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ

---

(1) سورة الأنبياء آية : 25 .
(2) سورة الزخرف آية : 45 .
(3) سورة الشورى آية : 13 .
(4) البخاري أحاديث الأنبياء … (3259) ، مسلم الفضائل (2365) ، أبو داود السنة (4675) ، أحمد (406/2) .
(5) صحيح البخاري (3443) ، … وصحيح مسلم (2365) .
(6) سورة المائدة آية : 48 .

وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ … أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾ ﴾ [1] (البقرة: 5 … 28).

فهذا شأنُ المؤمنين، وهذا سبيلهم: الإيمان والتسليم والإذع… ان والقبول، وعندما يكون المؤمن كذلك ترافقه السلامة، ويتحقق له الأمن وال… أمان، وتزكو نفسُه، ويطمئنُّ قلبُه، ويكون بعيدًا تمام البعد عمَّا يقع فيه ضلّال الن… اس بسبب عقائدهم الباطلة من تناقض واضطراب وشكوك وأوهام وحَيرة وتذبذب.

والعقيدة الإسلامية الصحيحة بأصولها الثابتة وأسسها الس… ليمة وقواعدها المتينة هي – دون غيرها – التي تحقِّق للناس سعادتهم ورفعتهم وفلاحه… م في الدنيا والآخرة؛ لوضوح معالمها، وصحَّة دلائلها، وسلامة براهينها وحجج… ها، ولموافقتها للفطرة

السليمة، والعقول الصحيحة، والقلوب السويّة.

ولهذا فإنّ العالَمَ الإسلامي كلّه في أشدّ الحاجة إلى معرفة هذه العقيدة الصافية النقيَّة؛ إذ هي قطبُ سعادته الذي عليه تدور، ومستقر نجاته الذي عنه لا تحور.

وفي هذا المؤلّف الوجيز يجد المسلم أصولَ العقيدة الإسلامية وأهمَّ أسسها وأبرزَ أصولها ومعالمها ممَّا لا غنى لمسلم عنه، ويجد ذلك كله مقرونا بدليله، مدعَّمًا بشواهده، فهو كتاب مشتمل على أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة، وهي أصول عظيمة موروثة عن الرسل، ظاهرة غاية الظهور، يمكن لكل مميِّز من صغير وكبير أن يُدركها بأقصر زمان وأوجز مدَّة، والتوفيق بيد الله وحده. وبهذه المناسبة نتقدم بالشكر الجزيل للذين ساهموا في إعداد هذا الكتاب وهم: الدكتور صالح بن سعد السحيمي، والدكتور عبد الرزاق بن عبد المحسن العباد، والدكتور إبراهيم بن عامر الرحيلي. كما نشكر اللذين قاما بمراجعته وصياغته وهما: الدكتور علي بن محمد ناصر فقيهي، والدكتور أحمد بن عطية الغامدي.

(1) سورة البقرة آية : 285 .

وإنَّا لنرجوه سبحانه أن ينفع به عمومَ المسلمين، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

الأمانة العامة

لمجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف

تمهيد

لا يخفى على كل مسلم أهمية الإيمان، وعظم شأنه، وكثرة عوائده وفوائده على المؤمن في الدنيا والآخرة، بل إن كل خير في الدنيا والآخرة متوقف على تحقق الإيمان الصحيح، فهو أجل المطالب، وأهم المقاصد، وأنبل الأهداف، وبه يحيا العبد حياة طيبة سعيدة، وينجو من المكاره والشرور والشدائد، وينال ثواب الآخرة ونعيمها المقيم وخيرها الدائم المستمر الذي لا يحول ولا يزول.

قال تعالى: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾ ﴾ [1] (النحل: 97). وقال تعالى: ﴿ وَمَنْ أَرَادَ ٱلْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا

إسراء: 19).

ـالى: ﴿ وَمَن يَأۡتِهِۦ مُؤۡمِنٗا قَدۡ عَمِلَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلدَّرَجَٰتُ ٱلۡعُلَىٰ

ـه: 75). وقـــال تعـــالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتۡ لَهُمۡ

ـس نُزُلًا ﴿١٠٧﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يَبۡغُونَ عَنۡهَا حِوَلٗا ﴿١٠٨﴾ ﴾ [4] (الكهف: 107،

ـات في هذا المعنى في القرآن الكريم كثيرة.

ـ نصوص الكتاب والسنة على أن الإيمان يقوم على الأصـــول الستة،

ـ بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقـــدر خيره وشره،

ـ هذه الأصول في القرآن الكريم والسنة النبويـــة في مواطن عديدة. منها:

ـ آية : 97 .

ـء آية : 19 .

ـ : 75 .

ـ آية : 107 ، 108 .

﴿١٩﴾ ﴾ [2] (الإ

وقال تعـ

﴿٧٥﴾ ﴾ [3] (ط

جَنَّٰتُ ٱلۡفِرۡدَوۡ

108). والآيـ

وقد دلت

وهي: الإيمان

وقد جاء ذكر

(1) سورة النحل

(2) سورة الإسرا

(3) سورة طه آية

(4) سورة الكهف

1 – قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِ

رَسُولِهِۦ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ مِن قَبۡلُۚ وَمَن يَكۡفُرۡ بِٱللَّهِ

فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا ﴿١٣٦﴾ ﴾ [1] (النساء: 136).

2 – وقوله تعالى: ﴿ ۞ لَّيۡسَ ٱلۡبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُو

مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلۡكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـ

3 – وقوله تعالى: ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِ

وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُ

وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾ ﴾ [3] (البقرة: 285).

بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ

وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ

هَكُمۡ قِبَلَ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلۡبِرَّ

ـنَ ﴾ [2] (البقرة: 177).

لَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ

ـهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا

4 - وقوله تعالى: ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴾ [4] (القمر: 49).

5 - وثبت في صحيح مسلم من حديث عمر بن الخطاب المشهور بحديث جبريل ﴿ أن جبريل سأل النبي ﷺ فقال: أخبرني عن الإيمان، قال: (أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره ﴾ [5] [6] .

فهذه أصول ستة عظيمة يقوم عليها الإيمان، بل لا إيمان لأحد إلا بالإيمان بها، وهي أصول مترابطة متلازمة، لا ينفك بعضها عن بعض، فالإيمان بعضها مستلزم للإيمان بباقيها، والكفر ببعضها كفر بباقيها.

---

(1) سورة النساء آية : 136 .
(2) سورة البقرة آية : 177 .
(3) سورة البقرة آية : 285 .
(4) سورة القمر آية : 49 .
(5) مسلم الإيمان (8) ، الترمذي الإيمان (2610) ، النسائي الإيمان وشرائعه (4990) ، أبو داود السنة (4695) ، ابن ماجه المقدمة (63) ، أحمد (27/1) .
(6) صحيح مسلم برقم (1) .

ولذا كان متأكدا في حق كل مسلم أن تعظم عنايته واهتمامه بهذه الأصول علما وتعلما وتحقيقا.

وفيما يلي بيان ما يتعلق بالأصل الأول من هذه الأصول وهو الإيمان بالله.

الباب الأول: الإيمان بالله

إن الإيمان بالله ﷻ هو أهم أصول الإيمـان، وأعظمـها شـأنا، وأعلاها قدرا، ل هو أصل أصول الإيمان، وأساس بنائه، وقوام أمره، وبقيـة الأصول متفرعة منه، اجعة إليه، مبنية عليه. والإيمان بالله عز وجـل هـو الإيمان بوحدانيته سبحانه في بوبية، وألوهيته، وأسمائه وصفاته، فهذه أصول ثلاثة يقوم عليها الإيمان بالله، بل إن لدين الإسلامي الحنيف إنمـا سـمي توحيدا لأن مبناه على أن الله واحد في ملكه أفعاله لا شريك له، وواحد في ذاته وأسمائه وصفاته لا نظير له، وواحد في ألوهيته عبادته لا ندَّ له.

وبهذا يعلم أن توحيد الأنبياء والمرسلين ينقسم إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول: توحيد الربوبية، وهو الإقرار بأنَّ الله تعالى رب كل شيء ومليكه

القسم الأول: توحيد الربوبية ، وهو الإقرار بأن الله تعالى رب كل شيء ومليكه وخالقُه ورازقُه، وأَنه المحيي المميتُ النـافعُ الضـار، المتفـرِّدُ بالإجابة عند الاضطرار، الذي له الأمر كله، وبيده الخير كله، وإليه يُرجـع الأمرُ كله، لا شريك له في ذلك.

القسم الثاني: توحيد الألوهية ، وهو إفراد الله وحده بالذلّ والخضـوع والمحبَّة والخشوع والركوع والسجود والذبح والنذر، وسائر أنواع العبـادة لا شريك له.

القسم الثالث: توحيد الأسماء والصفات ، وهو إفراد الله تعالى. بما سمـى ووصف نفسه في كتابه وعلى لسان نبيه ﷺ وتنـزيهه عـن النقـائص والعيوب ومماثلة الخلق فيما هو من خصائصه والإقرار بأنَّ الله بكلِّ شـيء عليم، وعلى كلِّ شيء قدير، وأنَّه الحـيُّ القيُّوم الذي لا تأخذه سِنة ولا نـوم، له المشيئة النافذة والحكمة البالغة، وأنَّه سميع بصير، رؤوف رحيـم، علـى العرش استوى، وعلى الملك احتوى، وأنَّه الـمَلِك القدوس السلام المؤمـن المهيمن العزيز الجبَّار المتكبِّر، سبحان الله عمَّا يشركون، إلى غير ذلك مـن الأسماء الحسنى، والصفات العلى.

ولكل قسم من هذه الأقسام الثلاثة دلائلُ كثيرة من الكتاب والسنة.

فالقرآن كله في التوحيد، وحقوقه
وهذه الأقسام الثلاثة للتوحيد قد
الكتاب والسنة، وهو استقراء تامٌّ لنص
وهي أنّ التوحيد المطلوب من العباد
وأسمائه وصفاته، فمَن لم يأت بهذا جمي
كل فصل منها بيان لقسـم مـن هـ

وجزائه وفي شأن الشـرك وأهلـه وجزائهم.
أخذها أهل العلم بالاستقراء والتتبـع لنصوص
صوص الشرع، أفـاد هـذه الحقيقة الشرعية،
هو الإيمان بوحدانيـة الله في ربوبيته وألوهيَّته
عـه فليـس بمؤمن، وفيما يلي فصول ثلاثة في
ـذه الأقسام:

الفصل الأول: توحيد الربوبية

المبحث الأول: معناه وأدلته من الكتاب والسنة والعقل والفطرة.

أولا: تعريفه:

أ- لغة : الربوبية مصدر من الفعل ربب، ومنه الربُّ، فالربوبية صفة الله، وهي مأخوذة من اسم الرب، والرب في كلام العرب يطلق على معان: منها المالك، والسيد المطاع، والـمُصْلِح.

ب- أما في الاصطلاح : فإن توحيد الربوبية هو إفراد الله بأفعاله.

ومنها الخلق والرزق والسيادة والإنعام والملك والتصوير، والعطاء والمنع، والنفع والضر، والإحياء والإماتة، والتدبير المحكم، والقضاء والقدر، وغير ذلك من أفعاله التي لا شريك له فيها، ولهذا فإن الواجب على العبد أن يؤمن بذلك كله

التي لا شريك له فيها، ولهذا فإن الواجب على العبد أن يؤمن بذلك كله.

ثانيا: أدلته :

أ- من الكتاب : قوله تعالى: ﴿ خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۖ وَأَلْقَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ ۚ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴿١٠﴾ هَـٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِى مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ۚ بَلِ ٱلظَّـٰلِمُونَ فِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١١﴾ ﴾ [1] (لقمان: 10، 11). وقوله تعالى: ﴿ أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَـٰلِقُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾ [2] (الطور: 35)

ب- من السنة : ما رواه الإمام أحمد وأبو داود من حديث عبد الله بن الشخير رضي الله عنه مرفوعا وفيه: (السيد الله تبارك وتعالى..). وقد ثبت في الترمذي وغيره أن النبي ﷺ قال في وصيته لابن عباس رضي الله عنهما:... واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، وإن اجتمعوا

(1) سورة لقمان آية : 10 ، 11 .
(2) سورة الطور آية : 35 .

على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام وجفت الصحف [1] [2].

ج- دلالة العقل : دل العقل على وجود الله تعالى وانفراده بالربوبية وكمال قدرته على الخلق وسيطرته عليهم، وذلك عن طريق النظر والتفكر في آيات الله الدالة عليه. وللنظر في آيات الله والاستدلال بها على ربوبيته طرق كثيرة بحسب تنوع الآيات وأشهرها طريقان:

الطريق الأول : النظر في آيات الله في خلق النفس البشرية وهو ما يعرف بـ (دلالة الأنفس)، فالنفس آية من آيات الله العظيمة الدالة على تفرد الله وحده بالربوبية لا شريك له، كما قال تعالى: ﴿ وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ

﴾ [3] (الذاريات: 21)، وقال تعالى: ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ﴾ [4] (الشمس: 7)، ولهذا لو أن الإنسان أمعن النظر في نفسه وما فيها من عجائب صنع الله لأرشده ذلك إلى أن له ربا خالقا حكيما خبيرا؛ إذ لا يستطيع الإنسان أن يخلق النطفة التي كان منها ؟ أو أن يحولها إلى علقة، أو يحول العلقة إلى مضغة، أو يحول المضغة عظاما، أو يكسو العظام لحما ؟

الطريق الثاني : النظر في آيات الله في خلق الكون وهو ما يعرف بـ (دلالة الآفاق)، وهذه كذلك آية من آيات الله العظيمة الدالة على ربوبيته، قال الله

(1) الترمذي صفة القيامة والرقائق والورع (2516) ، أحمد (293/1) .
(2) سنن الترمذي (2516) ، ومسند أحمد (1 / 307) ، وقد حسن الحديث الترمذي وصححه ، وصححه الحاكم .
(3) سورة الذاريات آية : 21 .
(4) سورة الشمس آية : 7 .

تعالى: ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِ ... ٱلْأَفَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ
عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴾ ... [1] (فصلت: 53).

ومن تأمل الآفاق وما ... في هذا الكون من سماء وأرض، وما اشتملت عليه السماء
من نجوم وكواكب وشمس ... وقمر، وما اشتملت عليه الأرض من جبال وأشجار
وبحار وأنهار، وما يكتنف ... ذلك من ليل ونهار وتسيير هذا الكون كله بهذا النظام
الدقيق؛ دله ذلك على أن ... هناك خالقا لهذا الكون، موجدًا له مدبّرًا لشؤونه، وكلما
تدبر العاقل في هذه المخل... وقات وتغلغل فكره في بدائع الكائنات علم أنها خُلقت
للحق وبالحق، وأنها ص... حائف آيات، وكتب براهين ودلالات على جميع ما أخبر
به الله عن نفسه وأدلة ع... على وحدانيته.

آثار أن قوما أرادوا البحث مع الإمام أبي حنيفة في تقرير
م رحمه الله: " أخبروني قبل أن نتكلم في هذه المسألة عن
فتمتلئ من الطعام وغيره بنفسها وتعود بنفسها، فترسو
من غير أن يديرها أحد ؟ ".
يمكن أبدا. فقال لهم: إذا كان هذا محالا في سفينة فكيف
سفله ؟ ".
لعالم ودقة صنعه وتمام خلقه دليل على وحدانية خالقه

وقد جاء في بعض الآ
توحيد الربوبية، فقال له
سفينة في دجلة تذهب
بنفسها وترجع، كل ذلك
فقالوا: " هذا محال لا
في هذا العالم كله علوه وس
فنبه إلى أن اتساق ا
وتفرده.

(1) سورة فصلت آية : 53 .

ينجي من العذاب.
م؛ ولذا فإنه لا يصح
ي هذا النوع من التوحيد
حده من عذاب الله ما لم

بالله إلا وهم مشركون
بالله ربا وخالقا ورازقا
ون معه في عبادته غيره
ع.

المبحث الثاني: بيان أن الإقرار بهذا التوحيد وحده لا

إن توحيد الربوبية هو أحد أنواع التوحيد الثلاثة كما تقد
إيمان أحد ولا يتحقق توحيده إلا إذا وحد الله في ربوبيته، لكن
ليس هو الغاية من بعثة الرسل عليهم السلام، ولا ينجي و
يأت العبد بلازمه توحيد الألوهية.

ولذا يقول الله تعالى: ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِ
﴾ [1] (يوسف: 106)، والمعنى أي: ما يقر أكثرهم ب
ومدبرا– وكل ذلك من توحيد الربوبية – إلا وهم مشرك
من الأوثان والأصنام التي لا تضر ولا تنفع، ولا تعطي ولا تم

وبهذا المعنى للآية قال المفسرون من الصحابة والتابعين.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: " من إيمانهم إذا قيل لهـ

م مـــن خلـــق السماء،

ومن خلق الأرض ومن خلق الجبال ؟ قالوا: الله وهم مشركون

."

وقال عِكْرِمَة: " تسألهم من خلقهم ومن خلـــق السماوا

ت والأرض فيقولون الله

فذلك إيمانهم بالله، وهم يعبدون غيره ".

وقال مجاهد: " إيمانهم قولهم: الله خالقنا ويرزقنا ويميتنا

فهذا إيمان مع شـــرك

عبادتهم غيره ".

وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم بن زيد: " ليس أحد

يعبد مـــع الله غيره إلا

وهو مؤمن بالله ويعرف أن الله ربُّه، وأنَّ الله خالقُه ورازقُه، وه

ــو يشرك به، ألا ترى

كيف قال إبراهيم: ﴿ قَالَ أَفَرَءَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٧٥﴾ أَنتُمْ وَ

ءَابَآؤُكُمُ ٱلْأَقْدَمُونَ ﴿٧٦﴾

فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّيٓ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٧﴾ ﴾ [2] (الشـــعراء: 75- 77

) " [1] .

(1) سورة يوسف آية : 106 .

(2) سورة الشعراء آية : 75 ، 77 .

والنصوص عن السلف في هذا المعنى كثيرة، بل لقد كـــان المشـــركون زمن النبي ﷺ مقرين بالله ربا خالقا رازقا مدبرا، وكان شركهم به من جهـــة العبادة حيث اتخذوا الأنداد والشركاء يدعوهم ويستغيثون بهم وينزلون بهم حاجاتهم وطلباتهم.

وقد دل القرآن الكريم في مواطن عديدة منه علـــى إقـــرار المشـــركين بربوبية الله مع إشراكهم به في العبادة، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٦١﴾ ﴾ [2] (العنكبوت: 61)، وقوله تعالى: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٦٣﴾ ﴾ [3] (العنكبوت: 63)، وقوله

تعالى: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٨٧﴾ ﴾ [4] (الزخرف: 87)،

وقوله تعالى: ﴿ قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٨٧﴾ قُلْ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ ﴿٨٩﴾ ﴾ [5] (المؤمنون: 84- 89).

فلم يكن المشركون يعتقدون أن الأصنام هي التي تنزل الغيث وترزق العالم وتدبر شؤونه، بل كانوا يعتقدون أن ذلك من خصائص الرب سبحانه، ويقرون أن أوثانهم التي يدعون من دون الله مخلوقة لا تملك لأنفسها ولا لعابديها ضرا ولا نفعا استقلالا ولا موتا ولا حياة ولا نشورا، ولا تسمع ولا تبصر، ويقرون أن الله هو

---

(1) انظر : تفسير ابن جرير (7 / 312- 313) .
(2) سورة العنكبوت آية : 61 .
(3) سورة العنكبوت آية : 63 .
(4) سورة الزخرف آية : 87 .
(5) سورة المؤمنون آية : 84 - 89 .

المتفرد بذلك لا شريك له، ليس إليهم ولا إلى أوثانهم شيء من ذلك، وأنه سبحانه الخالق وما عداه مخلوق والرب وما عداه مربوب، غير أنهم جعلوا له من خلقه شركاء ووسائط، يشفعون لهم بزعمهم عند الله ويقربونهم إليه زلفى؛ ولذا قال الله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ ﴾ [1] (الزمر: 3)، أي ليشفعوا لهم عند الله في نصرهم ورزقهم وما ينوبهم من أمر الدنيا.

ومع هذا الإقرار العام من المشركين لله بالربوبية إلا أنه لم يدخلهم في الإسلام بل حكم الله فيهم بأنهم مشركون كافرون وتوعدهم بالنار والخلود فيها واستباح رسوله ﷺ دماءهم وأموالهم لكونهم لم يحققوا لازم توحيد الربوبية وهو توحيد الله

في العبادة.

وبهذا يتبي ن أن الإقرار بتوحيد الربوبية وحده دون الإتيان بلازمه توحيد الألوهية لا
يكفي ولا ين جي من عذاب الله، بل هو حجة بالغة على الإنسان تقتضي إخلاص الدين
لله وحده لا شريك له، وتستلزم إفــراد الله وحــده بالعبادة. فإذا لم يأت بذلك فهو
كافر حلال ا لدم والمال.

(1) سورة الزمر آية : 3 .

المبحث الثالث: مظاهر الانحرا ف في توحيد الربوبية

بالرغم من أن توحيد الربوبية أمر مركوز ف ي الفطر، مجبولــة عليــه النفوس،
متكاثرة على تقريره الأدلة، إلا أنه وجد في النا س من حصل عنــده انحراف فيه،
ويمكن تلخيص مظاهر الانحراف في هذا الباب فيما يلي:

1 - جحد ربوبية الله أصلًا وإنكار وجوده س بحانه، كما يعتقد ذلــك الملاحدة
الذين يسندون إيجاد هذه المخلوقات إلى الطبيعة، أو إلى تقلب الليل والنهار، أو نحو
ذلك ﴿ وَقَالُوا۟ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَ ا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ ﴾ [1] (الجاثية:
24).

2- جحد بعض خصائص الرب سبحانه وإنك ار بعض معاني ربوبيتــه، كمن ينفي

النفع لــه أو دفع الضر عنه، أو نحو

الله سبحانه، فمن اعتقــد وجود

ن من إيجــاد أو إعدام أو إحياء أو

ـــن معاني الربوبية فهو مشرك بالله

قدرة الله على إماتته أو إحيائه بعد موته، أو جلب ذلك.

3- إعطاء شيء من خصائص الربوبية لغير متصرف مع الله ﷻ في أي شيء من تدبير الكو إماتة أو جلب خير أو دفــع شر أو غير ذلك م العظيم.

(1) سورة الجاثية آية : 24 .

الفصل الثاني: توحيد الألوهية

الألوهية مشتقة من اسم الإله، أي المعبود المطاع، فالإله اسم من أسمـــاء الله الحسنى، والألوهية صفة من صفات الله العظيمة، فهو ســبحانه المــألوه المعبود الذي يجب أن تأله القلوب وتخضع له وتذل وتنقاد؛ لأنه ســبحانه الرب العظيم، الخالق لهذا الكون، المدبر لشؤونه، الموصوف بكل كمـــال، المنـــزه عن كل نقص، ولهذا فإن الذل والخضوع لا ينبغي إلا له، فحيـــث كان متفردا بالخلق والإنشاء والإعادة لا يشركه في ذلك أحـــد وجـــب أن ينفرد وحده بالعبادة دون سواه لا يشرك معه في عبادته أحد.

فتوحيد الألوهية هو إفراد الله وحده بالعبادة، وذلك بأن يعلم العبدُ علمَ اليقِين أن الله وحده هو المألوه المعبود على الحقيقة، وأن صفات الألوهيـــة ومعانيها ليست

الله وحده هو المألوه المعبود على الحقيقة، وأن صفات الألوهية ومعانيها ليست موجودة في أحد من المخلوقات ولا يستحقها إلا الله تعالى، فإذا علم العبد ذلك واعترف به حقا أفرد الله بالعبادة كلها الظاهرة والباطنة، فيقوم بشرائع الإسلام الظاهرة كالصلاة والزكاة والصوم والحج والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وبرِّ الوالدين وصلة الأرحام، ويقوم بأصوله الباطنة من الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره، لا يقصد بشيء من ذلك غرضا من الأغراض غير رضا ربه وطلب ثوابه.

وفي هذا الفصل سيتم تناول جملةٍ من المباحث المهمة المتعلقة بهذا النوع من التوحيد.

المبحث الأول: أدلته، وبيان أهميته

المطلب الأول: أدلّته.

لقد تضافرت النصوص وتظاهرت الأدلة على وجوب إفراد الله بالألوهية، وتنوعت في دلالتها على ذلك:

1 – تارة بالأمر به، كما في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [1] (البقرة: 21)، وقوله: ﴿ ۞ وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا ﴾ [2] (النساء: 36)، وقوله: ﴿ ۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ ﴾ [3] (الإسراء: 23)، ونحوها من الآيات.

2 – وتارة ببيان أنه الأساس لوجود الخليقة والمقصود من إيجاد الثقلين، كما قال

2 – وتارة ببيان أنه الأساس لوجود الخليقة والمقصود من إيجاد الثقلين، كما قال تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [4] (الذاريات: 56).

3 – وتارة ببيان أنه المقصود من بعثة الرسل كما في قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ ﴾ [5] (النحل: 36)، وقوله: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴾ [6] (الأنبياء: 25).

(1) سورة البقرة آية : 21 .
(2) سورة النساء آية : 36 .
(3) سورة الإسراء آية : 23 .
(4) سورة الذاريات آية : 56 .
(5) سورة النحل آية : 36 .
(6) سورة الأنبياء آية : 25 .

إنـزال الكتب الإلـهية، كمـا في قوله تعالى:

... مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ أَنْ أَنذِرُوٓا۟ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠

أهله وما أعد لهم من أجور عظيمـة ونعم كريمة ...الى: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ

[2] (الأنعام: 82).

وبيان خطورة مناقضته، وذكر ما أعـد سبحانه ...: ﴿ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ

4 – وتارة ببيان أنه المقصود من ...

﴿ يُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ ...

فَٱتَّقُونِ ﴾ [1] (النحل: 2).

5 – وتـارة ببيان عظيم ثواب ...

في الدنيـا والآخرة، كما قال الله تعـ...

أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴾

6 – وتارة بالتحذير من ضده، ...

من عقاب أليم لمن تركه، كقوله تعالى ...

﴿ ... ﴾ [3] (المائدة: 72)، وقوله تعالى: ﴿ وَلَا

...مًا مَّدْحُورًا ﴿٣٩﴾ ﴾ [4] (الإسراء: 39).

...ستملة على تقرير التوحيد والدعوة إليـــه والتنويه

...ة مخالفته.

...ة على هذا التوحيد وأهميته، من ذلك:

...ه عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: « يا

...قال: الله ورسوله أعلم. قـــال: أن يعبدوه ولا

وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّـٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ...

تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ فَتُلْقَىٰ فِى جَهَنَّمَ مَلُو...

إلى غير ذلك من أنواع الأدلة المش...

بفضله وبيان ثواب أهله وعظم خطور...

والسنة النبوية كذلك مليئة بالأدل...

1 – ما رواه البخاري في صحيح...

معاذ أتدري ما حق الله على العباد ؟...

---

(1) سورة النحل آية : 2 .

(2) سورة الأنعام آية : 82 .

(3) سورة المائدة آية : 72 .

(4) سورة الإسراء آية : 39 .

يشركوا به شيئا، أتدري ما حقهم عليه ؟ قال: الله ورســوله أعلم. ...قال: أن لا

يعذبهم » [1] [2] .

2 – وعن ابن عباس رضي الله عنه قال: لما بعث النبي ﷺ معاذا نحو اليمن... قال لـــه:

« إنك تقدم على قوم من أهل الكتاب فليكـــن أول مـــا تدعوهـــم إلى... أن يوحدوا

الله تعالى فإذا عرفوا ذلك فأخبرهم أن الله فـــرض عليـــه... خمـــس

صلوات » [3] .....، الحديث، رواه البخاري [4] .

3 – وعن ابن مسعود رضي الله عنه أن رســـول الله ﷺ قـــال: « مـــن مـ... ـات وهـــو

يـــدعو من دون الله نـــدًّا دخل النار » [5] ، رواه البخاري [6] .

4 – وعن جابر بن عبد الله ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: من لقي الله لا يشرك به شيئا دخل الجنة، ومن لقيه يشرك به شيئا دخل النار [7]، رواه مسلم [8].

والأحاديث في هذا الباب كثيرة.

المطلب الثاني بيان أهميته وأنه أساس دعوة الرسل

---

(1) البخاري التوحيد (6938)، مسلم الإيمان (30)، الترمذي الإيمان (2643)، ابن ماجه الزهد (4296)، أحمد (5/230).

(2) صحيح البخاري (7373).

(3) البخاري المغازي (4090)، مسلم الإيمان (19)، الترمذي الزكاة (625)، النسائي الزكاة (2435)، أبو داود الزكاة (1584)، ابن ماجه الزكاة (1783)، أحمد (1/233)، الدارمي الزكاة (1614).

(4) صحيح البخاري (7372).

(5) البخاري تفسير القرآن (4227)، مسلم الإيمان (92)، أحمد (1/443).

(6) صحيح البخاري (4497).

(7) البخاري العلم (129)، مسلم الإيمان (32)، أحمد (3/244).

(8) صحيح مسلم (93).

المطلب الثاني: بيان أهميته وأنه أساس دعوة الرسل.

لا ريب أن توحيد الألوهية هو أعظم الأصول على الإطلاق وأكملها وأفضلها وألزمها لصلاح الإنسانية، وهو الذي خلق الله الجن والإنس لأجله، وخلق المخلوقات وشرع الشرائع لقيامه، وبوجوده يكون الصلاح، وبفقده يكون الشر والفساد، ولذا كان هذا التوحيد زبدة دعوة الرسل وغاية رسالتهم وأساس دعوتهم، يقول الله تبارك وتعالى: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ ﴾ [1] (النحل: 36)، وقال: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾ ﴾ [2] (الأنبياء: 25).

وقد دل القرآن الكريم في مواطن عديدة أن توحيد الألوهية هو مفتاح دعوة

الرسل، وأن كل رسول يبعثه الله يكون أول ما يدعو قومه إليه توحيد الله وإخلاص العبادة له، قال الله تعالى: ﴿ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ﴾[3] (الأعراف: 65)، وقال تعالى: ﴿ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ﴾[4] (الأعراف: 73)، وقال تعالى: ﴿ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ﴾[5] (الأعراف: 85).

---

(1) سورة النحل آية : 36 .
(2) سورة الأنبياء آية : 25 .
(3) سورة الأعراف آية : 65 .
(4) سورة الأعراف آية : 73 .
(5) سورة الأعراف آية : 85 .

المطلب الثالث: بيان أنه محور الخصومة بين الرسل وأممهم.

تقدم أن توحيد العبادة هو مفتتح دعوات الرسل جميعهم، فما من رسول بعثه الله إلا وكان أول ما يدعو قومه إليه هو توحيد الله، ولذا كانت الخصومة بين الأنبياء وأقوامهم في ذلك، فالأنبياء يدعوهم إلى توحيد الله وإخلاص العبادة له، والأقوام يصرون على البقاء على الشرك وعبادة الأوثان إلا من هداه الله منهم.

قال الله تعالى عن قوم نوح عليه السلام: ﴿ وَقَالُوا۟ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾ وَقَدْ أَضَلُّوا۟ كَثِيرًا ۖ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا ضَلَٰلًا ﴿٢٤﴾ ﴾[1] (نوح: 23-24)، وقال عن قوم هود عليه السلام: ﴿ قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا لِتَأْفِكَنَا عَنْ ءَالِهَتِنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٢٢﴾ ﴾[2] (الأحقاف: 22)، ﴿